

آلان وبربارة بيز

معارك قيس وليلى

دراسة علمية مفصلة عن الفروق
البيولوجية الاجتماعية بين الرجل والمرأة

ترجمة: غزوان زركلي

آلان وباربارا بيز

معارك قيس وليلى ١

دراسة علمية مفصّلة

عن الفروق البيولوجية - الاجتماعية بين المرأة والرجل

ترجمة

غزوان الزركلي

مراجعة: د. سنا درّوس

معارك فيمن وليلى

دراسة علمية مفصّلة عن الفروق البيولوجية - الاجتماعية بين المرأة والرجل

عن الإنكليزي الأوسترالي من تأليف: آلان وباربرا بيز

Allan and Barbara Pease
«Why Men Don't Listen
And Women Can't Read Maps»

ترجمته إلى الألمانية: **Anja Giese**

نشرته عام 2000 دار:
Econ Ullstein List Verlag
GmbH und Co. KG, München

تحت عنوان:
«Warum Männer nicht zuhören
und Frawen schlecht einparken»

ترجمة: غزوان الزركلي

مراجعة: د. سنا دروس



الناشر : دار كنعان
للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

دمشق - ص.ب 443 هاتف: 2134433 (11 - 963 +)
فاكس: 3314455 - 2134433 (11 - 963 +)
E-mail: said.b@scs-net.org

الطبعة الأولى: 2005 / عدد النسخ 1000

إخراج: لبنى حمد

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها على صفحة الشبكة التالية: http://www.furat.com

المؤلفان

يعتبر آلان وباربرا پيز من الرواد في مجال علم العلاقات الاجتماعية. لقد نشرا عدة كتب بحثتْ في موضوع لغة الجسد وتمتّعتْ عند القرّاء بنسبة شراء عالية (Bestseller). يقيم الكاتبان الندوات والدورات الناجحة في جميع أنحاء العالم. [تمّ نقل النص أعلاه بحسب ما جاء في النسخة الألمانية. المترجم].

المترجم

غزوان الزركلي، عازف پيانو محترف، أستاذ دكتور في الموسيقى، حائز على جوائز دولية في العزف وعضو تحكيم في أكثر من مسابقة عالمية. أقام حفلات منفردة في عشرين بلداً واشترك في بناء الحياة الموسيقية في وطنه الأم سورية. يحمل الجنسية الألمانية ويعمل حالياً بصفة خبير پيانو في كونسرڤتوار القاهرة.

فهرس الموضوعات

* . وُضِعت إشارات الاستفهام في الفهرس بشكل مطابق للنص الألماني. "المترجم"

مقدمة المترجم

لقد كتب هذا الكتاب وجمع معلوماته مواطنون من بلدان أخذت فيها المرأة حقوقها المدنية كاملةً، وما زال الناس فيها رغم ذلك بحاجة ماسة لأن يَعوا بالتفصيل كون الذكر والأنثى مختلفين بعضهما عن بعض. إن هذا الاختلاف يجعلهما لا يستطيعان الفكاك من شراكتهما الأبدية ويضمن لهما، إن أرادا ذلك، السعادة في حياتهما. وكل اختلاف هو مصدر توتر وبؤرة مناسبة للصراع وسوء الفهم، لذا كان هدفُ المؤلفَين -وهما زوج وزوجة- تقديمَ مرجع للقراء يستطيع الرد على كثير من التساؤلات، ويستطيع أن يُجنّب الوقوع في كثير من الأخطاء التي تعترض العلاقة بين الذكور والإناث، تلك العلاقة التي تشغل حيّزاً مركزياً في حياة كل إنسان وفي إبداعه. وليس من المبالغة أن نقول أن العلاقة الصحيّة بين الرجل والمرأة تشكّل في أغلب الأحيان القاعدة المتينة لأية سعادة في هذه الحياة.

يعيش العالم الغربي صعوبات فعلية في مجال العلاقة بين الرجال والنساء، بعكس ما قد يتبادر الى أذهاننا. ومن الأهمية بمكان أن نترك أصحاب العلاقة أنفسهم يطلعوننا عليها. فقرّاؤنا، المراهقون والشباب منهم خاصة، بأمسّ الحاجة للتعرّف على ما سيأتي في هذا المؤلَّف ليساعدهم على مراجعة أفكارهم وإعادة ترتيبها، وعلى صياغة آرائهم ومعتقداتهم في هذا المجال. لأنهم يجمعون ما بين موروث العلاقة بين الأنثى والذكر في منطقتنا (بسلبياتها وإيجابياتها) من جهة، والأفكار المستحضرة من الخارج عن طريق المرئي والمسموع والمقروء (أيضاً بسلبياته وإيجابياته) من جهة ثانية. وتتداخل هذه العوامل عندهم لتشكل منظومة أفكار مليئة بالثغرات، فتتمنّع على حاملها من ناحية، وتقوده الى الحيرة من ناحية أخرى، فحيرة إنساننا أكبر من حيرة الأوروبي والأسئلة المطروحة عليه أكثر وأعقد، إذ أنها ترتكز على أكثر من ثقافة. أما المثقف الأوروبي فقد بدأ حديثاً في الشك في كمال التصورات التي نشأ عليها والتي تخصّ موضوع كتابنا هذا، وأصبح يحاول أن يحلل ما وصل إليه حتى الآن

بشكل نقديّ. وقد بدأ المثقف الأوروبي أيضاً وبجدية كبيرة يرنو بنظره الى ثقافات العالم الأخرى باحثاً فيها عن قِيَم ومثل عليا قد تكون مغايرة لما رُبّيَ عليه.

إن ما لفت نظري في هذا الكتاب هو قربه من الواقع وعلميته وعلمانيته، فقد ارتكز بالدرجة الأولى على التجربة الحياتية وعلى عرض الآراء عبر قنوات العلم وليس عبر المتوارث من الأفكار الواقعة تحت ضغط إيديولوجي أو ديني، وصاحَبَ ردَّ فعلي هذا شعورٌ بأهمية أن يتعرف القارئ العربي على محتواه. فموضوع المرأة بات من المواضيع الأساسية في تصوراتنا وممارساتنا الاجتماعية، وفَهْم هذا الموضوع يعني أيضاً تعميق معرفة كل من الرجل والمرأة ذاته وذات الآخر. ويصبح الأمر بالغ الصعوبة حينما تختلط الموازين ما بين الشرق والغرب ويتيه المثقف العربي باحثاً عن مواقفه الخاصة به، أي عن تلك المستندة الى هوية ثقافية معينة من ناحية، والمنفتحة على العالم من ناحية أخرى.

وتفرز المجتمعات، الشرقية البطريركية منها والتي تقوم على التسابق والاستهلاك، «كليشيهات» تصف المرأة والرجل. ولقد ترك الكتاب البحث المتخصص في الواقع الاجتماعي ودوره خارج قوس، وهو في ذلك لم يقلّل من جدّيّة الطرح وعمقه بل زاده تركيزاً، إذ أن همّ المؤلّف انحصر في الوصول الى قواسم مشتركة تجتمع عليها الثقافات جميعها. لقد ابتعد الكتاب عن الخوض في علم النفس الذكري والأنثوي تحديداً، وفضّل أن يبحث في مفاتيحهما البيولوجية الأساسية ليقترب بذلك من الحياة العادية وليصبح ساعياً وراء الثوابت الباقية عبر العصور. وباقترابه هذا وبحيوية طرحه، يقدم لنا خدمة كبيرة في وعي بعض الغوامض اليومية التي ما زلنا بحاجة الى سبرها وكشفها، وذلك بطريقة سلسة ومرحة من جهة، وعلمية وجدية من جهة أخرى.

ترجمتُ هذا الكتاب بأمانة تامة، وبعدما وُجِدَتْ عندي النية في حذف بعض المقاطع التي تأكدتُ من تكرارها في أمكنة مختلفة، استغنيت عن فكرة الاختصار حينما انتبهت أن المؤلفَين يفعلان ذلك عن قصد. إن التكرار المذكور حاصلٌ بسبب التأكيد على الأفكار من ناحية، وبسبب الضغط المعنوي على المثقف الأوروبي من ناحية أخرى، هذا الضغط الذي يتلخّص في عدم المساس بما قد يُستشفّ منه تقليلٌ من قيمة المرأة. لقد جاء هذا التكرار إصراراً

مستمراً على الإيمان بالمساواة، مع المحاولة المستمرة للبحث التفصيلي عما تعنيه هذه الكلمة، خصوصاً فيما يخص التفريق ما بين المساواة والتساوي.

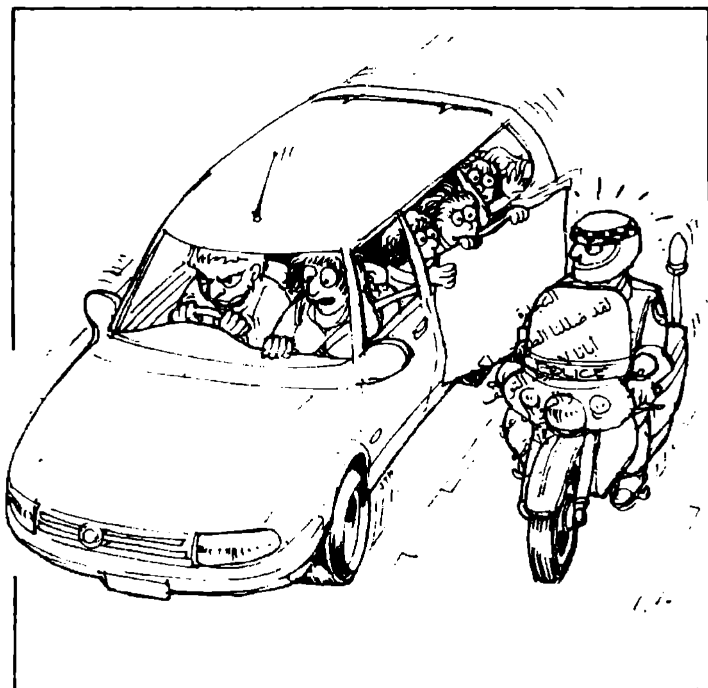
دأبَ المؤلَف الذي بين أيدينا على ذكر «الكليشيهات» التي تصف الرجل والمرأة. وما انفك يبحث عن أصولها ليصل الى تفسير بيولوجي لتلك «الكليشيهات»، وذلك بدراسة وظائف الدماغ بشكل عام، ووظائف الدماغَين الأنثوي والذكري بشكل خاص. إن المنحى البيولوجي الاجتماعي الذي يربط المجتمع بالطبيعة هو -برأيي- المميِّز الأهم لكتابنا.

وفي النهاية فلكل إنسان منّا تجربته، ومن البديهي أنه على كل واحد أن يستكشف الأشياء بنفسه. ولكن الحياة قصيرة وقصيرة جداً، وحياة إنسان واحد لا يمكن أن تُمارس دون الاعتماد على غيرها في تحصيل المعلومات وتكوين الأفكار وتحديد السلوك، وفي وعي الواقع والابتعاد عن التنظير. وبناءً عليه أقدّم هذا الجهد المتواضع إلى الناطقين بالضاد.

أستغل هذه الفرصة لأشكر الدكتورة سنا درّوس على الجهد الكبير الذي بذلتّه في مراجعة هذا الكتاب وفي تعريف القارئ العربي على المصطلحات الطبية الواردة فيه وأشكر الصديق الأستاذ ياسر المالح على اهتمامه وإرشاداته، **كما أودّ أخيراً أن أهدي ترجمتي هذه الى ولديّ ممدوح ومالك الزركلي.**

أ. د. غزوان الزركلي

مقدّمة



نزهة يوم أحد

في يوم أحد مشمس جميل، كان "بوب" و"سو" مع بناتهما الصغيرات الثلاث في السيارة متوجهين الى الشاطئ ليقضوا هناك بشكل هادئ فترة ما بعد الظهر. كان "بوب" يقود السيارة وكانت "سو" تجلس الى جواره. بين الفينة والفينة كانت "سو" تلتفت الى الخلف لتلقي بعض المداخلات على الحديث الحامي الذي يدور في الخلف. وتصوّر "بوب" بأن الجميع يتكلم وكأنه في حمام مقطوع ماؤه. بالنسبة إليه كان كل ذلك عبارة عن سيل متواصل من الثرثرة الخالية من المعنى... انفجر "بوب" أخيراً صائحاً «ألا تستطعن أن تخرسنَ؟»

خيّم الهدوء على السيارة. ثم سألت "سو" بوجل: «لماذا؟»

فأجاب بصوت مجلجل: «لأنه يجب عليّ قيادة السيارة»

تطلّع النسوة إليه باستغراب وقلْنَ دون أن يفهمن معنى لذلك: «قيادة السيارة؟». لم يتمكنْ أن يتبينَّ العلاقة ما بين أحاديثهن المتواصلة وبين فعل قيادة السيارة. ولا هو استطاع أن يفهم لماذا يتكلمن كلّهن في وقت واحد؟ حتى أحياناً عن مواضيع مختلفة، وكأنهن لا يصغينَ فعلياً بعضهن الى بعض.

لماذا بحق السماء لم يصمتنَ لكي يتسنّى له التركيز على القيادة؟

لقد أضاع، بين القيل والقال، المفرق الذي كان عليه أن ينعطف إليه.

المشكلة الأساسية يمكن أن تسمّى باسمها:

وهي أن الرجال والنساء على اختلاف.

ليس بين الفئتين تفاضل بل اختلاف.

لقد أدرك العلماء والاجتماعيون والباحثون ذلك منذ سنوات، لكنهم كانوا واعين بأن التعبير عن هذه الحقيقة العلمية في عالمنا ذي المعايير السياسية «الصحيحة»[1] سيؤدي الى انتقادهم. ويقول السياسيون في هذا العالم إنّ على الجميع أن يعتقد، وبكل قوة، بأن الرجال والنساء يملكون تماماً المهارات والمواهب والامكانيات ذاتها، ولكن العلماء، لسخرية القدر، أثبتوا من حيث الأساس عكس ذلك، وبشكل غير قابل للشك.

---

1. أي التي تروّج إلى تساوي (وليس فقط مساواة) المرأة مع الرجل. "المترجم"

السؤال الآن: هذه المعطيات إلى أين تقود المجتمع؟

الجواب، الى عالم مهتز وغير مستقر.

فقط عندما نفهم الفروق بين الرجل والمرأة، يمكننا أن نعزز قدرات كلٍ منهما بدلاً من الحفاظ على نقاط الضعف لديهما.

لقد استند هذا الكتاب على آخر معطيات العلم في مجال التطور البشري، وحاول تطبيقها على العلاقة بين الرجل والمرأة.

لقد توصّل الى نتائج مثيرة للجدل، تجعلنا نفكر أحياناً ونرفض أحياناً أخرى، ولكن بلا شك سيوفّر أيضاً تفهّماً ضرورياً للديناميكية المتواجدة بين الرجال والنساء. ولو كان "بوب" و"سو" قد اطّلعا على هذا الكتاب قبل صعودهم الى السيارة لما حدث ما حدث.

لماذا كانت كتابة هذا المؤلف بالغة الصعوبة؟

لقد استغرقت كتابة هذا المؤلف ثلاث سنوات، قطعنا خلالها مسافة تربو عن 400,000 كيلو متراً، ودرسنا وثائق وسألنا مختصين وأقمنا ندوات عدة في بلدان: أستراليا، نيوزيلاندا، سينغافورا، تايلاند، هونغ كونغ، ماليزيا، انكلترا، سكوتلاندا، ايرلندا، ايطاليا، ألمانيا، اليونان، هولندا، اسبانيا، تركيا، الولايات المتحدة، افريقيا الجنوبية، بوتسفانا[1]، زمبابوي، ناميبيا وأنغولا...

ومن أصعب المهمات التي واجهتنا هي إقناع مؤسسات عامة وخاصة لإبداء رأيها في هذا الموضوع. مثلاً فيما يخص حقيقة أن نسبة الطيارين المدنيين من النساء تقل عن ١٪، امتنعت أغلبية شركات الطيران عن إبداء رأيها بهذا الموضوع خوفاً من اتهامها بالتفرقة بين الجنسين أو بالعداء للمرأة.

أكثر الشركات رفضت حتى التعليق، وبعضها هددنا باللجوء الى القضاء إذا ما أوردنا اسم شركتهم في كتابنا.

---

١ . بوتسفانا: دولة في أفريقيا الجنوبية. "المترجم"

وكان استقبالنا من قبل العناصر القيادية النسائية أفضل، رغم أن كثيراً منهن اتخذن موقفاً دفاعياً مباشراً، ظناً منهن بأن أبحاثنا تشكل هجوماً على النساء، ودون أن يفهمن بدقة فحوى موضوع بحثنا.

وقد طَلَبَتْ منّا بعض الشخصيات البارزة بإلحاح، من مديري شركات وأساتذة جامعة، ضمان الكتمان وعدم ذكر أسمائهم أو أسماء مؤسساتهم، وذلك بعدما أجابوا عن أسئلتنا ضمن غرف موصدة الأبواب وخافتة الإضاءة. كما كان عند الكثيرين منهم وجهتا نظر: واحدة لا غبار عليها من الناحية السياسية وموجهة الى الرأي العام، وأخرى تعبّر عن رأيهم الخاص الذي وجب علينا عدم الاستشهاد به.

ممكن لهذا الكتاب أن يشكل استفزازاً أحياناً، وصدمةً أحياناً أخرى ولكنه في كل الأحوال يدهش القارئ بما فيه من الحقائق العلمية من جهة، وبما فيه من سرد حوادث يومية ولآراء ومشاهد مغرقة في الفكاهة، من جهة أخرى.

لقد كان هدفنا، عزيزنا القارئ، أن نعرّف بأنفسنا من خلال هذا الكتاب وبالجنس الآخر بشكل أفضل، لكي نستطيع أن نبني علاقات مشتركة بين الجنسين أكثر انسجاماً وقبولاً وأكثر تحقيقاً لتطلّعاتنا.

هذا الكتاب مهدى الى كل الرجال والنساء الذين مرّت بهم لحظات اضطروا فيها للجلوس وجهاً لوجه مع شركائهم في الساعة الثانية صباحاً، مشعثي الشعر ومستعطفين: «لماذا لا تستطيع (تستطيعين) أن تفهمني (أن تفهميني) ببساطة؟».

إن العلاقة بين الرجال والنساء تفشل لأن الرجال لا يفهمون لماذا لا تستطيع المرأة أن تكون مثل الرجال، والنساء يتوقّعن من رجالهنّ أن تكون ردود أفعالهم مثلهنّ.

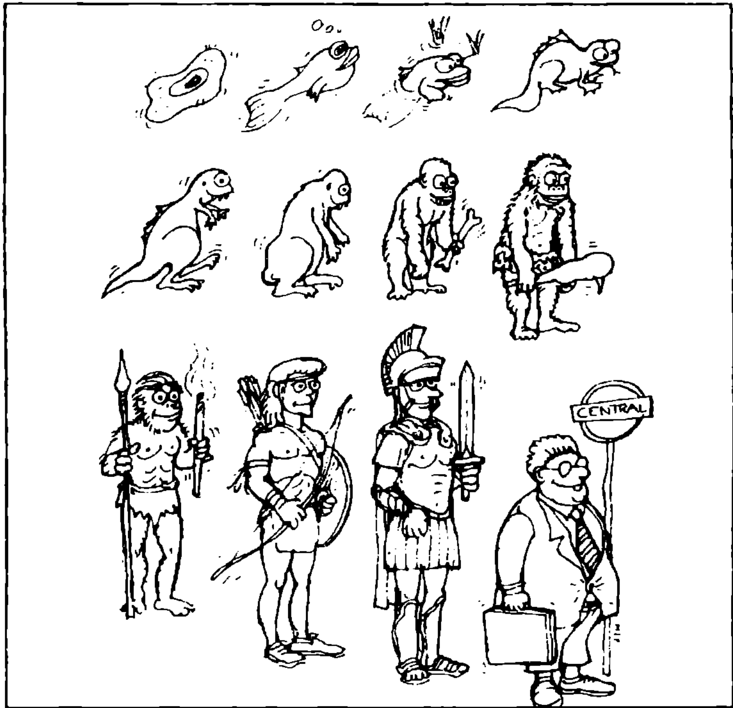
إن هذا الكتاب لا يقدّم مساعدة فقط في الحوار مع الجنس الآخر وإنما يساعد أيضاً في فهم الذات بشكل أفضل الذي هو شرطٌ أساسيٌ لإرساء حياة ثنائية صحية، سعيدة ومنسجمة.

آلان وباربرا پيز

صدر النص الانكليزي-الاسترالي الأصلي لهذا الكتاب في عام ١٩٩٨.

الفصل الأول

نوع إنساني واحد، عالمان مختلفان



خلق عظيم في مسيرة التطوّر

إن النساء والرجال مختلفون، لا هُنّ أحسن منهم ولا هم أسوأ منهنّ. والرجال والنساء ينتمون الى جنس بشري واحد، والأمور المشتركة بينهم ليست ذات أهمية. إنهم يعيشون في عوالم مختلفة، لديهم تقييمات متفاوتة ويخضعون الى قوانين متباينة.

الجميع يعرف ذلك ولكن قلة مستعدون للاعتراف بذلك (الرجال بالدرجة الأولى) وهنا بالذات تكمن المشكلة. لننظر الى الوقائع: في العالم الغربي أكثر الزيجات تنتهي عند قاضي الطلاق، والقسم الأكبر من العلاقات الجدية تفشل وهي لا تزال في المهد.

إن الاختلاف في وجهات النظر وطريقة السلوك والمواقف، لدى الرجال والنساء من كافة الأديان والأجناس والثقافات، أمر لا بد منه.

بعض الأشياء شديدة الوضوح

إن الرجل يبحث عادة عن دورة المياه لهدف واحد، بينما يختلف الوضع عند النساء، إذ تصبح دورة المياه لديهن مركزاً للتعارف والتفاعل الاجتماعي في آن معاً. إن النساء اللواتي يتقابلن للمرة الأولى أمام مرآة المغاسل، لديهن القدرة للخروج من هناك وهن على تفاهم تام وقادرات على أن يصبحن صديقات مدى الحياة.

لكن لنتصوّر رجلاً يقول لآخر «أنا أريد أن أذهب الى دورة المياه. هل تذهب معي؟»... سيُرمى الاثنان بنظرات الريبة، من دون شك.

إن الرجال يسيطرون حصراً على مفاتيح التحكم بقنوات التلفاز (remote control) ويحاولون تجاوز الدعايات والاعلانات، بينما لا تنزعج النساء من مشاهدتها.

عندما يقع الرجال تحت ضغط نفسي فإنهم يهربون الى شرب الكحول وشنّ الحروب ضد بلدان أخرى[1]، بينما تفرّغ النساء الضغط عندهنّ بأكل الشوكولا والقيام بالتسوّق.

---

1. ليس المقصود بذلك تفسير أسباب الحروب، إنما الإشارة الى نمو العدوانية عند الرجل. «المترجم»

النساء يأخذن على الرجال بأنهم دون مشاعر، لا يحسنون الإصغاء، لا يتكلمون، يبخلون بالتعبير عن حبّهم، ذوو قلوب قليلة الدفء لا تشعر بالآخر، غير مستعدين للدفاع عن علاقاتهم العاطفية، يبتغون الجنس عوضاً عن الحب، كما أنهم لا يغلقون كرسي المرحاض.

ويأخذ الرجال على النساء أنهن لا يُحسن قيادة السيارة، لا يستطعن قراءة الخرائط ويُمسكن بالخريطة بالاتجاه المعاكس، ليس لديهن تقدير للاتجاهات الجغرافية، يتحدثن بكثرة دون أن يصلن الى الجوهر ولا يطلبن الجنس بالوفر المطلوب، كما أنهن لا يُعِدن غطاء المرحاض مرفوعاً كما يجب برأي الرجال أن يكون.

لدى النساء القدرة على ايجاد مفاتيح السيارة الضائعة، لو تغيّر مكانها، ولكن ليس لديهن القدرة على ايجاد الطريق الأقصر الى هدف معين.

الرجال «يظنّون» بأنهم الجنس الأعقل بينما النساء «يعرفن» بأنهن كذلك.

يُدهش الرجال دائماً بموهبة المرأة في الدخول الى غرفة ما وملاحظة جميع الأشخاص الموجودين فيها فوراً وبدقة، بينما تستغرب النساء ضعف الملاحظة عند الرجال وعدم عثورهم على الأشياء رغم حرصهم على تنظيم أقراصهم الليزرية CD حسب الأحرف الأبجدية.

أما الرجال فيتعجبون كيف ان النساء، أثناء قيادة السيارة، لا يلاحظن ظهور الضوء الأحمر المنذر بحدوث طارئ ما على أجهزة القيادة، بينما يلاحظن وجود جراب متسخٍ في زاوية مظلمة من الغرفة على بعد ثلاثين متراً.

إن النساء لا يدركن كيف أن الرجل تكفيه طرفة عين قصيرة الى مرآة السيارة ليقدّر المكان الذي سيصف به سيارته ولو كان ضيقاً، بينما لا يستطيع أن يجد النقطة التي تستثير جسد شريكته.

عندما تفقد الطريق الى مكان ما، تقف امرأة وتسأل بكل بساطة الآخرين، بينما يعتبر الرجل ذلك ضعفاً ويفضل أن يضل ساعات متحدثاً مع نفسه «لقد وجدت طريقاً

جديداً للوصول» أو «هذه الجهة صحيحة من حيث المبدأ» أو «تبدو لي محطة البنزين تلك معروفة»...

مهام مختلفة

إن الرجال والنساء مختلفون في تطورهم عبر ملايين السنين وذلك للحفاظ على البقاء.

لقد ذهب الرجال الى الصيد وجمعت النساء الثمار. وكانت النتيجة أن أثّر ذلك في تكوين أجسادهم وأدمغتهم بشكل مغاير.

فقد أصبح الرجال أكبر حجماً وأقوى جسدياً من النساء وتهيأ دماغهم لإنجاز وظائف معينة بالترافق مع تغيّر أجسامهم، بينما بقيت النساء في المغاور، وحافظن على النار مشتعلة ريثما يعود الرجال من الصيد جالبين معهم الغذاء، وهكذا مع الزمن، تكيّف دماغهن على تلك الوظائف المحددة.

ونحن ندرك، في الوقت الحاضر، بأن الرجال والنساء يتلقّون نفس المعلومات ويفكّون رموزها بشكل مختلف: يفكرون بشكل مختلف، لديهم قناعات مختلفة، أولوياتهم مختلفة، ويسلكون بشكل مختلف.

حجّة التطابق

في نهاية الثمانينات، بدأ علماء كثيرون ببحوثهم المتعلقة بالاختلافات بين الجنسين وبآلية عمل كل من دماغ الذكر ودماغ الأنثى على حدة.

وقد تمكن الإنسان، للمرة الأولى في تاريخ البشرية، أن يستعين بالآلات المتطورة ويصل الى معرفة عمل الدماغ على أرض الواقع عن طريق التصوير الطبقي المحوري. هذه الرؤية العميقة الى داخل الدماغ أجابت عن أسئلة كثيرة طرحها البشر منذ القدم. وأظهرت الوقائع الواردة في هذا الكتاب أن هناك اختلافات جمّة بين الجنسين: هذه الوقائع بُنيت على أساس دراسات علمية، طبية، نفسية واجتماعية.

في القرن العشرين ساد الاعتقاد بأن الإنسان هو نتيجة بيئته الاجتماعية حيث يفرض الأهل والمربّون معتقداتهم على الأبناء. وبذلك ألبست البنات الأثواب الزهرية وأُعطين الدمى ليلعبنَ بها. وأُلبس الصبية اللون الأزرق وأُعطوا لعباً خشبية تمثل جنوداً وقمصاناً للعب كرة القدم.

كانت الفتيات تُضَمّ وتُقبّل بينما يُربّت على أكتاف الصبية ويُنهرون عندما يبكون. ولفترة قصيرة خلَت ظل الناس يعتقدون بأن مثَل الطفل الوليد كمثَل الحجر الأملس يَنقشُ عليه مُربّوه ما يرغبون من اهتمامات وسلوك. لكن الوقائع البيولوجية التي نعرفها اليوم تبرهن على أن المسؤول عما نملكه من آراء وميول وسلوك هو الهورمونات والتوصيلات العصبية الموجودة في دماغنا.

وهذا يعني بشكل آخر أنه لو تُرك الصبية والبنات على جزيرة نائية من دون تنظيم اجتماعي أو أسروي فإنهم سيتبعون رغم ذلك الأنماط الجنسية الذكرية والأنثوية المعروفة.

ستبقى البنات يَصبَون الى التلامس الجسدي، يبحثن بشكل أقوى عن العلاقات البشرية ويلعبن بالدمى؛ وستبقى روح التنافس الفكري والجسدي موجودة لدى الصبية الذين سيكوّنون مجموعات ذات بناء سلطوي هرمي واضح.

> تتبلور طريقة تفكيرنا وسلوكنا عن طريق الوصلات العصبية التي تنشأ في دماغنا أثناء الحياة الرحمية، وعن طريق تأثير هورموناتنا على الجسد والروح.

وسنرى لاحقاً أن غرائزنا ما هي إلا جينات (مورّثات) تحدد لأجسادنا كيف عليها أن تعمل في حالات معينة.

هل هي مؤامرة من قبل الرجال؟

منذ الستينات من هذا القرن تحاول بعض الجماعات المتنفّذة أن تقنعنا بالتخلّي عن فطرتنا البيولوجية، فهم يزعمون بأن الحكومات والأديان وأنظمة التعليم عبارة عن

مؤامرة يحيكها الرجال، هدفها اضطهاد المرأة، كما يعتبرون الإخصاب طريقة لتقييد النساء أكثر فأكثر.

من الناحية التاريخية يمكن فهم أسباب هذه النظرة. ولكن لو كان زُعْم هذه الجماعات صحيحاً، أي لو كان الرجال والنساء متماثلين، فكيف يُفَسَّر تفوّق الرجال بهذه القوة، وفي كل أصقاع الأرض؟.

إن الأبحاث التي أُجريت على وظائف الدماغ البشري أعطت عدة أجوبة عن هذا السؤال: الرجل والمرأة ليسا متساويين: إن المساواة في المعاملة بين المرأة والرجل، وفي إعطائهما الحق في تحقيق ذاتيهما، هو شيء واجب. ولكنهما ليسا متساويين بشكل واضح فيما يخص المهارات والمواهب الطبيعية لكل منهما.

إن المساواة فيما يخص المعاملة بالمثل هي قضية سياسية وأخلاقية، أما المساواة بمعنى التماثل أو التساوي فهذه قضية علمية.

> المساواة بين الرجل والمرأة هي قضية سياسية أو أخلاقية، أما البحث في الاختلافات الأساسية بينهما فهو أمر علمي.

إن نية الأشخاص الذين يستهجنون فكرة أن سلوكنا محكوم بيولوجياً هي نية طيبة: إنهم يستنكرون التمييز بين الجنسين. ولكن حقيقة المشكلة أنهم لم يتبيّنوا الفرق ما بين المساواة والتساوي.

هذا الكتاب سيثبت لنا بشكل علمي أن النساء والرجال ليسوا غير متماثلين فحسب، وإنما هم مختلفون جذرياً على الصعيدين الجسماني والفكري.

وقد اعتمد في نتائجه تلك على ما توصّل إليه كبار علماء علم المستحاثات paleontology وعلماء الأعراق البشرية ethnology وعلماء النفس والبيولوجيا والبناء العصبي وتوصّل الى أن الاختلافات في البناء الدماغي عند الذكر والأنثى لا يمكن دحضها.

قد يقول البعض أن هذه النتائج لا تنطبق عليهم. قد يكون هذا صحيحاً ولكن ما نقصده هنا هي الحالات الأكثر شيوعاً، أي كيف يتصرّف غالبية الرجال وكيف تتصرف غالبية النساء في أغلب الحالات.

فمثلاً، لو أخذنا مجموعة بشرية موجودة في غرفة ما فسيكون الرجال في المتوسط أطول من النساء بمعدّل 7 % وأكثر قوة فيزيائية بمعدل 8 %. قد تكون امرأة هي الأطول والأقوى ولكن نحن نتكلم بشكل عام، وهذا ما نجده في كتاب غينس للأرقام القياسية.

ففي عام 1988 كان أطول إنسان هو الباكستاني "علم شنّا" البالغ من الطول مترين و31 سم. وكان أطول مسجّل في العالم هو "روبرت ييشنغ" البالغ من الطول مترين و79 سم.

إن كتب التاريخ مليئة بأسماء رجال طوال ونساء قصيرات، وهذه حقيقة واقعة ليس لها علاقة بالتمييز بين الجنسين.

وجهة نظرنا في ذلك

عند قراءة هذا الكتاب قد يمرّ القارئ بلحظات يتبسم فيها وأخرى يرفع فيها حاجبيه متعجباً أو يلقي بالكتاب جانباً بانزعاج. لماذا؟، لأن غالبية الناس متأثرة، وبمقادير مختلفة، بالفلاسفة المثاليين الذين يدّعون أن الرجل والمرأة متماثلان. غايتنا نحن، مؤلفا هذا الكتاب، إبراز وجهة نظرنا حول هذه الحقيقة ومساعدتكم في تحسين وتطوير علاقاتكم مع الجنس الآخر.

اعتقادنا ثابت بأنه علينا تقديم الفرص نفسها للرجال والنساء على حد سواء لينجحوا في الأعمال التي اختاروها لأنفسهم، وأن ينال الرجال والنساء ذوو التحصيل المتماثل المردود المادي نفسه عندما يقومون بالوظائف نفسها. الاختلاف لا يتناقض مع المساواة: فالمساواة تعني الحرية في اختيار الأعمال الملائمة، «أي أن الرجل حرّ في اختيار العمل الملائم له والمرأة كذلك»، والاختلاف يعني اختلاف وجهات نظر كل منهما فيما يخصّ الاختيار الملائم.

هدفنا هو النظر بتجرّد الى العلاقات بين المرأة والرجل واستكشاف أهمية التطورات التاريخية ونتائجها ذات الصلة بذلك، واستخلاص منهج حياتي يقود الى سعادة وقبول أكثر. لن نحوم حول الحقيقة، ولن نلجأ الى الظن أو الى المراوغة كما يفعل السياسيون، إنما سنسمّي الأشياء بمسمّياتها حتى لو كانت خارجة عن المألوف. سنستعرض معكم في هذا الكتاب وقائع تظهر بأن كل جنس يميل الى اتّباع نماذج سلوكية خاصة، ولكننا لا نحاول بذلك أن نقول إن هذا السلوك أو ذاك ملزم له أو لها.

نسيج الطبيعة والإطار الاجتماعي

عند "ميليسا" توأم: بنيّة وصبيّ. اختارت للبنت "ياسمين" غطاءً وردياً وللصبي "آدم" غطاءً أزرق. وأهدى الأقارب ياسمين ألعاباً طرية ناعمة الملمس وأهدوا آدم كرة قدم صغيرة وقميص لاعب كرة القدم بالغ الصغر.

كان الجميع يتحدث الى "ياسمين" بصوت ناعم ورقيق ويقولون لها كم هي جميلة ولطيفة. وكانت بعض القريبات يركّزن على "ياسمين"، يحملنها على أذرعهن ويداعبنها، أما الأقرباء فكانوا يركزون بالدرجة الأولى على "آدم"، يرفعون أصواتهم بالحديث معه ويربتون عل كتفه ملاطفين ويرمون به في الهواء ملاعبين، ويكلّمونه عن مستقبله كلاعب كرة قدم.

هذا السيناريو سيبدو مألوفاً لكل منا. ولكن السؤال المطروح: هل سلوك البالغين هذا يأتي عفوياً ومسيّراً بعوامل بيولوجية أم هو مكتسب بالتعلّم المتناقَل من جيل الى جيل، أي بالتربية؟

لقد اعتقد علماء النفس والاجتماع، وحتى وقت متأخر من القرن العشرين، بأن سلوكنا وميولنا مطبوعة بالمجتمع والبيئة بشكل شبه كامل. ونعرف بأن الأمهات البديلات [اللواتي يقمن مقام الأمهات الأصليات] في عالم الإنسان والقرود، يقمن بأعمالهن الكبرى في تنشئة أطفالهن بالتبني. لكن علماء الفروع الأخرى، المعارضين

لعلماء النفس والاجتماع، يعزون التأثير الأعظم في سلوكنا للبيولوجيا والكيمياء والهورمونات.

منذ عام 1990 أصبح هناك براهين مقنعة بأننا نأتي الى الحياة ونحن نمتلك دماغاً مبرمجاً بشكل مسبق. فحقيقة أن الرجال كانوا يذهبون الى الصيد وأن النساء كنّ يقمن بالمهمات المنزلية، بلْوَرَت وطَبَعت سلوكنا ومعتقداتنا وأفضلياتنا حتى هذا اليوم.

لقد أجريت دراسة مستوفية في جامعة هارفارد (الولايات المتحدة الأمريكية) حول سلوك البالغين تجاه الأطفال، وخلُصت الى أننا لا نعامل البنات والصبية بشكل مختلف فحسب وإنما نستعمل مع كلٍ منهم طريقة في الحوار وكلمات مختلفة. فنحن نطري البنات الصغيرات بكلمات مثل «ما أحلاكِ» «أيتها العصفورة» «يا قلبي» بينما نتوجه الى الصبية بصوت أكثر ارتفاعاً ونخاطبهم قائلين «أيها الشاب» «لقد أصبحت قوياً فعلاً»...

كما أننا عندما نهدي البنات لعب «الباربي»، ونهدي الصبية تماثيل لأبطالٍ ورعاة بقر ليلعبوا بها، لا نخلق عندهم سلوكاً معيناً ولكننا نشجع فقط مثل هذا السلوك.

وهذه هي النتيجة التي خلُصت إليها دراسة جامعة هارفارد، وهي أن سلوك البالغين المختلف تجاه البنات والصبيان هو تعبير عن اختلافات متأصلة مسبقاً. عندما تُدفع بطة في الماء تبدأ مباشرة بالعوم. واذا نظرنا إليها تحت الماء نلاحظ وجود أغشية العوم على أقدامها. بتحليل دماغها نجد أنها خُلقت وفي حوزتها برنامج سباحة مخزّن في مُخّها؛ وعند وضعها في الماء تكون قد وُجدت مصادفة في الوسط الذي تستطيع فيه أن تنفذ هذا البرنامج، فالماء هنا ليس إلا ضابطاً لسلوكها هذا.

لقد أثبتت البحوث بأننا نتاج للبيولوجيا أكثر بكثير مما نحن ضحايا قوالب اجتماعية. نحن [الذكور والإناث] مختلفون لأن تركيبنا الدماغي مختلف. فنحن ننظر إلى العالم بشكل مغاير ونقيّم بشكل مغاير ونضع أولويّاتنا بشكل مغاير. ليس بشكل أفضل أو أسوأ ولكن بشكل متباين.

دليلكم السياحي الى كائن غير معروف

يعتبر هذا الكتاب دليلاً سياحياً الى عالم غريب وثقافة أخرى، وهو أيضاً مرجع نستفهم منه عن إشارات وخصائص جسمانية غير معروفة.

عندما ينطلق السيّاح مسافرين الى بلد دون أن يطّلعوا على ظروف حياة هذا البلد السائدة، يصابون بالوجل ويبدؤون بانتقاد أهل البلد لعدم إتقانهم اللغة الانكليزية أو الألمانية مثلاً، ولأنهم لا يأكلون البطاطا المقلية أو المقانق. فلكي تكون السياحة مجالاً للحصول على تجربة ثقافية جديدة تغني ثقافتنا، علينا أن نفهم أولاً تاريخ وتطوّر البلد الذي سنقوم بزيارته، ونتقن بعض الكلمات والجمل المتداولة بلغة أهل ذلك البلد، وننفتح على ثقافته وطريقة معيشة أهله لكي نكوّن تجربة وقناعة ذاتيتين عنه.

بهذا فقط نتخطى نموذج السائح ذي اللباس المألوف والكلمات المعهودة والسلوك المعروف، نموذج الإنسان الذي لا تتعدى معرفته حدود منزله والذي يحلم بالبلدان البعيدة والغريبة.

إن الكتاب الذي بين أيدينا يريد أن يظهر لنا بأنه من الايجابي محاولة فهم الجنس الآخر، ولكننا نحتاج بدايةً الى التعرف على موضوع تطوّر الإنسان.

> أثناء زيارة سائح أميركي لقلعة "ويندسور" [رمز العائلة الملكية البريطاني] علّق قائلاً: «إنه فعلاً قصر عظيم ولكنني لا أفهم لماذا بنوه بالقرب من المطار تماماً!»

لذلك فإن هذا المؤلّف يهتم بحياة الإنسان الفعليّة وبالحوادث العمليّة والأحاديث المسجّلة بأمانة. ولا نضطرّ القارئ للاهتمام بمصطلحات علمية استخدمها علماء الدماغ كالجسم الثفني[1]، والأهداب العصبية، والببتيدات العصبية[2] والمرنان

1. الجسم الثفني هو صفيحة من المادة البيضاء مسؤولة عن وصل المعلومات بين نصف الكرة المخية الأيسر ونصف الكرة الأيمن. "المراجعة"

2. الببتيدات العصبية: هي سلاسل من الحموض الأمينية أو هي مواد كيماوية تؤمن الوصل العصبي. "المراجعة"

المغناطيسي[1]، وإفراز الدوبامين[2]. ولكن بالطبع لا نستطيع أن نغفل هذه المصطلحات. سنحاول كمؤلفين أن نجعل الأمور واضحة ومفهومة قدر الإمكان علماً بأننا نهتم بعلم جديد نسبياً هو "علم البيولوجيا الاجتماعية" وبتوضيح تأثير مورثاتنا وتطورنا كبشر على سلوكنا.

لقد اخترنا مجموعة من المناهج والطرق المثبتة علمياً من جهة والبيّنة والمقنعة للغالبية من جهة أخرى؛ وتركنا، منذ البداية، جانباً التجارب والاختبارات التي لا تستند الى أسس علمية.

موضوع كتابنا هو القرد العاري [الإنسان] الذي سيطر على العالم بحواسبه الجبارة computers وأطلق المركبات الفضائية التي وصلت الى كوكب الزهرة، ورغم ذلك فإن أصوله حسب داروين تعود الى السمكة، حيث تطور خلال ملايين السنين إلى أن وصل الى الجنس البشري. وتناسى عصرنا الحالي ذو التطور العلمي البالغ والتصورات السياسية التي نظنها صحيحة، تناسى الأصول البيولوجية ولم يَعُد يقيم لها وزناً. ومضت حوالي المئة مليون سنة قبل أن نصل الى مجتمع متطور استطاع إرسال الإنسان الى القمر. ولكن هذا الإنسان يضطر الى قضاء حاجة، كما كان أسلافه، حتى أثناء وجوده هناك.

إن الأساسيات البيولوجية للحاجات الإنسانية هي واحدة بين كل البشر رغم الاختلافات الثقافية، لذلك سنُظهر كيف ان مؤشرات السلوك تُوَرَّث من جيل الى جيل دون أن يكون للمتغيرات الثقافية تأثير يُذكر.

بدايةً، سنلقي نظرة سريعة على تطور الدماغ البشري.

---

1. المرنان المغناطيسي: هو جهاز تصوير يعتمد على حركة ذرات الهيدروجين في جسم الانسان (وهي الشاردة الأكثر تواجداً في جسم الانسان) وتجمّعها ضمن حقل مغناطيسي. "المراجعة"

2. الدوبامين: هي مادة كيماوية تفرز من المادة السوداء في الجملة العصبية. نقصها يؤدي لظهور داء باركنسون. "المراجعة"

كيف أصبحنا على ما نحن عليه

كان يا ما كان، كان هناك رجال ونساء ما يزالون يعيشون ويقضون أعمالهم بانسجام. وكان الرجل ما يفتأ ينطلق كصيّاد الى عالم خطير ومليءٍ بالعدوانية، يخاطر بحياته ليتمكن من تأمين الغذاء لزوجته وأولاده، ويدافع عن منزله ضد الحيوانات الشرسة وكافة الأعداء. فمن أجل البحث عن مصادر الغذاء وإيجادها ثم ايصالها إلى المنزل تطوّرت لديه حاسة التعرف على المكان بشكل مميّز. ومن أجل أن يقضي على فريسةٍ متحركة نمَت لديه مهارة إصابة الهدف. وكان مجال وظائفه محدداً وواضحاً: لقد كان صياداً ولم يكن يُطلب منه أكثر من ذلك.

وكانت المرأة فخورة بكون زوجها يخاطر بحياته من أجل رفاهية عائلته. كان نجاحه كرجل يقُاس بقدرته على القضاء على الفريسة وجلبها الى البيت، وكان شعوره بالثقة محكوم بمدى تقدير زوجته لنجاحاته.

كانت العائلة تقوم على إتمام الرجل لواجباته كصيّاد ومدافع عن الأسرة، ولم يكن من المهم بالنسبة إليه أن يحافظ على العلاقات الاجتماعية أو أن ينظف البيت أو أن يغيّر حفاّضات الأطفال.

وكان دور المرأة يقوم على الإنجاب: هذه المهمة حكمت تطوّرها التاريخي وبلورت مهاراتها لتقوم بتنفيذ هذه المهمة. فكان يجب عليها أن تنتبه الى البيئة المحيطة بها مباشرة وتستقبل إشارات الخطر؛ وكان عليها أيضاً التعرف على المكان الذي توجدفيه، بأبعاده القريبة، واختزان بعض النقاط المعينة أو الأشياء المتميزة لتتذكرها فيما بعد. كما كان عليها أن ترصد أصغر التغيّرات في سلوك أطفالها وغيرهم من البالغين وتحركاّتهم.

كانت الأمور ببساطة تسير على النحو التالي: هو صيّاد وهي ربّة "العش". كانت المرأة تقضي نهارها في العناية بالأطفال، وجمع الثمار والأعشاب الصالحة للأكل، وفي عقد الاجتماعات بينها وبين بقية نساء المجموعة.

نجاح الرجل في القيام بمهامه يُقاس بالحصول على الغذاء والدفاع عن البيت ضد الأعداء، بينما نجاح المرأة يُقاس بمدى قدراتها على الاهتمام بعائلتها. وتقدير الرجل لعملها كأم و" ربّة منزل" كان يشعرها بالثقة، كما أن قدرتها على الإنجاب احتلت أهمية سحرية وحتى قدسيّة لأنها وحدها كانت تعرف سرّ خلق الحياة الجديدة. لذلك لم ينتظر أحد منها أن تهاجم الأعداء أو تقضي على الفريسة. كان الصراع من أجل البقاء أمراً قاسياً للرجل، هانت أمامه قضية الحفاظ على العلاقات التي قامت بها المرأة على مدى آلاف السنين.

ففي آخر النهار كان الصيادون يعودون بقنصهم، يوزعون الغنائم بشكل عادل ليتغذى بها الجميع في المغارة. وتقدّم اللحوم للنساء اللاتي يقدّمن بدورهن الثمار والأعشاب الصالحة للأكل.

بعد الطعام يجلس الرجال حول النار يتأملونها، يلعبون ويتحادثون ويتسامرون. ونجد لهذا السلوك المغرق في القدم إسقاطاً لدى رجال اليوم الذين يجلسون أمام الرائي يقلّبون قنواته بجهاز التحكم، أو يغرقون في تصفّح الجرائد اليومية.

على هذا الشكل كان الرجال يرتاحون من تعب الصيد طوال اليوم ليكونوا مستعدين لمواصلة عملهم في اليوم التالي. أما النسوة فكنّ يعتنين بأطفالهن وينتبهن الى رجالهن ليأخذوا قسطهم الكافي من الغذاء والراحة.

كان كل من الرجال والنساء يحترم عمل الآخر ويقدّره. لم يوصم الرجال بأنهم كسولون ولم توصم النساء بأنهن خادمات أو مضطهدات من قبل الرجال.

لاتزال هذه الأنماط من السلوك والطقوس موجودة في ثقافات قديمة في بورنيو وأندونيسيا وبعض أجزاء القارة الأفريقية، وعند شعوب قديمة في أستراليا ونيوزيلندا وكندا وغرينلاند. في تلك الحضارات يعرف كل منهم وظيفة الآخر، فالرجال يقدّرون النساء والعكس صحيح، ويقوم كلّ منهم بدوره في سبيل استمرار الأسرة ورفاهيتها. هذه القواعد المتوارثة حذُفت من عالمنا الحديث المتمدّن وكانت النتيجة ذهولاً وفوضى وعدم رضى.

لم نتصوّر الأمور على ما هي الآن

لم تعُد العائلة محكومة حصراً بوجود الرجل لاستمرار بقائها ولا نتوقّع أيضاً بقاء المرأة في المنزل والاقتصار على لعب دور ربة المنزل والأم. ولأول مرة في تاريخ الجنس البشري أصبح الرجال والنساء غير واثقين من ماهية دورهم في الحياة.

وقرّاء هذا الكتاب ينتمون إلى الجيل الذي يعيش هذه الحالة، التي لم يضطر أسلافهم من الرجال والنساء أن يواجهوها.

لأول مرة من بداية الخليقة أصبحنا نطلب من شريكنا الحب والعاطفة والرضى الشخصي. لقد تجاوزنا مرحلة الصراع على البقاء بفضل البنى الاجتماعية الموجودة في مدنيّتنا الحديثة، والتي وفّرت شبكة من المؤسسات الاجتماعية، من تقاعدية وتعاضدية وحامية للمستهلك وغيرها، تقدم لنا الأمان في الحالات الطارئة.

إذاً، كيف تبدو الحياة الاجتماعية في ظل المعطيات الجديدة؟ وأين نتعلّم مبادئها؟ سنحاول أن نجيب عن مثل هذه الأسئلة في كتابنا هذا.

لماذا يعجز الوالدان في الوقت الحاضر عن مدّ يد المساعدة

إن كنتم من مواليد عام 1960 وما قبل، فقد نشأتم وترعرعتم في كنف والدين اتّبعا أنماط السلوك القديمة والتي أخذاها بدورهما عن والديهما. وهكذا، من جيل إلى جيل، حتى نصل إلى نموذج السلوك الذي اتبّعه ساكنو الكهف، وإلى الأدوار واضحة التعريف.

أما اليوم فقد أصبحت تلك القواعد مقلوبة؛ فالوالدان لا يعرفان كيف يقدّمان المساعدة لأولادهما، ومعدلات الطلاق تبلغ حوالي الخمسين بالمئة. أمّا إذا أخذنا بعين الاعتبار العلاقات شبه الزوجية، والأحادية الجنس فستفوق السبعين بالمئة.

إننا نحتاج إلى قواعد جديدة للعلاقات الثنائية لكي نستطيع أن نضع قدمنا في بداية القرن الواحد والعشرين بشكل سليم عاطفياً، وسعيد إلى حدٍّ ما.

ما زلنا من حيث المبدأ في طور الحياة الحيوانية

إن الغالبية العظمى من الناس تستهجن أن تتصور بأن الإنسان يشابه الحيوان وتحاول أن تغضّ الطرف عن الحقيقة القائلة بأن 96 % من مكوناتنا البشرية موجودة في المكونات الجسمية للخنزير والحصان أيضاً.

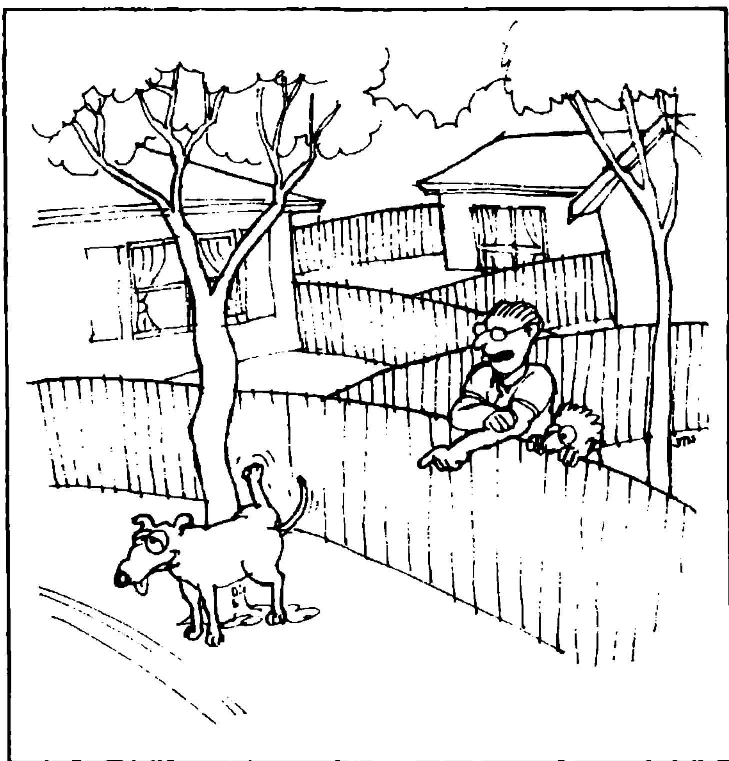
نختلف عن الحيوان فقط بأننا نستطيع أن نفكّر ونتطلّع إلى المستقبل، فالحيوانات الأخرى تستطيع فقط أن تكوّن ردود أفعال على ما يحدث؛ أي أنها لا تستطيع التفكير لكنّها تستطيع التكيّف بالاستناد إلى برامجها الدماغية الخاصة ونماذج السلوك الثابتة عندها.

تتقبّل غالبية الناس بديهية أن الحيوانات كائنات تُقاد بالدرجة الأولى من قبل غرائزها. وهذا سلوك واضح للعيان: فالعصافير تزقزق، والضفادع تنقّ، والكلاب ترفع رجلها عندما تريد أن تبولّ كما أن القطط تترصّد فرائسها زاحفةً. هذا النموذج من السلوك لدى الحيوان لا يسيطر عليه الفكر ولذلك يجد كثيرٌ من الناس صعوبة في إيجاد الصلة ما بينهم كبشر وما بين هذه السلوكيات، وهم ينسون بأن أول ما يقوم به الرضيع من بكاء وفعل مصّ هو سلوك غريزي.

إن النماذج السلوكية تُعطى للأولاد كما أُخذَت، على الأغلب، بالوراثة من الآباء. وهذا ما يحدث لدى جميع الحيوانات بغض النظر أكان هذا السلوك إيجابياً أم سلبياً. وعندما نستحصل على مهارة ما، بإمكاننا أن ننقلها إلى أولادنا بنجاح. وبالمثل يستطيع العلماء أن يُهجّنوا أجيالاً من الجرذان الغبية أو الذكية، التي تستطيع، أو لا تستطيع، سبر المتاهات بنجاح.

إن اقتناعنا، نحن كبشر، بأننا حيوانات تطوّرت غرائزها عبر ملايين السنين وتبلورت، سيسهل علينا فهم حاجاتنا الأساسية ودوافعنا وقبولنا للآخر.

وهنا يكمن الطريق إلى السعادة الدنيوية.



«هل ترى يا بني»؟ هكذا يحدّد الكلب المكان الذي سيُبعد عنه بقية الكلاب.
إنه سلوك فطري تراه عادة عند الحيوانات الأقل تطوراً، التي لا تستطيع أن تفكّر.

الفصل الثاني

شيء منطقي تماماً



لا يستطيع الرجال إيجاد الأشياء في الخزائن أو في الثلاجات

عندما وصل «جون» و«سو» إلى الحفلة كان الهرج على أشدّه. كانا واقفَين في الزّحام عندما همست «سو» دون ان تحرك شفتيها: «انظر إلى الزوجين هناك قرب النافذة...» استدار جون وأراد ان يلقي نظرة على الشخصين المذكورين واذا «بسو» تصدر صوتاً كالفحيح «لا تستدر!» وتتابع قائلةً: «لماذا تلفت إليك الانتباه في كل ما تفعل؟»

لم تستطع «سو» ان تفهم لزوم استدارة «جون» اللافتة للنظر، ولم يستطع «جون» ان يفهم كيف ترى «سو» دونما التفات! في هذا الفصل سنبحث اختلاف مظاهر الحواس بين الجنسين وما يترتب على ذلك.

النساء محطات رادار متنقلة

تستطيع المرأة أن تحزر مباشرةً ما إذا كانت امرأة أخرى حزينة أو غاضبة. أما الرجل فلا يدرك ذلك في الحالات العادية حتى يشاهد المرأة بعينه تجهش بالبكاء أو تنفجر من الغضب، أو حتى تصفعه عده صفعات على وجهه، ليفهم تدريجياً بأن هناك شيئاً ما ليس على ما يرام.

والسبب هو أن المستقبلات الحسية لدى المرأة، كما عند كل اناث الثدييات، هي أكثر دقة. وتماشياً مع وظيفتها كأم وربة «عش» كان عليها ان تسجّل أدق المتغيرات في سلوك ومزاج الآخرين.

وما ندعوه نحن بالحدس الأنثوي ما هو إلا إمكانية بالغة التطورّ في ادراك أدق التفاصيل والمتغيّرات في سلوك الآخرين وتظاهراتهم. هذه الامكانية تقلق الرجال منذ مئات السنين، وخاصة الذين يخونون زوجاتهم، خوفاً منهم أن تُخمن نساؤهم ذلك.

في احدى منتدياتنا التقينا برجل حدثّنا عن دقة ملاحظة زوجته الفائقة فيما يتعلّق بالأمور التي يخفيها عنها، وغياب هذه القدرة تماماً عندها عندما يتعلق الموضوع بالصفّ العكسي للسيارّة. ان مركز القدرة على تقدير المكان، كتقدير المسافة ما بين جدار الكاراج وحواجز أخرى اثناء وجودنا في السيارة المتحركة، يقع في القسم الأمامي الأيمن من

الدماغ وهو مركز غير متميّز بشكل خاص عند النساء . وسنبحث هذا الموضوع في الفصل الخامس .

> تستطيع زوجتي ان تميّز شعرة نسائية شقراء على معطفي على بعد خمسين متراً .
> لكنها في كل مرّة تريد ان تصفّ السيارة في الكاراج ، تصطدم ببابه .

هيّأتْ الطبيعة ربّات الأعشاش والجحور ليلحظن أدق المتغيّرات في سلوك مواليدهن التي تنم عن ألم أو جوع أو جرح أو عنف أو اكتئاب . ولم يقبع الرجال الصيادون في المغارة وقتاً كافياً ليُتقنوا تفسير الإشارات غير الكلامية أو حركة العلاقات الانسانية .

لقد برهن البروفسور في علم النفس العصبي "روبين غور Ruben Gur" من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ، وأكّد بمساعدة التصوير الدماغي بأن التيارات الكهربائية في دماغ الرجل تنحدر في حدّتها إلى 70% في حالة الراحة ، بينما تبقى بنسبة 90 % عند النساء في نفس الحالة .

وبهذا أُثبتت الفرضية القائلة إن النسوة يتلقين المعلومات من محيطهن ويحللنه بشكل مستمر . وتعرف المرأة الأم وتتنبأ كيف يفكر أولادها وبماذا يشعرون وماذا يخبئون وتعلم عن أفراحهم وأمانيهم وأحلامهم ومغامراتهم العاطفية ومخاوفهم الدفينة . أما الرجال فهم ، في أحسن الأحوال ، لا يكادون يشعرون بوجود أطفال في المنزل .

السبب يكمن في العيون

العين هي امتداد للدماغ . وشبكية العين هي الطبقة الداخلية للعين التي تحتوي على ما يقارب من 130 مليون خلية إبَرية تُدعى مستقبلات الرؤية ، وهي المسؤولة عن التمييز بين اللونين الأبيض والأسود ، وتحتوي أيضاً على سبعة ملايين خلية أخرى وتَدية الشكل مسؤولة عن تمييز الألوان . هذه الخلايا موجودة على

الصبغي Chromosome X[1] وبما أن المرأة تمتلك صبغيين XX وليس واحداً، لذلك يكون عدد الخلايا الوتدية لديهن أكثر مما هو عند الرجال مما يجعلهن أقدر بكثير منهم على وصف الألوان. وهنا يقتصر الرجل على تحديد اللون الأساسي كالأحمر والأزرق والاخضر بينما تتحدث المرأة عن ألوان عاجية وزرقاء مائله للخضرة وموف وأزرق سماوي وأخضر تفّاحي.

عند البشر يكون بياض العين واضحاً جداً بعكس المخلوقات البدائية التي تفتقد إليه تماماً. هذا البياض يسمح بحركة العينين وتحديد درجة زاوية الساحة البصرية، الشيء الذي لا يمكن من دونه الحفاظ على العلاقات البشرية. ان حجم البياض عند المرأة أكبر مما هو عند الرجل لأنها تعتمد بقوة على حاسة النظر في عملية التواصل، ولأنها تستقبل عدداً أكبر من الإشارات عن طريق العين وتتحكم بها. وبذلك تستطيع النظرات الأنثوية التي تتنقل من جهة لأخرى ان تسجل وتحلّل.

هذا التواصل عبر العيون لا يشكل، عند أغلب أصناف الحيوانات الأخرى، إلا حيّزاً ضئيلاً. لذلك فإن تلك الحيوانات لا تمتلك إلا كمية قليلة جداً من البياض وبالتالي فان التواصل عبر العيون معدوم لديها وتعتمد بالدرجة الأولى على لغة الجسد.

عيون ترى من الخلف

طبعاً ليس بالمعنى الحَرْفي ولكن شبه الحرفي. فالنساء لا تمتلك خلايا لونية أكثر من الرجال فحسب وانما تتمتع بزوايا رؤية جانبية أوسع. فهن يتمتعن، كمحافظات على منازلهن، بزاوية رؤية لا تقل عن 45 درجة يميناً ويساراً وإلى الأعلى والأسفل. وقد تبلغ زاوية الرؤية الجانبية عند بعض النساء 180 درجةً.

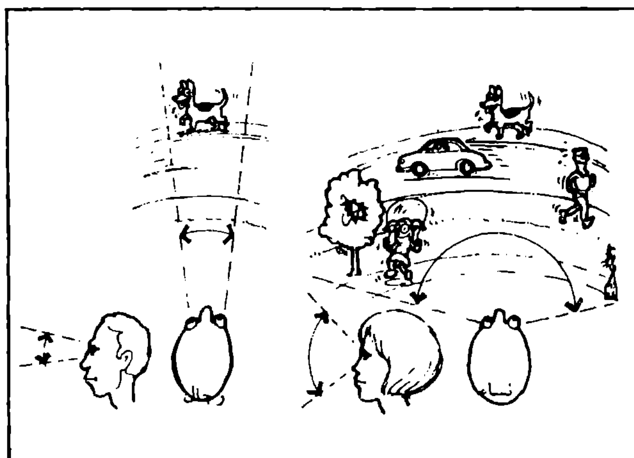
---

1. الصبغي هو الجزء الموجود في نواة الخلية الحية والذي يحمل الصفات الوراثية الخاصة بكل نوع. "المراجعة"

أما الرجال فتكون عيونهم أكبر ومهيئة من قبل دماغهم بتقنية السبر أحادي الاتجاه وعبر مسافات طويلة، أي ان الرجل يرى الأشياء التي تكون أمامه مباشرة بصورة واضحة وجلية، وتتمتع عيونه بشكل أو بآخر بتقنية المنظار المقرّب فيما يتعلق بالمسافات الأبعد.

> تتمتع النساء بخاصية الرؤية الجانبية العريضة، ويتمتع الرجال بخاصية الرؤية الأمامية الطويلة.

توجّب على الرجل الذي كان صياداً أن يستطيع تعيين مكان فريسته وتتبع حركتها عن بعد. وهكذا تطور لديه ما يشبه القناع الجانبي الحامي للعيون ليضمن تركيز نظره على الهدف. اما المرأة فخاصية الرؤية الجانبية عندها تسمح لها بملاحظة أية طيور جارحة تحوم حول مكان إقامتها وبمتابعتها. وهذا يُفسِّر سلوك الرجل المعاصر الذي نادراً ما يعثر على الأشياء التي يبحث عنها في الخزائن والدروج والثلاجات بينما يجد طريقه بكل سهولة إلى حانة نائية.



زوايا رؤية النظر المختلفة لدى النساء والرجال

في بريطانيا العظمى بلغت حوادث السير على الطرقات عند الاطفال عام 1997/ 4132 حادثة بين قتلى وجرحى: منهم 2640 صبياً و 1492 فتاة.

أما في استراليا فقد بلغ عدد الذكور المصابين ضعف الإناث. أي أن الصبية كانوا أكثر رعونة أثناء عبور الشارع وكانت الرؤية الجانبية لديهم أكثر محدودية، وهما السببان اللذان أديّا إلى هذه النسبة الأكثر ارتفاعاً لدى الذكور.

لماذا ترى عيون المرأة الكثير

إن الشبكية تستقبل عدة ملايين من النقاط الضوئية، بما يعادل مئة ميغابايت، ولكنها لا تستطيع أن تعالج إلا جزءاً من هذا السيل المتدفق من المعلومات، وهو الجزء الضروري من أجل البقاء. وإليكم هذا المثال: في اللحظة التي يفهم فيها الدماغ ألوان السماء لأول مرة، ينتقل مباشرة لملاحظة اللون الأهم، وهو في مثالنا اللون الأزرق، لأن الدماغ يجعل حاسّة البصر تركزّ على أمر واحد مميز. فعند البحث عن إبرة وقعت منا على السجادة تصبح زاوية النظر عندنا ضيقة. وتبقى زاوية النظر [في هذه الحالة ايضاً] عند المرأة أوسع مما هي عند الرجل، ومردّ هذا ماضي المرأة في حماية مسكنها.

علبة الزبدة المفقودة

هذه المحادثة لابد أن تكون قد حصلت، ولو لمرة واحدة، بين كل رجل وامرأة وقفا معاً أمام الثلاجة المفتوحة:

"دافيد": «اين علبة الزبدة؟»

"جين": «في البراد»

"دافيد": «لقد نظرت إلى داخل الثلاجة ولم أجد شيئاً»

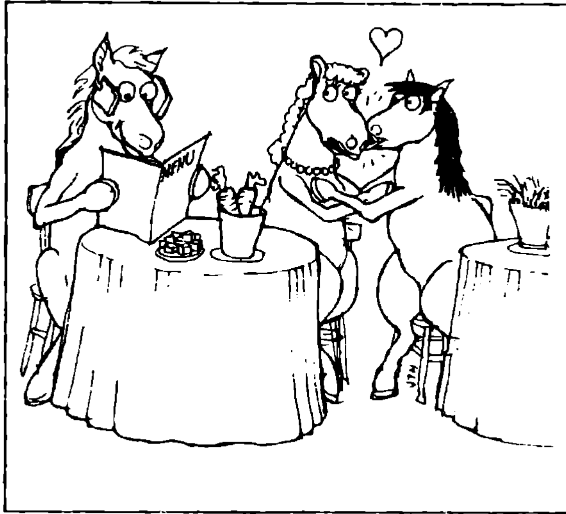
"جين": «ولكن العلبة موجودة هناك، فقد وضعتها بيدي منذ عشر دقائق»

"دافيد": «لاشك أنك وضعتِها في مكان آخر! . في هذه الثلاّجة بالذات، لايوجد أثر للزبدة».

عند هذا الحد من المناقشة، تقترب "جين" من الثلاجة بخطوات واسعة، وتمدّ يدها داخلها، وتمسك بيدها السحرية علبة الزبدة.

ان الرجال، الذين ليس لديهم تجربة كافية، يظنون بأن النساء يضعن الأشياء في الخزائن والدروج بشكل يضلّلنَ فيه عن قصد الرجال بنيّة الاستهزاء بهم. الأحذية، الملابس الداخلية، الجوارب، الزبدة، المربى، مفاتيح السيارة، حافظة النقود: كلها أشياء موجودة لكن الرجال لا يرونها، انما تراها النساء.

وهذا يعود إلى خاصية الساحة البصرية العريضة (المنظر الجانبي) لديهن، حيث يستطعنَ، دون أن يحركنَ رؤوسهن، أن يُدركنَ موجودات الثلاجة أو الخزانة. أما



لا نستطيع يا حبيبتي ان نستمر في اللقاء على هذا الشكل.
فقد يقرر «سام» فجأة أن ينزع القناع الجانبي عن رأسه![1]

---

1. يُستعمل القناع الجانبي كغطاء للرؤية عند حيوانات الجر، كي لا تجفل أثناء تركيزها على القيام بوظيفتها. "المترجم"

الرجال فإنهم يديرون رؤوسهم إلى الأعلى والأسفل، إلى اليمين واليسار باحثين عن الشيء المفقود.

هذا الاختلاف في حاسة البصر بين المرأة والرجل له تطبيقات عملية كثيرة في حياتنا. إذ تدل الاحصائيات على أن النساء يتسببن في حوادث سير أقل من الرجال إذا ما تعلّق الأمر بملاحظة السيارات الأخرى القادمة من الجوانب وعلى التقاطعات الطرقية. وعلى عكس ذلك يصطدمن بالاشياء من الأمام أو من الخلف أكثر من الرجال عند صفّ السيارة... وهذا يعود إلى ملكة التصوّر المكاني التي يتمتعّن بها بدرجة أقل من الرجل.

بإمكان المرأة ان تتجنب الكثير من العناء إذا أدركت أن الرجل يستصعب رؤية الأشياء التي تقع مباشرة قرب أنفه. وعندما تقول للرجل إن «الشيء الذي تبحث عنه موجود في الخزانة»، فعليه أن يصدّقها ويتّبع إرشاداتها.

لماذا تراقب عيون النساء الرجال

إن خاصية الرؤية الجانبية العريضة هي التي تشرح لنا كيف أننا لانستطيع، إلا فيما ندر، أن نضبط المرأة بالجرم المشهود وهي تراقب الرجل.

إن كل رجل، سيسمع من كل بدّ[من امرأة] ولمرة واحدة على الأقل في حياته أنه «يبصبص» على امرأه أخرى! أما العكس فلا نسمعه إلا نادراً. ويؤكد الباحثون في علم الجنس في كل العالم أن النساء يتابعون الرجال بنظراتهم بالقدرة نفسها، إن لم يكن أكثر، ولكنهن لا يُضبطن بالجرم المشهود بسبب قدرتهن على المشاهدة الجانبية دون أن يلفتنَ النظر إليهن.

اليقين من خلال المشاهدة

قلائل هم الذين يؤمنون بأشياء لم يروها. لكن هل يمكن الاعتماد فعلاً على مجرّد النظر؟

يعتقد ملايين الناس بوجود الصحون الطائرة علماً بأن 92 % من حالات مشاهدتها كانت مساء يوم سبت، بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً أي بعد أن تقفل الحانات أبوابها، وفي مناطق نائية. لم يشاهد هذه الصحون الطائرة لا رئيس دولة ولا رئيس مجلس وزراء، كما أنها لم تحطّ لا قرب مباني الجامعات ولا قرب البيت الابيض في واشنطن ولا قرب مختبرات ضخمة. وهي لا تحط أبداً عندما يكون الجو سيئاً.

ولكي يُظهر أن صورة واحدة تثير مشاهدات مختلفة عند كلٍّ منا، قام الباحث «ادوارد بورينغ Edward Boring» بوضع رسمين مختلفين. غالبية النساء رأت في الرسم (أ) امرأة مسنة تخفي ذقنها في ياقة معطفها الفرو بينما رأى الرجال في الرسم نفسه «بروفيلاً» يسارياً لوجه امرأة شابة تشيح بوجهها.

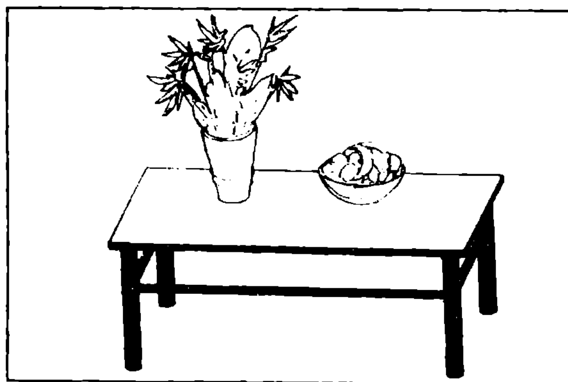


الرسم أ

ماذا ترون في هذه الصورة؟

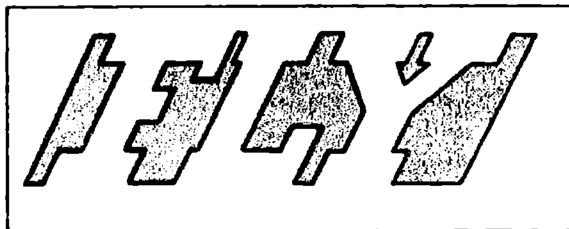
الرسم (ب) يشكل مثلاً آخر يُظهر أن ليس كل ما يراه المشاهد هو موجود فعلاً في اللوحة.

في الرسم (ب) يُغرَّر بالدماغ ليعتقد بأن حرف الطاولة الخلفي أطول من حرفها الأمامي. النساء يجدنَ هذا مسلياً. اما الرجال فيبحثون عن المسطرة ليقيسوا بها طول الحرفين ويحرصون على ايجاد البرهان.



الرسم ب

في الرسم (ج) يركّز الدماغ على المناطق المظلمة فتبدو اللوحة وكأنها مجموعة غريبة من الأشكال الهندسية. وعندما ننظر إلى الرسم من زاوية أخرى مركّزين على المساحات البيضاء تظهر لنا كلمة «FLY» بالانكليزية. وعلى الأرجح فإن المرأة ترى كلمة FLY [1] أما دماغ الرجل فيبقى مركزاً على الاشكال الهندسية.



الرسم ج

1. Fly : طيران. "المترجم"

لماذا على الرجال أن يقوموا بالسفر ليلاً؟

في الحقيقة تستطيع النساء أن ترى في الظلام أفضل من الرجال خاصة في المجال الأحمر لألوان الطيف، إنمّا يقدر الرجال على الرؤية بعيدة المدى وذات الحدود الضيقّة بشكل أفضل من المرأة، الشيء الذي يجعل السفر ليلاً أحسن وأكثر أماناً عنده. وإضافة إلى الإمكانية الأفضل عند الرجل فيما يخص الشعور بالتصور المكاني والتي تتوضع في القسم الأيمن للدماغ، يستطيع الرجل في المحصلة أن يميّز ما بين مناورات السيارات أمامه وخلفه ويعي حركاتها.

إن غالبية النساء تشتكي من أمر يشبه العمى الليلي: لا يُميزنَ جهة الشارع التي تتحرك عليها العربات المتجهة نحوهن، بينما يسهل التعرف كثيراً على هذا الأمر بالنسبة للرجل الذي يمتلك نظرة الصياد. وهذا يعني عملياً بأنه من الأفضل أن يقود الرجل السيارة أثناء السفر ليلاً. ورغم أن المرأة ترى في الليل تفاصيل أكثر من الرجل ومجال رؤيتها أوسع، إلا أن هذا يصح فقط ضمن المسافات الأقصر.

> عندما يتعلق الأمر بسفرات طويلة بالسيارة من الأفضل أن يقود الرجل ليلاً، والمرأة نهاراً.

إن أعين الرجال تتعب أسرع من عيون النساء عند قراءة جريدة أو النظر إلى شاشة الحاسوب وذلك لأنهم يضطرون إلى إعادة معايرة نظراتهم المبرمجة بالأساس على المسافات البعيدة. وخلافاً لذلك فإن عيون المرأة مناسبة أكثر للرؤية القصيرة المدى لأن دماغها مبرمج على ممارسة الحركات المتناسقة، وبالتالي فالمرأة العادية تصبر أكثر على الأعمال الدقيقة، ولا تجد من الصعب عليها أن تدخل خيطاً في ثقب إبرة أو أن تقرأ معلومات من على شاشة الكومبيوتر.

لقرون مضت كانت النساء تُحرق في الساحات لأنهن يملكن «قوى غير بشرية» وقد اعتُبرت موهبة التنبؤ في امكانية استمرار علاقة بين شخصين أم لا من ضمن تلك القوى، وكذلك مواهب اكتشاف الكذب وإظهار الحقيقة والتكلم إلى الحيوانات. في العام 1978 قمنا بتجربة لصالح برنامج تلفزيوني اختبرنا بها قدرة النساء على فهم لغة الجسد وتعابير الوجه عند الرضع. لقد أخذنا فيلماً بعدة لقطات مدة كل منها عشر ثوانٍ لأطفال حديثي الولادة، وطلبنا من الامهات ان يشاهدن تلك اللقطات دون صوت. وبذلك حصلت الأمهات على معلومات بصرية فقط.

كانت النتيجة ان استطاعت أكثر الأمهات تعداد كثيرٍ من أسباب بكاء هؤلاء الاطفال، وبشكل سريع جداً، من جوع وألم وتعب وتجمّع غازات. وعندما فعلنا الشيء نفسه مع الآباء كانت النتيجة هزيلة إذ استطاع أقل من 10 % من الآباء أن يذكروا أكثر من سببين للبكاء، وحتى عند هؤلاء الآباء راودنا الشك بأنهم يتحزّرون. وكثير منهم صاح واثقاً من حكمه: «هذا الرضيع يحتاج إلى أمه!». إن غالبية الرجال أظهروا فقط إمكانية محدودة تميّز بين أنواع البكاء. ولقد بحثنا في ردود فعل الجد والجدة لكي نعرف ما إذا كان للسن دور في ذلك. وحصلنا على نتيجة أن غالبية الجدات، بنسبة 50-70 % قياساً إلى الامهات، نجحن بمعرفة أسباب البكاء، أما غالبية الجدود فلم يكونوا يميزّون حتى حفيدهم.

وفي دراسة أجريناها على التوائم من بويضة واحدة، وجدنا أن الجدود لم يستطيعوا تمييز فردي أحد التوأمين عن الآخر بينما جميع الإناث في الأسرة لم يجدن أي صعوبة في ذلك. وفي أفلام السينما التي تتحدث عن استبدال فرد من توأم وحيد البويضة بالآخر، لا تصبح القصة في حقيقة الأمر مقنعة إلا إذا كان التوأم أنثى من الإناث والمخدوعون هم ذكور لأن اللعب بهم أسهل بكثير من الإناث. وفي قاعة ما، موجود فيها خمسون شخصاً، تحتاج المرأة وسطياً إلى عشر دقائق لتحلل العلاقات بين الأزواج

الموجودة. فعندما تدخل امرأة قاعة، تعمل حسّاساتها (sensors) بشكل آلي وسريع جداً لتزودها في وقت يثير الاعجاب بقصره، بمعلومات عن كل شريكين: من يعيش مع من بسلام، من يعيش مع من بنكد، من يغازل من، من هن النساء اللواتي يحببن الظهور، ومن منهن لطيفات وودودات.

وقد راقبنا الرجال في الوقت نفسه بوساطة كاميرات وكانت الصورة مختلفة تماماً عن النساء: فالرجل عندما يدخل غرفة يبدأ بتفحص المكان وتحديد مداخله ومخارجه.

وهذا يعود إلى خصائص الرجل البدائي الذي بُرمج دماغه على إمكانية العدوان عليه ومسؤوليته في إيجاد سبل للهرب. ثم يبدأ الرجل بالبحث في الغرفة عن الوجوه المألوفة واحتمالات وجود أعداء. ثم يحاول أن يعرف بأي طريقة بُنيت تلك الغرفة وكيف تم تقسيمها. إن جهاز تفكيره المنطقي يسجل الأشياء التي يجب أن تُصلَّح في الغرفة أو تُثبّت كزجاج مكسور مثلاً أو لمبة محروقة. أثناء ذلك تكون المرأة قد صنَّفت وجوه الموجودين في الغرفة، وماذا يفعلون وكيف أحوالهم.

لماذا لا يستطيع الرجال الكذب على النساء

لقد بيّنت بحوثنا في مجال لغة الجسد بأن التواصل وجهاً لوجه لا يعتمد على الإشارات السمعية إلا بنسبة 20-30 % بينما الإشارات غير الصوتية تشغل حيزاً يبلغ 60-80 % أما النسبة المتبقية والتي تبلغ 7-10 % فهي تتعلق بموضوع الحديث.

وهنا تلعب المستقبلات الحسية، الأكثر تطوراً عند المرأة، دورها في استقبال المعلومات وتحليلها. إن دماغ المرأة مجهز بإمكانية التبادل السريع بين نصف الكرة المخيّة، فهي أسرع من الرجل في الربط ما بين الاشارات السمعية والبصرية التي تتلقاها، وفي فك رموزها.

ولهذا السبب فإنه من النادر أن يستطيع الرجل الكذب على المرأة إذا كانا واقفين وجهاً لوجه. وعلى العكس فهي تعرف أنه من السهل عليها أن تحتال على الرجل وهي

النساء أجهزة رادار متحركة

تنظر مباشرة في عينيه، هذا إذا كان الرجل المعني لا يمتلك الإحساس الكافي الذي يجعله يلحظ التناقض الداخلي الذي تقع فيه المرأة ما بين إشاراتها الكلامية والأخرى غير الكلامية. فمثلاً تستطيع غالبية النساء أن تمثل دور الوصول إلى الذروة الجنسية. إذاً، فعلى الرجل، إن أراد أن يمرّر كذبة ما، أن يفعل ذلك عن طريق الهاتف، أو من خلال رسالة كتابية، أو في الظلام الدامس ورأسه مخفي تحت غطاء سميك.

كلنا آذان صاغية

كان لأسلافنا من البشر آذان شبيهة بآذان الكلاب والقطط والأحصنة. إن أذن الكلب تستطيع أن تلتقط ذبذبات سريعة لا تستطيع الأذن البشرية أن تميزها، فالتواترات

التي تستطيع أذن الكلب أن تسمعها تبلغ 50,000 في الثانية. بينما لا يستطيع الطفل الرضيع من جنس الإنسان أن يميز إلا تواترات تبلغ 30,000 بالثانية، وتنخفض في سن العشرين إلى 20,000 في الثانية وتصل إلى حد أدنى يبلغ 12,000 في الثانية في سن الستين. وتُجهّز أجهزة الصوت «الستريو» عادةً باستطاعة تبلغ 25,000 ذبذبة في الثانية وهذا له مؤشر آخر وهو أنه من الإسراف بمكان إهداء جهاز كهذا للجدين، لأن سمعهما سيبقى محدوداً مهما كانت دقة الجهاز الصوتية [1].

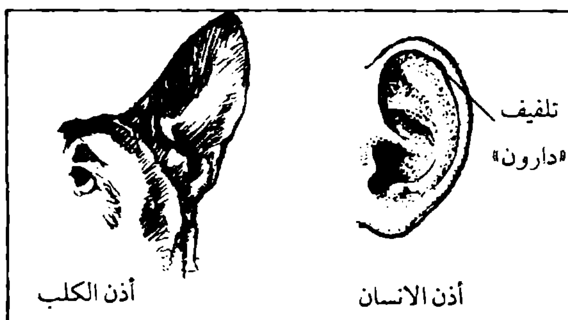
إن في الأذن البشرية بقايا لتسع عضلات يستطيع 20 % من الناس أن يحركوها. ومع تطوّر الإنسان أصبحت الأذن البشرية غير متحركة كما هي لدى الحيوان، لأنه يمكن للرأس البشري أن يستدير باتجاه الصوت. وأخذت حواف الأذن شكلاً مستديراً وذلك لتخفيف تأثير الضوضاء الجانبية وتخميد الأصوات المشوّشة في آن معاً. لقد وصف العالم "تشارلز دارون Charles Darwin" الاستطالة الموجودة داخل صيوان الأذن البشرية على أنها بقايا ذروة الأذن الحادة الموجودة عند أسلافنا وسماها «بتلفيف دارون».

إنها تسمع بشكل أفضل

إن النساء تسمع أفضل من الرجال، وتميّز الأصوات العالية بشكل متميز. فدماغ المرأة مبرمج على سماع بكاء أطفالها في الليل بعكس الرجل الذي يستغرق في النوم غالباً دون أن يلاحظ شيئاً. عندما يُسمع مواء قطة عن بُعد فإن المرأة تسمع ذلك لكن الرجل يستطيع دون تفكير أن يخبر عن مكان تلك القطة، بما أنه يتمتع بشكل أكثر تطوراً بخاصيّة التصور الفراغي والتعرّف الأفضل على المكان.

---

1. إن الاستطاعة العالية تؤثّر أيضاً في نوعية (جمالية) الصوت. "المترجم"



> إن صوت تنقيط صنابير المياه في الليل يمنع النساء من النوم بينما يستمر الرجال في النوم وهم يشخرون بوداعة.

إن أنثى رضيعة تستطيع ان تميّز صوت أمها وبكاء رضيع آخر موجود معها في غرفة واحدة منذ الأسبوع الأول من عمرها. بينما لا يستطيع الذكر الرضيع ذلك. وهذا دليل على أن دماغ الأنثى يستطيع تميز وتصنيف الأصوات وتحديدها. ومن هنا نستدل كيف أن المرأة تقدر أن تدير حديثاً مع شخص ما وتنصت إلى حديث شخص آخر في الوقت نفسه، بينما يجد الرجل صعوبة في متابعة محادثة ما إذا كان التلفاز دائراً أو كان هناك في الخلف صوت صحون تُجلى. عندما يرنّ الهاتف يطلب الرجل عادةً من الحاضرين أن يصمتوا وأن يُطفأ جهاز التلفزيون ويُخفض صوت الموسيقا كي يستطيع أن يستقبل المكالمة، بينما تتجه المرأة مباشرة إلى الهاتف دون أن تطلب شيئاً.

النساء يقرأن ما بين السطور

تمتلك النساء سمعاً أفضل عندما يتعلّق الموضوع بالتغيرات الدقيقة لقوة وعلوّ الأصوات، لهذا لا يَغفلنَ عن تمييز التغيرات في المشاعر والأحاسيس عند الصغار والكبار إلا فيما ندر. إن نسبة النساء اللواتي يستطعن الغناء بشكل صحيح دونما عناء إلى الرجال هي نسبة 1/ 8 (ما هذه النُدرة!)، وبهذه الخاصية نستطيع أن نفهم الجملة

التي تستعملها النسوة كثيراً مع الصبيان والرجال: «لماذا تخاطبني بهذه اللهجة؟». ويمكن الجزم في هذه الحالة بأن الرجال لا يفهمون قصد النسوة من هذا الكلام ولا يدرون معناه.

وقد أظهرت التجارب أن رد فعل البنات الرضّع على الأصوات يساوي ضعفَي ما هو عند الصبيان الرضع؛ لذلك يهدأن أسرع بكثير من الصبيان حينما يُداعبن بالكلمات الملّحنة الرفيعة. وتغني الأمهات بالفطرة أغاني النوم لبناتهن، بينما يتحدثن ويلعبنَ على الأغلب مع الصبيان ليركنوا. هذه الميّزة، في كون سمع المرأة متميزاً، تلعب دورها في كلامنا عن «الحدس الانثوي» وهي تفسّر سبب قدرة المرأة في أحاديثها أن تقرأ ما بين السطور. وعلى الرجال هنا ألاّ يقنطوا لأن قدراتهم في التعرّف على أصوات الحيوانات وتقليدها تتميز عن المرأة، كونهم صيادين سابقين. ولكن مع الأسف أصبحت منافع هذه الميزة في يومنا هذا موضع شك!

الرجال يستطيعون سماع جهات الأصوات

صحيح أن المرأة تستطيع تمييز الأصوات بشكل أفضل لكن الرجال يستطيعون التعرّف إلى الجهة التي تأتي منها تلك الأصوات. هذه الميزة، إضافة إلى ميّزة التعرف إلى اصوات الحيوانات وتقليدها تجعل منهم صيادين مهرة. كيف اذاً يتحول الصوت من خلال الدماغ إلى خريطة؟. لقد أجرى البروفسور "مازا كازو كونيشي Masakazu Konishi" من معهد كاليفورنيا للتقنيات بحوثاً على طائر البوم، والطيور تستطيع تمييز منشأ الصوت بشكل أفضل من البشر. وما إن يسمع البوم بالذات صوتاً حتى يدير رأسه اليه وينظر إلى الجهة القادم منها. وقد اكتشف "كونيشي" في مركز السمع بدماغ البومة مجموعةً من الخلايا وظيفتها تجميع الاحداثيات الدقيقة لمصدر الصوت وإرسالها إلى كل أذن على حدة بفارق زمني يبلغ واحداً على مليونين من الثانية، ويسمح هذا الزمن للدماغ بأن يرسم خريطة ثلاثية الأبعاد للمكان الذي قَدِم منه الصوت. وعندما

تدير البومة رأسها إلى جهة الصوت تستطيع أن تحدّد مكان الفريسة لتنقضّ عليها أو مكان العدو لتهرب منه. ويبدو أن هذه العملية موجودة أيضاً لدى الرجال.

لماذا لا يستطيع الصبيان الإنصات

غالباً ما يُعاقب الصبيان من قبل أساتذتهم وأهاليهم لأنهم لا ينصتون. وفي مراحل نموهم، وخاصة عندما يبلغون سن المراهقة، تبدأ الصعوبات بحاسة السمع بالظهور مترافقة بموجات الاكتمال عندهم.

ولقد لاحظ الناس أن المعلمات ينتقدن البنات بشكل مختلف عن الصبيان لأنهن يعين، باللاوعي، اختلاف السلوك السمعي بين البنت والصبي. فعندما توبّخ المعلّمة تلميذة وتشيح هذه بنظرها، تستمر المعلّمة بالقاء انتقاداتها. أما إذا كانت توبخ تلميذاً، وأشاح هذا بنظره، فستعلم المعلمة بحدسها ان هذا التلميذ لا يريد الإنصات إليها فتقول له. «انظر إليّ عندما أتكلّم معك».

وللأسف فالصبيان مفطورون على النظر أكثر من السمع. وهذا يمكن إثباته بسهولة عن طريق تجربة بسيطة. نرجو منكم ان تعدّوا عدد المرات التي ورد فيها حرف F في الجملة التالية:

Finished files are the result of years of scientific research

في حالة القراءة يميّز الصبيان عدد الأحرف بشكل أسرع، بينما في حالة التلاوة، أي عند قراءة الجملة على المسامع، تميّز الفتيات عدد الأحرف بشكل أفضل.

الرجال لا يلاحظون التفاصيل

كان "لاين" و"كريس" في طريق عودتهما بالسيارة إلى منزلهما، وكان "كريس" يجلس وراء مقود السيارة وهي تُملي عليه الطريق الذي عليه أن يسلكها. بعد قليل دب الخلاف بينهما لأنها قالت له بأن يأخذ الطريق اليساري وكانت تقصد الطريق اليميني.

بعد 9 دقائق كان صمتها يخفي شراً.

سأل هو «هل الأحوال على ما يرام يا حبيبتي؟»

ردّت هي « الأمور على أحسن ما يرام»

وكان التأكيد على كلمة «أحسن» دليلاً على ان العكس هو الصحيح. وهنا استعرض أحداث السهرة في خاطره وقال لها:

«هل ارتكبت خطأً ما هذا المساء؟»

أجابت مزمجرة «لا أريد ان أتحدث عن ذلك»

هذا يعني بأنها غاضبة وبأنها تريد الحديث. وهو لايفهم، رغم نيته الطيبة في المحاولة، ماالذي أثارها مجدداً.

«ولكن، ماذا فعلتُ؟»، بدأ بالحديث مندهشاً، «لاأعلم بماذا أخطأت؟» في مثل هذه الحالات يقول الرجل الحقيقة في أغلب الأحيان. هو لا يعرف فعلاً أين تكمن المشكلة.

«حسناً!»، قالت هي، «سأقول لك ما هي المشكلة مع أنه يكفيك تظاهراً بعدم المعرفة»! ... لكن الحقيقة أنه لا يتظاهر بل لا يعلم فعلاً فحوى الأمر.

أخذت هي نفساً عميقاً وقالت: «كانت تلك اللعوب تلاحقك طيلة الأمسية وتغازلك بشكلٍ مخزٍ ولم تَقُم أنت بأدنى فعل لتتخلصّ منها، بل على العكس كنتَ تشجعها!»

أُصيبَ «كريس» بصدمة قوية. أية لعوب بحق الآلهة؟ هو غازلها؟ متى؟ لم ينتبه إلى شيء من هذا. ولم يلاحظ فعلاً أنه أثناء محادثته مع إحداهن "اللعوب" (وهو تعبير مستعمَل عند النساء بينما يعتبر الرجال امرأة كهذه "مغرية")، بأنها دفعَت بحوضها نحوه وقدّمت قدمها مشيرة إلى ناحيته وألقت بشعرها إلى الوراء ومشت بيدها على فخذها ورمته بنظرات طويلة وبدأت تداعب ساق كأسها بأصابعها وحادثته بصوتٍ ناعم مقلدةً بنات المدارس.

إن الرجل، لكونه صياداً، قادر على تمييز الحمار الوحشي عن بُعد رغم السرعة التي يتحرك بها ولكنه غير قادر على تسجيل الإشارات السمعية والبصرية وفهم لغة الجسد عند شخصٍ يغازل كما تفعل المرأة.



الرجال لا يلاحظون التفاصيل

لاحظتْ كل النساء في تلك الحفلة حركات تلك اللعوب، وفهمنها بدون أن يكلّفن أنفسهن عناء إدارة رؤوسهن. لقد جرى بث الرسالة من تلك المرأة وجرى نشرها عن طريق موجات كهربائية جسمانية واستقبلتها جميع الحاضرات في الحفلة. أما أكثرية الرجال فلم ينتبهوا نهائياً إلى ما جرى.

عندما يدّعي رجل بأنه لم يلاحظ شيئاً فهو على حق في أغلب الاحيان، لأن الدماغ الذكري غير مبرمج لملاحظة التفاصيل.

إن الاتصال باللمس يمكن أن يكون هاماً لاستمرار الحياة. فقد أجرى العالمان "هارلو Harlow" و "تسيمرّمان Zimmerman"[1] تجارب أظهرت أن نقص العناق لدى صغار القردة قد يؤدي إلى الإصابة بالأمراض والاكتئاب وحتى إلى الموت المبكّر. كما أظهرت تجارب على أطفال منبوذين نتائج مشابهة، فقد أجريت الدراسة على أطفال رضّع تراوح أعمارهن ما بين العشرة أسابيع والستة أشهر، وتبيّن أن الأطفال الذين يشعرون بلمسات أمهاتهم يعانون من الإصابة بالبرد وأمراض المعدة والاسهال بشكل أقل، لافت للنظر. كما أظهرت دراسة أخرى على نساء عصابيات ومصابات بالاكتئاب أنهن تماثلن للشفاء بشكل أسرع بقَدَر ما استطعن أن يهبنَ من عواطفهن.

وقد وجد العالم في نشوء الخليقة "جميس بريسكوت James Prescott" صاحب الدراسة المبدعة عن تربية الأطفال والعنف، أن في المجتمعات التي لا يُلمس فيها الأطفال بحنان ترتفع معدلات العنف عند البالغين. إن الأطفال الذين تمتعوا بجو عائلي دافئ أصبحوا فيما بعد راشدين أكثر صحة وسعادة، بينما الذين اتسمت طفولتهم بانعدام العاطفة وبمظاهر النبذ والعنف أصبحوا مجرمين جنسيين يطلقون لغرائزهم العنان دون ضابط!، لقد عاشوا غالباً في ملاجئ وإصلاحيات. وفي المجتمعات التي تقلّ فيها الملامسة تكثر تربية القطط والكلاب التي توفر للإنسان ما ينقصه من اللمس، اذ يساعد ضمّ الحيوانات الأليفة ومداعبتها على الشفاء من الاكتئابات وبعض الأمراض النفسية الأخرى. ولنأخذ مثلاً الشعب الانكليزي، فهم يعانون بشكل واضح خوفاً من اللمس وازدراءً لكل مظاهر العاطفة، ولكنهم من جهة أخرى يحبّون حيواناتهم المنزلية بشكل كبير.

وقد قال عنهم "جيرمين غرير Germaine Greer": «يتظاهر الإنكليزي بأنه يقف وحيداً حتى ولو كان يُعصر في حافلة مترو مزدحمة بالركاب، وكان هؤلاء الركاب من أقاربه أو معارفه.»

---

1. في الألمانية، وفي الإنكليزية تصبح «زمّرمان» Zimmerman. "المترجم"

إن أوسع عضو في الجسم هو الجلد وتبلغ مساحته مترين مربّعين تتوزع على سطحه مستقبلات (receptors)، منها 2,800,000 للألم و 200,000 للحرارة و 500,000 للضغط واللمس. ومنذ الولادة تتأثر الفتيات بحاسة اللمس أكثر من الفتيان ويصبح الجلد لدى المرأة في سن البلوغ أكثر حساسية للمس والضغط بعشر مرات على الأقل من الرجل في الحالة العامة. ولكن هناك حالات خاصة يكون الذكر فيها بالغ الحساسية، ورغم ذلك تبقى النسبة واحدة (1/ 10) إذا ما قارنا هذا الذكر بأنثى تفوق حساسيتها الجلدية حساسية قريناتها. يكون الجلد الأنثوي أرق من الجلد الذكري ويمتلك طبقة دهنية إضافية تتوضع تحت سطحه (الجلد الانثوي) وتُعطي دفئاً في الشتاء، مما يجعل النساء أكثر مقاومةً للبرد من الرجال. يدعى الهورمون المسؤول عن إثارة خلايا التلمّس بالاوكسيتوسين[1]، وهو المسؤول عن خلق الحاجة للمس عند المرء. فليس من المستغرَب إذاً، أن النساء اللواتي يمتلكن مستقبلات تبلغ فعّاليتها عشرة أمثال ما هو عند الرجال، يشعرن بالحاجة لأن يَلمسن ويُعانقن ويَضممن أطفالهن وأزواجهن وأصدقاءهن. إن دراستنا عن لغة الجسد أظهرت أن النساء في العالم الغربي يلمس بعضهن بعضاً أثناء محادثة عادية من أربع إلى ست مرات أكثر مما يفعل الرجال بينهم، كما تستعمل المرأة في مفرداتها تعابير تتعلق باللمس أكثر من الرجل!. فمثلاً تصف المرأة الشخص الناجح بـ"ذي اليد الماهرة" وتصف فلاناً بأنه "صاحب جلد رقيق" أو "صاحب جلد سميك" وتفضل أن تبقى "على اتصال" وتتعامل بحذر مع الأشخاص "الذين تتحسس منهم". وتحب المرأة أن تتحدّث "عن المشاعر" وتعطي الأشياء "صفة شخصية" مصنِّفةً بعض الأشياء بأنها "مدغدغة" ومهاجمةً بعض الاشخاص "بالضرب على أعصابهم".

1. الأوكسيتوسين: هورمون يُفرَز من الفص الخلفي للنخامى، وهو مسؤول عن تقلصات العضلات الملساء للرحم. "المراجعة"

إمكانية أن تلمس امرأة امرأةً أخرى اثناء حديث عادي تبلغ من 4 إلى 6 مرات أكثر من إمكانية لمس الرجال بعضهم بعضاً في الظرف نفسه.

وتبين دراسة أُجريت على المرضى النفسيين، بأن الرجال المصابين منهم بالضغط النفسي يتجنّبون أية ملامسة مع الآخرين ويتقوقعون داخل عالمهم الخاص، بينما تميل أكثر من نصف النساء إلى التقرّب من الرجال، ليس بدافع جنسي، وإنما بدافع باطني لديهن للتقارب الجسدي. فعندما تحس المرأة بأن الرجل لا يتفاعل معها عاطفياً أو تكون غاضبة منه، نسمع منها في أكثر الأحيان الجملة التالية: «إياك أن تلمسني»، وهي جملة يتلقاها الرجال مستغربين. ماذا نتعلم من ذلك اذاً؟، نتعلّم أنه على الرجل أن يلامس المرأة مراراً، وضمن الأصول، حتى يلقى النجاح عندها وعليه أن يدع الفظاظة جانباً. ولكي نحصل على أطفال أصحّاء ذهنياً، علينا ألا نبخل عليهم بالمداعبة والضم مراراً وتكراراً.

لماذا يمتلك الرجال جلداً «سميكاً»؟

يمتلك الرجال جلداً سميكاً بالمعنى الحرفي للكلمة مما يفسّر كون التجاعيد تظهر على المرأة أكثر. ويكون جلد الظهر عند الرجل أثخن بأربعة مرات من جلد بطنه وهذا موروث حيواني كان ضرورياً حينما وجبت الحماية من الأعداء الذين ينقضون من الخلف. وعندما يبلغ الفتى "سن المراهقة" تتلاشى حساسية اللمس التي كان يمتلكها ليحل محلّها الخشونة التي يتطلبها جسم الصياد، إذ هو بحاجة لجلد قاسٍ لعبور الشجيرات والاشواك ولمصارعة الحيوانات ومقاومة الأعداء دون أن يشلّ الألم حركته. وحين يكون الرجل منهمكاً بعملٍ جسدي أو فعالية رياضية ما، فإنه غالباً لا يشعر حتى بجرحه.

في سن المراهقة لا يفقد الفتيان حساسية الجلد تماماً، انما تتركز هذه الحساسية في مجال معيّن.

وعندما لا يركّز الرجل على وظيفة معينة يقوم بها، يصبح أكثر عرضة للألم من المرأة. وحينما يتأوه قائلاً لزوجته: «حضّري لي حساء الدجاج أو اعصري لي كأس برتقال، أحضري كيس الماء الساخن أو اتصلي بالطبيب أو تأكدي من صلاحية وصيتي»، فعلينا أن نفهم عندها أن الرجل لا يعاني أكثر من نزلة برد خفيفة. في الوقت نفسه لايفهم الرجال النسوة اللواتي يعانين الآلام والأوجاع: فعندما تتلوى المرأة من الألم وتبلغ حرارتها الأربعين وهي ترتعد تحت أغطية الفراش من البرد يسألها الرجل «هل كل شيء على ما يرام يا حبيبتي؟». وهنا يفكر بعقله كما يلي: «ما دامت في السرير فقد ترضى أن تمارس الجنس معي إذا أشعرتها بأن توعكها ليس له أهمية»!

أما أمام جهاز التلفزيون فيُظهر الرجال مشاركة عاطفية كبيرة عندما يشاهدون لعبة كرة القدم أو ألعاب عدوانية أخرى كالملاكمة مثلاً: فعندما يقع الملاكم بالضربة القاضية تصرخ المرأة: «آه... لابد أن هذا مؤلم»، بينما تتقلص عضلات وجه الرجل وكأنه يشعر فعلياً بألم الضربة.

لا نستطيع الجدل حول الأذواق

تتفوّق حاسة الذوق وحاسة الشم عند المرأة عن مثيلتيها عند الرجل ويبلغ عدد مستقبلات الذوق عند الإنسان 10,000 يستطيع أن يُميز من خلالها أربعة أنواع من المذاقات: الحلو والمالح (تتوضع مستقبلاتهما على رأس اللسان) والحامض (يتوضع الإحساس به على حواف اللسان) والمرّ (على مؤخرة اللسان)، وتجري حالياً دراسات من قبل علماء يابانيين حول وجود حاسة خاصة تميّز كمية الدهن. ينفرد الرجال في التميز الأفضل للمالح والمرّ، لذلك فهم يتمتعون مثلاً بشرب البيرة، بينما تميز النساء الطعم الحلو بشكل أفضل ولهذا نجد المعجبات بالشوكولا أكثر بكثير من المعجبين. نرجع بهذه الخاصية إلى كون المرأة منذ القدم مسؤولةٌ عن المنزل وجامعةٌ للثمار، فلذا كان من المهم بالنسبة لها فحص نسبة السكر في المواد الغذائية وتعيين مدى نضج الثمار

وصلاحيتها لإطعام الصغار. وهذا يفسّر أيضاً حب المرأة للحلويات وكون أكثر الذواقين المحترفين من النساء.

شيء ما في الجو

إن حاسة الشم لدى المرأة أفضل مما هي عند الرجل. وتقوى هذه الحاسّة في وقت نضج البويضة عند الأنثى، إذ يصبح بإمكان أنفها أن يميز الروائح التي تفرزها الحيوانات والروائح الذكورية التي لا تصل إلى أنوفنا عادة. كما ان الدماغ الأنثوي مؤهل ليكتشف المناعة الجسمانية عند رجل ما: فعندما تكون هذه المناعة منسجمة مع مناعة جسم المرأة الخاصة أو أقوى منها يصبح للرجل جاذبية قوية، صعبة التفسير لديها، تجعلها منقادة له. وبالعكس، إذا كانت مناعته أقل من مناعتها فستجده غالباً محدود الجاذبية أو حتى غير جذاب على الإطلاق.

جهاز المناعة القوي عند الرجل يكسبه جاذبية مغناطيسية غريبة لدى المرأة.

اكتشف الاخصائيون العصبيون بأن دماغ المرأة يستطيع خلال ثلاث ثوانٍ بعد اللقاء بالرجل أن يقرر درجة المناعة عنده. والمناعات المتكاملة لدى الأبوين تصبح ذات فائدة لنسلهم، حيث ترتفع عندها احتمالات الاستمرار في الحياة من جراء ذلك. ومنذ اكتشاف هذه المعلومات ظهرت في الأسواق مستحضرات لا حصر لها من الزيوت والسوائل للرجال، الغاية منها، كما تقول الدعاية، استغلال القوة السحرية للروائح الحيوانية الجنسية على النساء وجذبهن ضمن دائرة يبلغ قطرها بضعة كيلو مترات!.

الحدس الأنثوي

إنّ تخصّص كلٍّ من المرأة والرجل بوظائف معينة عبر تطور التاريخ البشري زوّد كلاً منهما بخاصيات ومهارات تساعدهم على البقاء. وما يُسمى بالسحر والقوى فوق الطبيعية والحدْس الأنثوي أصبح بالامكان فحصهُ وقياسه منذ الثمانينات بطرق علمية.

وخلُصت النتائج الى أن مردّ الحدس الأنثوي، في أغلب الأحيان، يعُود إلى حساسية أجهزة استشعارها وتفوقها. ونادراً ما كانت «الساحرات» نساء مختلفات عن العاديّات، ولكن الرجال حكموا عليهن بالموت لأنهم لم يريدوا فهم الاختلافات البيولوجية الموجودة لديهن. هن بكل بساطة أفضل فيما يخصّ استشعار الفروق الدقيقة ولغة الجسد والتعابير السمعية والمدى الصوتي ومتغيرات أخرى مُرسَلَة من قبل المحيط. وحتى المرأة العصرية، في يومنا هذا، لا زالت تُنتقد بسبب قدراتها الأفضل على الاستشعار وبسبب بحثها الدائم عن توضيحٍ لها: فهي تصرف مالها، الذي جنته بعرق جبينها، في زياراتٍ متكررة إلى المنجّمين وقارئي ورق اللعب وذوي القدرات الخارقة.

قدرات الأنثى هذه هي التي تُساعد بقوة في البلوغ والرشد المبكريّن عند الفتاة. ففي سن السابعة عشرة تبلغ الفتاة مرحلة النضوج، بينما يبقى الفتيان في السن نفسها يلعبون ويتسمون بسلوك صبياني.

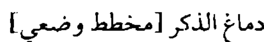
لماذا يوصم الرجال بانعدام الأحاسيس

لا يستطيع المرء القول بأن أجهزة الاستشعار عند الذكر قد أصبحت عبر مرور الزمن أضعف، إنما كانت تلك الأجهزة عند الأنثى دائماً أقوى. وتنتظر المرأة الآن من الرجل، مستندةً على مؤهلاتها الأفضل في هذا المجال، أن يفهم ببساطة إشاراتها الكلامية والجسدية والتعابير السمعية التي تستخدمها، وأن يقرأ كل حاجاتها «على الطاير» كما تستطيع هي أن تفعل. وبحسب ما ذكرنا آنفاً وبسبب مقتضيات تطورّ البشر لا يمكن لهذا أن يحدث. ولا يمكن للمرأة أيضاً أن تعتبر أنه على الرجل أن يفهم حتماً ما تريد وما تحتاج. وإن لم يتصرّف كما تتوقع هي، فستصفه بانعدام الأحاسيس وفقدان المعرفة. ونسمع في كل مكان أصوات الرجال ترتفع شاكية ومتسائلة: «هل نحن أنبياء لنعرف؟». لقد أثبتت الدراسات أن الرجال يقرؤون الأفكار بصعوبة، ولكنْ بإمكانهم أن يحسّنوا أنفسهم في مجال استشعار الإشارات غير الكلامية والسمعية، وألاّ يبقوا على ما هم عليه.

الفصل القادم يرينا، من خلال فحص مدهش، ماهية بناء الدماغ الذكري والأنثوي، التي ستوضّح لنا كيف ولماذا وصلنا إلى ما نحن عليه الآن.

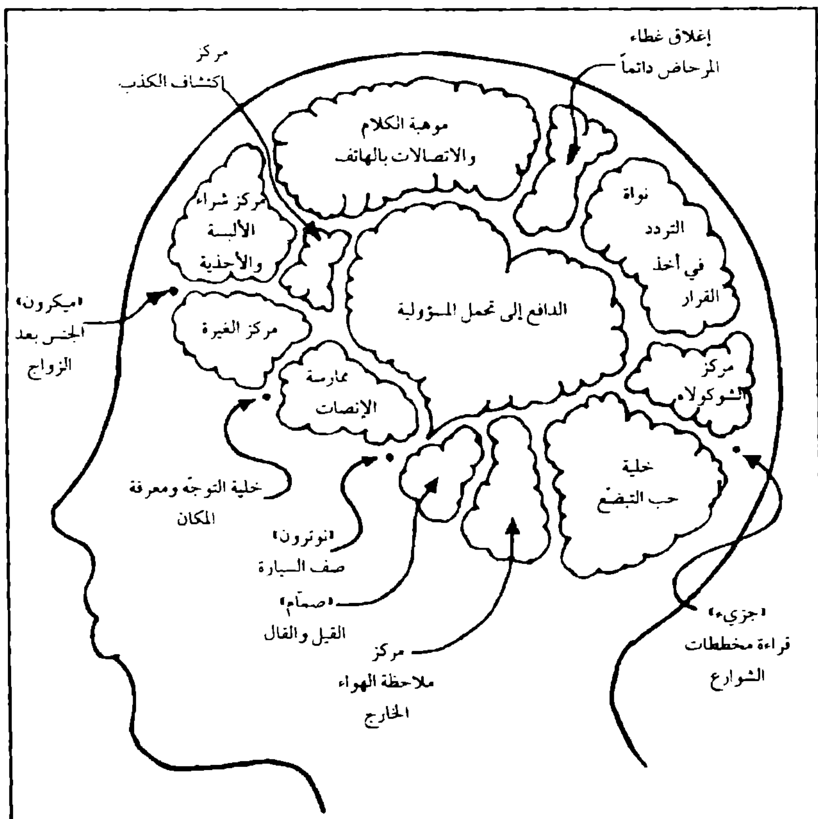
الفصل الثالث

كل شيء يحصل في الدماغ



دماغ الذكر [مخطط وضعي]

حقيقة أم خيال

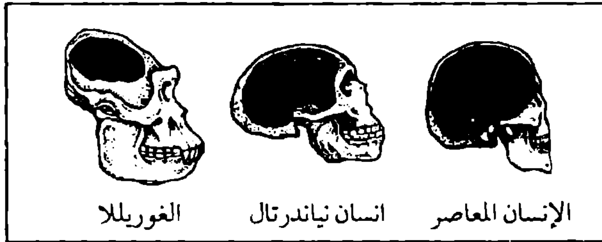


الدماغ الأنثوي [مخطط وضعي]

هذان المخططان المليئان بالفكاهة يبعثان على الضحك، لماذا؟، لأنهما يحملان في طيّاتهما ذرّة الحقيقة المشهورة. ولكن كم يبلغ حجم هذه الذرة؟. الجواب أنها أكبر مما يظن المرء. وسنهتمّ في هذا الفصل بآخر ما قدمه لنا علم تركيب الدماغ.

في هذا الفصل ستصبح كثيراً من الأمور المتعلّقة بهذا الشأن واضحة. وفي نهايته أجرينا اختباراً بسيطاً يمكن تعميم نتائجه، لتتمكّنوا من إيضاح أسباب عمل دماغكم كما يعمل عليه فعلياً.

لننظر إلى الرسوم التالية وسنجد أن هناك فرقَيْن واضحين للعيان يميّزان ما بين الغوريلا والإنسان الأول [إنسان نياندير تال]، والإنسان الحالي. أولاً: إن حجم دماغ الإنسان المعاصر يبلغ ثلاثة أضعاف حجم دماغ الغوريلا، ويزيد بنسبة الثلث عن حجم دماغ إنسان «النياندير تال». وتفيد دراسة المستحاثات بأن حجم الدماغ لم يتغير خلال الخمسين ألفاً من السنين الأخيرة، كما أن وظائفه لم تتغيّر بشكل يستحق الذكر. وثانياً: إن الجبهة عند الإنسان بارزة إلى الأمام، الشيء الذي لم يكن موجوداً عند الغوريلا وسلفنا من البشر. ويتوضع في مستوى الجبين مقدمتا الفصّين الأماميين للدماغ الأيمن والأيسر، اللتان تعطيان للإنسان بعض المهارات الخاصة كالتفكير والكلام والتوجه بقراءة الخرائط، وهذا ما يفسّر تفوق الإنسان على الحيوانات الأخرى جميعها.



وعلى صعيد مراكز القوى والمواهب والخصائص المتفرّدة، فقد تطوّر الدماغ الذكري والأنثوي بطرق مختلفة: فالرجال الذين كانوا مسؤولين عن الصيد والإجهاز على الطرائد طوّروا تكتيكاً وحسّنوا مهاراتهم للقضاء على الفريسة، كما أن قدرتهم على التعرّف إلى المكان بعيداً عن المنزل تطوّرت. وبما أنه لم يكن مطلوباً منهم، أن يكونوا محدّثين جيدين وأن يهتموا بالحاجات العاطفية، فإن المراكز الدماغية المسؤولة عن العلاقات مع الناس المحيطين بهم، بقيَت دون تطوّر.

وعلى العكس من ذلك كان الوضع بالنسبة للنساء، فقد كان عليهن أن ينظّمن أنفسهن داخل المغارة، وأن يسيطرن بنظرهن على الوضع من خلال الرؤية الجانبية

الواسعة، وأن يقمن بعدة أعمال في آن واحد وأن يتمتعن بخصال اجتماعية فعّالة. وبهذا نرى، أن كلاً من الدماغ الذكري والأنثوي تطورّ في مجالات متخصصة ليطابق الاحتياجات المختلفة.

وإذا ما ترجمنا ذلك إلى حياتنا اليوم فسيتوارد إلى ذهن البعض، أن الشكل الحياتي الذي ذُكر أعلاه يحمل تمييزاً سلبياً صارخاً بين الجنسين، وسنأتي على ذكر ذلك لاحقاً.

كيف يدافع الدماغ عن محمياتنا

نسمع من الأكبر بأن «ترك العادات المتأصلة شيء صعب بمكان». ويقول العلماء بأن هناك شيئاً يصعب تجاهله يدعى «الذاكرة الجينية»، وهي تشكل جزءاً من سلوكنا الفطري. ومن الواضح أن عشرات الآلاف من السنين التي أمضاها الإنسان وهو يسكن المغاور ويراقب محيطه ويدافع عن منطقة سكنه ويحلّ المشكلات الحياتية التي تعترضه دونما توقف، تركت آثارها عليه.

لنجلس في مطعم ونراقب الزبائن الموجودين فيه: غالبية الرجال يفضلون الجلوس وظهرهم إلى الجدار بحيث يستطيعون مراقبة المدخل. وبهذا الشكل يكونون منسجمين مع أنفسهم بحيث لا يستطيع شيء أو أحد أن يداهمهم من الخلف دون أن يلاحظوه، بالرغم من ندرة هذا الخطر في يومنا هذا، ما عدا اللهم فاتورة حساب دسمة!

أما النساء فلا يضيرهن الجلوس وظهرهن إلى المدخل، إلاّ إذا كنّ وحيدات مع أطفال صغار، ففي هذه الحالة يفضّلن الجلوس بهذا الشكل. وهذا ينطبق على غرف النوم، إذ نلاحظ أن الرجال ينامون دوماً على الجانب من السرير القريب من الباب، وهذا أحد الإسقاطات في يومنا هذا لدور الرجل في الدفاع عن مدخل المغارة. ودون أن يدرك الرجل السبب، ينام قلقاً إذا كان مع شريكته في منزل جديد أو في فندق، ونامت هي ناحية الباب. وستجد المشكلة حلاً مباشراً بمجرّد أن يأخذ هو الجانب القريب لباب غرفة النوم.

عندما يتحدث الرجال عن نومهم قرب الباب في بيت الزوجية يخلطون ما بين فعلهم هذا ليتمكنوا من الهرب إذا لزم الأمر ، والحقيقة القائلة بأنهم يتّبعون غريزتهم الدفاعية .

وعندما يكون الرجل غائباً تأخذ المرأة مكانه الدفاعي وتنام على زاويته من السرير . وتستيقظ المرأة منتفضةً إذا سمعت صوتاً رفيعاً يشبه صوت بكاء الرضيع ، بينما يستمر الرجل في شخيره نائماً بهناءة ، الموقف الذي يُغضب المرأة منه . أما دماغ الرجل فهو مبرمج كي يلتقط الأصوات المرتبطة بالحركات . وعلى سبيل المثال يستطيع صوت غصن متكسّر في الخارج ، في خلال أعشار الثانية ، أن يوقظ الرجل من نومه ليردّ مباشرة على الهجوم ، بينما تستمر النساء بالنوم في هذه الحالة ببساطة ، إلا إذا كان رَجُلها غائباً . عندئذ نلاحظ أن دماغها مبرمج ، ليأخذ دور الرجل وليميّز أي صوت أو أي حركة قد تهدّد «العش» .

الرأس يدفع نحو النجاح

لقد اعتقد الفيلسوف اليوناني «أرسطو» بأن مركز التفكير يقع في القلب وبأن الرأس يساعد فقط على تبريد الجسم . وهذا هو سبب ربط تعابير المشاعر بالقلب بشكل أو بآخر . قد نرى اليوم هذا مضحكاً ولكن ، حتى نهاية القرن التاسع عشر ، كان العلماء متفقين مع أرسطو بالرأي .

في عام 1962 حصل العالم "روجر سبيريّ Roger Sperry" على جائزة نوبل لاكتشافه بأن كل نصف كرة مخيّة مسؤولة عن وظائف فكرية مختلفة . وبالرغم من أن التقنيات الحديثة تمكننا من إلقاء نظرة إلى عمل الدماغ ، مازالت معرفتنا على مستوى وظائفه في البدايات . نعلم حتى الآن أن نصف الكرة المخية الأيمن مسؤول عن حركة الطرف الأيسر من الجسم وعن مجالات الإبداع ، أما نصف الكرة الأيسر فهو مسؤول عن حركة النصف الأيمن من الجسم وعن مجالات المنطق والعقلانية واللغة ، وخصوصاً

عند الرجال يكون النصف اليساري مركز اللغة والذخيرة الكلامية، أما النصف اليميني فهو يخزّن ويدير المعلومات البصرية.

واليساريون[1] أشد ارتباطاً بالنصف الأيمن المسؤول عن الإبداع. لذلك نجد كثيراً من عباقرة الفن يستخدمون يدهم اليسرى، أمثال "ألبرت آينشتاين Albert Einstein"[2] و"ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci" و"لُوِيس كارّول Lewis Carroll"[3] و"غريتا غاربو Greta Garbo" و"روبرت دونيرو Robert De Niro" و"بول ماكارتني Paul McCartney".

إن نسبة اليمينيين بين الناس تبلغ 90 %، ونسبة اليساريات من النساء تبلغ أكثر من نسبتها عند الرجال.

الأبحاث أفادت بأن النساء أفضل من الرجال بنسبة 3 % فيما يخص الإجابة عن أسئلة الذكاء العام.

حتى الستينيات من القرن الماضي، كانت الغالبية العظمى من المعلومات عن الدماغ البشري ناتجةً عن فحص جماجم الجنود الذين قُتلوا في الحروب. ويمكننا هنا أن نتصورّ عددها. ولكن المشكلة كانت بأن غالبية الجماجم ذكرية، والنتائج التي وُصل إليها عُمِّمت لتشمل الدماغ الأنثوي دونما تحفّظ.

أما الفحوص الحديثة فقد أفادت بأن الدماغ الأنثوي يختلف بشكل ملحوظ عن الدماغ الذكري في سير عمله. وهذا الاختلاف هو المسؤول عن غالبية المشاكل تقريباً التي تقع بين النساء والرجال.

---

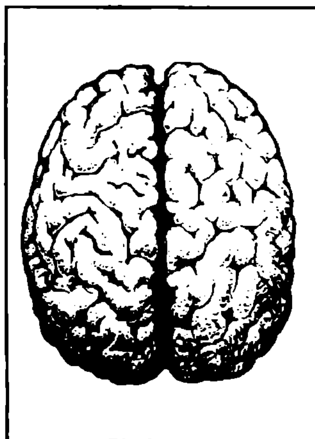
1. اليساريون: تعني الذين يستعملون يدهم اليسرى. "المترجم"
2. يضع المؤلفان العالم الفيزيائي ضمن عباقرة الفن. وقد تكون مواهبه الفنية العالية (الموسيقية) هي السبب في ذلك. "المترجم"
3. لُوّي كارّول: هو الاسم المستعار لكاتب الأطفال الإنكليزي المعروف بعمله الشهير: «أليس في بلاد العجائب». "المترجم"

إن الدماغ الأنثوي أصغر من الدماغ الذكري بما لا يُذكر دون أن يؤثر ذلك في وظائفه. وفي عام 1997 برهن العالم الدانمركي "بيرته پاكين برغ" من كوبنهاغن، بأن الرجل يمتلك 4 مليارات خلية عصبية إضافية عن المرأة، ورغم ذلك فهي تتفوق عليه، بما يخص الذكاء العام بنسبة 3 %.

ماذا يوجد في الدماغ وأين؟

فيما يلي ستجدون عرضاً لوظائف الدماغ بقسميه، أجمع عليه العلماء بشكل عام:

نصف الدماغ الأيمن	نصف الدماغ الأيسر
القسم الأيسر من الجسم	القسم الأيمن من الجسم
الإبداع	الرياضيات
المواهب الفنية	التعابير الكلامية
القدرة البصرية	المنطق
الحدس	الوقائع
الأفكار	اشتقاق الخاص من العام
القدرة على التصورّ	التحليل
التفكير العام	الأمور العملية
تذكرّ الألحان	النظام
الاستيعاب الكلّي	تذكر كلمات الأغاني
التعرّف على المكان	التفكير المباشر
القيام بعدة أعمال في وقت واحد	ملاحظة التفاصيل



وكل يوم تفتح لنا الأبحاث في تركيب الدماغ آفاقاً جديدة، تحتمل نتائجها تفسيرات مختلفة. ولكن هناك أموراً لا يختلف حولها العلماء والباحثون؛ فبوساطة المرنان

المغناطيسي[1] أصبح بالإمكان تحديد منطقة معينة وقياس موجاتها الدماغية وتعيين الوظيفة التي هي مسؤولة عنها، أي أنه بمساعدة المرنان المغناطيسي يمكننا رؤية الجزء من الدماغ الذي يتفعّل أثناء القيام بوظيفة محددة.

وعندما يصبح مركزٌ معينٌ في الدماغ، مسؤولٌ عن وظيفة أو مهارة معيّنة، مرئياً، عندئذ نفهم بأن الشخص المعني يمتلك تلك المهارة في الحالة الطبيعية ويقوم بالأعمال والمهمات التي تتيح له أن يستخدم من خلالها تلك المهارة.

إن غالبية الرجال يملكون في أدمغتهم مجالاً معيّناً يمكّنهم من الإحساس بالجهات الأربع، ولذلك فهم لا يواجهون أية صعوبة في التعرّف إلى المكان، ويشعرون بالسعادة عندما يخططون لفعاليات يستخدمون من خلالها هذه الخاصية ويندفعون إلى هوايات يستعرضون فيها مهاراتهم كالكشافة وتتبّع الأثر.

أما النساء فيمتلكن في عدة أماكن من دماغهن مراكز للكلام ولذلك فمهارتهن اللغوية ممتازة ونادراً ما يتلعثمن في إيجاد التعابير المناسبة. ولهذا نراهن منجذبات إلى وظائف تتطلب منهن إبراز تفوّقهن هذا بشكل مركّز كالتعليم وإعطاء الاستشارات. وعندما لا نجد عند شخص ما مكاناً واضحاً في دماغه لمهارة معينة، فهذا يعني أن هذا الشخص ليست لديه موهبة طبيعية ولا يشعر بالسرور عندما يمارس تلك المهارة. ولهذا

---

1. فيما يلي عرض للتقنيات المستعملة في الفحوص الدماغية وإشارة إلى الفروق فيما بينها:

أ - التصوير الطبقي المحوري: هو تصوير مقاطع كاملة للجسم بوساطة الأشعة السينية.

ب- المرنان المغناطيسي: هو أيضاً تصوير شرائح عبر الجسم ولكن بوساطة حقل مغناطيسي يعتمد على حركة ذرات الهيدروجين في الجسم.

جـ- التصوير باستخدام البوزيترونات أو الإلكترونات الموجبة Positron Emission Tomography (PET) وهو تصوير مقاطع للجسم أيضاً ولكنه يعتمد على إعطاء الغلوكوز المشع للشخص الذي يُصدر بوزيترونات، يمكن بمتابعة حركة الإشارة الصادرة عنها تحديد وظيفة المنطقة الدماغية المصوّرة أو درجة تفعّلها بمهمة ما، لأن له علاقة بكمية الدم الواردة للدماغ. "المراجعة"

من الصعب بمكان أن نجد أنثى تعمل كمهندسة استطلاع، وذكراً يعمل كاستشاري يلقى عنده المرء المواساة، أو مدرّساً للّغة الانكليزية أو الألمانية المتينة.

بدايات البحوث عن الدماغ

إن أولى الأبحاث عن الاختلاف الدماغي بين الجنسين أجريت في "متحف لندن» عام 1882 من قبل العالم "فرانسيس غاتّون Francis Gatton"، الذي توصل إلى أن الرجال أكثر تأثراً بشكل سلبي، من حيث التشنج الجسمي والألم، بالأصوات الحادة أو العالية. وفي الوقت نفسه، أظهرت دراسات أجريت في الولايات المتحدة أن الرجال يفضلون اللون الأحمر على الأزرق، ويتقنون فن الكلام من حيث صياغته وتركيبه، ويفضلون حل المشكلات التقنية على حلّ المشاكل المنزلية مقارنة مع النساء. وبالمقابل فإن النساء يتمتّعن بسمع مرهف أكثر، ومفرداتهن أكثر غنى، ويفضّلن أن يقمن بتنفيذ وظيفة محدودة أو حل مشكلة منفردة مقارنةً مع الرجل.

وقد بدأت البحوث على وظائف الدماغ عند مرضى أصيبت أجزاء من أدمغتهم بالعطب، ووصلت إلى نتيجة مفادها بأن الرجال يفقدون بشكل أو بآخر قدرتهم على الكلام وتذكّر المفردات إذا أصيبت لديهم نصف الكرة المخيّة اليسرى، بينما لا تكون النتيجة نفسها عند النساء لو أصيب الجزء نفسه؛ وفي ذلك دليلٌ على أن النساء لا يمتلكن مركزاً واحداً للكلام في أدمغتهن وإنما عدة مراكز. كما أن نسبة الإصابة بفقدان الكلام أو إعاقته تبلغ عند الرجال ثلاثة إلى أربعة أمثال ما هي عند النساء، وقدرتهم على التماثل للشفاء من إصابات الكلام أقل بكثير مما هي عند النساء. فمثلاً تؤدّي إصابة نصف الكرة المخيّة الأيسر عند الرجل إلى البكم بنسبة كبيرة بينما تبقى الأنثى المصابة بالمكان نفسه عادةً قادرة على الثرثرة كما في السابق. وإصابة نصف الكرة الأيمن يُفقد الرجل مقدرته على التصور المكاني والتفكير بشكل ثلاثي الأبعاد، أي القدرة على تصورّ الأشياء في عقله بشكل مقلوب ومنظور من عدة زوايا. فعلى سبيل المثال يتصور دماغ الأنثى مخططاً هندسياً لمنزل ما بشكل ثنائي الأبعاد بينما يراه دماغ الذكر بشكل ثلاثي

الأبعاد؛ أي أن الرجال قادرون على رؤية العمق، ويستطيعون أيضاً تصوّر الشكل النهائي للبناء بمجرّد نظرهم إلى المخطط الهندسي الثنائي الأبعاد.

وفي حين أن حصول الإصابة عند الذكر في الدماغ تُفقده القدرة على خاصّة التصوّر المكاني، لا تعطّل إصابة الأنثى، في المكان نفسه تماماً، خاصيّة التصوّر المكاني الأصلي عندهن إلا بشكل طفيف.

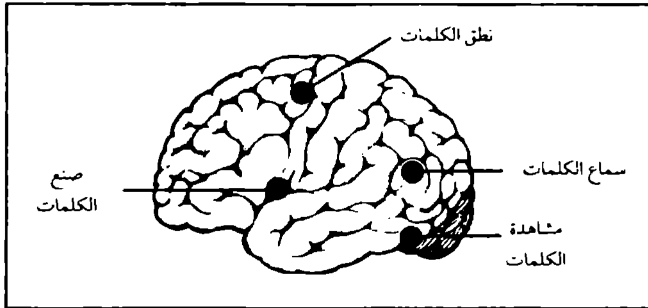
وقد توصّلت البروفسّورة في علم النفس "دورين كيمورا Doreen Kimura" من جامعة أونتاريو بكندا، إلى أن إعاقة الكلام عند الرجال تحدث حصراً عند إصابة نصف الكرة المخية الأيسر لديهم، بينما لا تحدث عند النساء إلا بإصابة مقدمة الدماغ بنصفيه. والتأتأة هي مرض يصيب الذكور بشكل شبه حصري ونجد في فصول تقوية اللغة أن عدد التلاميذ من الذكور يفوق عدد التلميذات بنسبة 3 إلى 4 أمثال. ويمكن إيجاز ما سبق ذكره بأن الذكور "محدودون" فيما يخصّ اللغة والمحادثة. هذه النتيجة لن تفاجئ إلا القليلات، إذ تؤكد الكتب عبر العصور بأن النساء لطالما اشتكين من قلّة رغبة الرجال في الكلام.

كيف يمكن تحليل وظائف الدماغ

إن التقدم الذي حدث في التسعينات من القرن العشرين في مجالات التصوير الطبقي للدماغ، مكّننا اليوم أن نتتبّع فعاليات الدماغ بشكل حي على شاشة. وتستعمل لهذا الهدف تقنيتان هما المرنان المغناطيسي والتصوير الطبقي باستخدام الإلكترونات الموجبة (PET). وقد قام "ماركوس رايتشل Marcus Raichle" من كلية الطب بجامعة واشنطن، بقياس الفعالية الدماغية الاستقلابية[1] والتي ساهمت بتحديد المراكز المسؤولة

1. عند قيام الدماغ بفعالية معينة كالسمع أو النظر أو التأمل تزداد كمية الدم الواردة إلى المركز المسؤول عن تلك الفعالية، ويزداد تركيز المادة المشعّة المعطاة له أثناء التصوير بالـPET أو المرنان المغناطيسي الوظيفي، ويظهر ذلك على الصورة المأخوذة وهذا ما يدعى بالفعالية الاستقلابية للدماغ. "المراجعة"

عن مهارات وأفعال معينة كما في الرسم التالي :



المناطق الدماغية المحددة بواسطة الرنين المغناطيسي

ذات الفعالية الاستقلابية العالية

وقد أجرى فريق علمي من جامعة يال بالولايات المتحدة، عام 1995 ، تحت إشراف الدكتورين "بينّيت Dr. Bennett " و "سالي شايڤيتس Dr. Sally Shaywitz " ، بحوثاً هدفت للكشف عن موقع تولّد القوافي في الدماغ . وقد استطاعا أن يؤكدا، بمساعدة المرنان المغناطيسي ومتابعة التغيرات في التروية الدموية الشَعرية في المناطق الدماغية المختلفة، أن نصف الكرة المخية الأيسر عند الرجال هو المسؤول عن اللغة بينما تستعمل النساء نصفي الدماغ في آن معاً . وقد أُجريت دراسات لا حصر لها في التسعينات من القرن الماضي أظهرت بشكل لا يقبل الشك بأن دماغي الأنثى والذكر يعملان بشكل مختلف .

> إذا ما سألتم نساءً ورجالاً عن رأيهم فيما إذا كان دماغ كل من الذكر والأنثى يعمل بشكل مختلف، فستكون الأجوبة على الشكل التالي : الرجال سيجيبون بأنهم يعتقدون ذلك، وقد قرؤوا في صفحات الإنترنيت آراء تسير في هذا الاتجاه؛ بينما ستجيب النساء دون أي تردد : «بلا شك»!

كما وصلت الأبحاث لأبعد من ذلك حين أثبتت بأن دماغ الفتيات أسرع من دماغ الفتيان. وهذا يعني بأنهن يتعلّمن الكلام والقراءة بشكل أبكر من الصبيان، ويتقنّ اللغات الأجنبية بشكل أسرع. وهذا هو السبب بأن عيادات المختصين بالإعاقات اللغوية تكتظ بالمرضى الذكور.

أما نصف الدماغ الأيمن فإنه يتطور لدى الفتيان بشكل أفضل حيث تتبلور خاصية التصور المكاني والتفكير المنطقي. لهذا نرى بأن الصبيان يتميزون في الرياضيات والبناء وصور الموزاييك Puzzle وحلّ المشاكل المستعصية ويتقنونها قبل البنات بكثير.

قد يكون من قبيل «الموضة» القول بأن الاختلافات بين الجنسين تبقى في نطاق الحد الأدنى أو أنها ليست ذات أهمية، ولكن الوقائع تثبت غير ذلك. نحن نعيش الآن للأسف ضمن نظام اجتماعي يعتقد ويصرّ على تساوي الرجل والمرأة، على الرغم من وجود براهين دامغة بأن الرجال والنساء مجهزون ومبرمجون على مرّ العصور بمواهب وميول متفرّدة وواضحة.

لماذا يمتلك دماغ الأنثى توصيلات أفضل

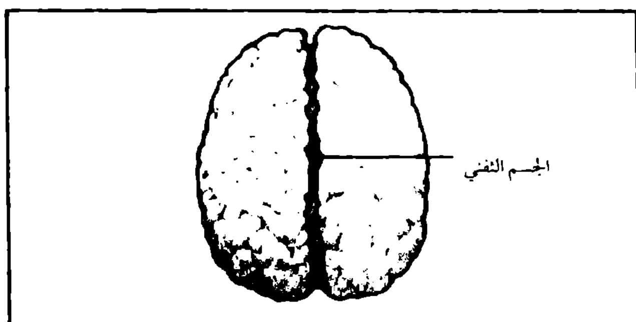
إن نصفي الدماغ متصلان أحدهما بالآخر بحبل عصبي من الوصلات يدعى الجسم الثفني. هذا الحبل مسؤول عن وصل الحوار والمعلومات بين نصفي الدماغ.

تخيّلوا بأنكم تحملون على كل من كتفيكم كومبيوتراً، وأن هذين الكومبيوترين متصلان أحدهما بالآخر عن طريق وصلة تدعى الجسم الثفني[1]. لقد أكد "روجر غورسكي Roger Gorski" طبيب العصبية في جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجليس أن هذا الحبل هو أكثر ثخانة في دماغ الأنثى بمقدار 30 % منه لدى الذكر وبالتالي فإن كمية التوصيلات لديها أكثر مما هي لدى الذكر بمقدار 30 %. وقد أثبت أيضاً أن قيام كل من الأنثى والذكر بالوظيفة نفسها، يفعّل في دماغ كل منهما أماكن مختلفة. ومنذ ذلك

---

1. «الجسم الثفني» هو الجسر الواصل بين نصفي الدماغ. المراجعة.

الحين والدراسات مستمرة من قبل علماء آخرين لتأكيد هذه النتائج .



الجسم الثفني

وقد أثبتت الأبحاث أن هرمون الاستروجين[1] الأنثوي ينشّط الخلايا العصبية ضمن الدماغ وما بينه، وبأن سرعة البديهة تتناسب طرداً مع كثرة التوصيلات الدماغية. وتوضّح كثرة التوصيلات لدى المرأة قدرتها على القيام بأعمال مختلفة غير مرتبطة بعضها مع بعض في آن واحد. وبالوقت نفسه يلقي هذا ضوءاً على مقولة الحدس الأنثوي: فكما ذكرنا آنفاً أن المرأة تمتلك جهاز استشعار أكثر رهافة من الرجل، وإذا ما أضفنا لذلك زيادة عدد التوصيلات لديها وصلنا إلى تفسير إمكانية اعتماد المرأة على حدسها في تقييم الأشخاص والمواقف خلال بضع ثوانٍ وبشكل مصيب.

لماذا لا يستطيع الرجال الإنجاز إلا بالتتابع

إن جميع الأبحاث في هذا المجال خلصت إلى النتيجة نفسها: وهي أن أدمغة الرجال بالغة الخصوصية ومليئة بالرفوف والأدراج أو بمعنى آخر بالتفاصيل. وأن دماغ الرجل مهيأ لأن يركز تماماً على حلّ وظيفة واحدة. وكثيراً ما نسمع من الرجال أنهم لا

1 . الاستروجين: هو الهورمون الأنثوي المفرز من المبيضين عند المرأة.

يستطيعون أن ينجزوا إلا الشيء تلو الآخر . ماذا يفعل الرجل مثلاً عندما يريد أن يبحث عن شارع في مخطط مدينة؟ بدايةً يُخفض صوت المذياع! وهنا نادراً ما نجد امرأة تتفهم ذلك . إذ أنّه يمكنها القراءة فيما هي تنصت وتتكلم ، فلماذا لا يستطيع هو فعل الشيء نفسه؟ لماذا يصرّ على خفض صوت التلفزيون عندما يرنّ جرس الهاتف؟ لماذا أحدثّه فلا يسمعني حينما يقرأ جريدةً أو يشاهد التلفزيون؟

كثير من هذه الشكاوى ومثيلاتها نسمعها من النساء في جميع أنحاء المعمورة .

والجواب هو أن دماغ الذكر مبرمج لأن يقضي أموره الواحد تلو الآخر وليس عدة أمور مجتمعة . وهذا مرتبط مع قلّة التوصيلات الدماغية لديه بغض النظر عن أن دماغه يتميز عن دماغ الأنثى بوجود مناطق فرعية تخصصية .



يستطيع الرجل إما أن يصغي أو أن يقرأ ولا يستطيع الجمع بين الاثنين

وعندما نرى دماغ الذكر بالتصوير الشعاعي أثناء قيامه بقراءة جريدة نجده في هذه اللحظات أصمّ تقريباً.

أما دماغ الأنثى فهو مجهّز ليقوم بفعاليات متعددة الوظائف وبوقت واحد ويكون دماغها نشطاً دائماً وليس بحالة سكون. فمثلاً تستطيع المرأة أن تتكلم على الهاتف وهي تطبخ وتشاهد التلفزيون في الوقت نفسه. كما أنها تستطيع في وقت واحد أن تقود السيارة وتسمع الراديو وتصلّح زينتها بينما هي تتكلّم على الهاتف المحمول من خلال الميكروفون (أي دون أن تمسك بالسمّاعة). أما عندما يقوم الرجل بالطبخ مجرّباً وصفة جديدة، فإنه سيغضب على الأرجح عندما يوجَّه إليه حديث أثناء ذلك، لأنه لن يستطيع قراءة الوصفة والإصغاء إلى الحديث في آنٍ واحد. وعندما يحلق ذقنه ويضطر إلى الإصغاء فإنه سيجرح نفسه على الأرجح. وهذا ما نسمعه غالباً من نساء كثيرات: إن رجالهنّ اعتبروهن مذنبات لأنهن بثرثرتهن جعَلْنَهم يشردون ويخطئون طريق السفر الصحيح. وفي هذا الصدد نذكر رواية إحدى السيدات التي كانت غاضبة من زوجها مجدداً، والتي تحدثت إليه في اللحظة غير المناسبة، إذ كان يضرب مسماراً في الحائط!

وبما أن نصفي الدماغ لدى المرأة فعّالان بالنسبة نفسها، نجد كثيرات منهن لا يفرّقن بين اليد اليمنى واليسرى، وحوالي 50 % من النساء لا يستطعن أن يجزمنَ فوراً أيهما اليد اليمنى وأيهما اليسرى دون النظر إلى الخاتم أو إلى علامة أخرى. بينما يجد الرجال صعوبة أقل بكثير في ذلك لأن نصفاً واحداً فقط من الدماغ يعمل بنشاط. ولهذا نجد النساء في كل أنحاء العالم، يُنتقَدنَ من الرجال لأنهن يقلنَ لهم «انعطف إلى اليمين» ويقصدنَ «انعطف إلى اليسار!».

اخضعوا لفحص تنظيف الأسنان

اعملوا ما يلي: نظفوا أسنانكم! غالبية النساء يستطعن تنظيف أسنانهن وهن يمشين هنا وهناك ويتحدثن في مواضيع مختلفة. كما يستطعن أن يحرّكن فرشاة الأسنان

إلى الأعلى وإلى الأسفل بيد، وينظفن طاولة الطعام بحركات دائرية، باليد الأخرى. أما الرجال فيجدون هذا صعباً بل مستحيلاً. إذ يقف الرجل عادة أمام المغسلة مبعداً بين ساقيه بمقدار 30 سم تقريباً، مقترباً بصدره من المغسلة، محركاً رأسه بالتناسق مع إيقاع فرشاة الأسنان التي تتحرك صعوداً وهبوطاً. وحتى تحريك الرأس هذا يُضبط غالباً بشكل متوافق مع حركة سيلان الماء. إن التوجه الأحادي لدماغ الرجل يجعله لا يركّز إلا على وظيفة واحدة فقط.

لماذا نحن على ما نحن عليه

في الوقت الذي نتعامل فيه تربوياً وكأنه لا يوجد أي اختلاف بين الفتيان والفتيات، يقدم لنا العلم بشكل مستمر براهين جديدة تدحض هذا الاعتقاد، وتؤكد على وجود طرق تفكير مختلفة بين الجنسين. إن أطباء العصبية والعلماء في تركيب الدماغ، في جميع أنحاء العالم، أصبحوا واثقين اليوم بأننا وبشكل أساسي موجهين من قبل تركيبتنا الهورمونية.

> إن هورموناتنا هي المسؤولة عن ماهية تكويننا فنحن نتيجة لتركيبنا الكيماوي.

في القرن العشرين كان الاعتقاد السائد بأن الدماغ عند الولادة يشبه صفحة بيضاء ينقش عليها الأهل والمعلمون والمحيط ما يريدونه من معتقدات وطرق سلوك. أما نتائج الأبحاث الحديثة فقد أفادت بأن الدماغ، في الفترة الواقعة ما بين الأسبوع السادس والثامن بعد الإلقاح، هو كالحاسوب تماماً الذي توضع له ضمن الحياة الرحمية أجهزة عمل ثابتة ومتحركة. وعند الولادة يكون الإنسان ككومبيوتر مجهز بأقراص صلبة Hardware ومرنة Software، أي أن له نظام عمل أساسي يمكن للمرء، مع الزمن، أن يغيّر في برامجه ويطوّرها. ويوضح العلم أن هذا النظام وتفرّعاته يبقى ثابتاً ما عدا تغييرات طفيفة تشمل إغناء المعلومات وإدخال برامج مناسبة تتماشى

مع النظام الدماغي الأساسي المذكور، يضعها معلمونا ومحيطنا الاجتماعي. وإلى يومنا هذا لا توجد في الأسواق كتب تشرح كيفية استعمال هذا النظام. كل هذا يعني بأننا منذ الولادة مبرمجون على توجّهات مستقبلية وميول جنسية بغض النظر عن التأثيرات الاجتماعية. إذاً، فموضوعنا هو العلاقة بين الطبيعي أو الموروث، والاجتماعي أو المكتسب، حيث كانت الغلبة منذ البداية للطبيعة. واستناداً إلى ذلك نعرف الآن بأن عملية التربية ورعاية الأطفال، أي الناحية الاجتماعية في الأمومة، هي سلوك يمكن تعلّمه. هذا يعني أن بإمكان الأمهات بالتبني تربية الأطفال بشكل لا يقلّ جودة عن تربية الأمهات الطبيعيات اللواتي لا يمكن استبدال دورهنّ في إعطاء أولادهن البناء الوراثي الأساسي.

برمجة الجنين

إن القسم الأكبر من البشر الذين يعيشون على سطح الأرض يمتلكون ما يُسمى بالمخطط المورثي ويحتوي على 46 صبغياً Chromosome : 23 تأتي من الأب و 23 تأتي من الأم. إن الصيغة الصبغية للأب هي XY والصيغة الصبغية للأم هي XX. وعندما يعطي الأب للجنين 23 صبغياً X وطبعاً من الأم دوماً 23 صبغياً X فسيكون جنس المولود أنثى XX. أما إذا أعطى الأب 23 صبغياً Y والأم طبعاً الـ 23 X فسيكون جنس المولود ذكراً. وبهذا نرى أن التركيبة الأساسية لبناء الجسم والدماغ هي تركيبة أنثوية - أي كلنا أناث بدايةً- وهذا هو سبب امتلاك الذكور لبعض المظاهر الأنثوية كغدة الثدي وحلمة الثدي.

إن الوقت الحرج، الذي سيؤخذ فيه القرار هو مابين الأسبوع السادس إلى الثامن بعد الإلقاح حيث يكون الجنين لحينه لا جنس له، أي بدون الأعضاء التناسلية الذكرية أو الأنثوية التي ستتكون لاحقاً.

وكان العالم الألماني الدكتور "غونتر دورنر Günther Dorner" الرائد في علم الاجتماع، من الأوائل الذين تبنّوا النظرية القائلة بأن الهوية الجنسية للجنين تتبلور ما بين الأسبوع السادس والثامن بعد الإلقاح. وأظهرت بحوثه بأن المضغة[1] عندما تحمل صيغة صبغية ذكرية، تطوّر خلايا خاصة ترفد الجسم بكميات كبيرة من الهورمونات الذكرية - خاصة التستوسترون- تقود ما سيؤول إليه الجسم. ولا تتكون الخصيتان إلا بهذه الطريقة، ويُبرمج الدماغ ليخزن صفات ذكرية نموذجية كالقدرة على النظر إلى البعد والقدرة على التصور المكاني، الخاصتين اللتين لا غنى عنهما عند الرمي والصيد وتتبع الطرائد.

لنعتبر جدلاً أن مضغة ذكرية XY تحتاج إلى وحدة واحدة من الهرمونات الجنسية الذكرية لتستطيع تكوين أعضاء تناسلية ذكرية وثلاث وحدات مثلاً لتستطيع بناء نظام العمل الدماغي الذكري الأساسي. ولكن، ولأسباب سنأتي على ذكرها لاحقاً، لم يصل للمضغة الكمية اللازمة: أي أن المضغة تحتاج إلى ٤ وحدات وحصلت على ثلاث منها فقط، ستوجّه واحدة لتكوين الأعضاء التناسلية وستبقى اثنتان فقط لبناء الدماغ. هذا سيعني بأن الدماغ سيكون ذكرياً بنسبة 2/ 3 (والثلث الباقي أنثوي)، مما سينجم عنه طفلٌ سيصبح فيما بعد شخصاً ذا دماغ ذكري ولكن تلازمه طرق تفكير وصفات أنثوية. وفي احتمالٍ آخر قد تحصل مضغة على وحدتين فقط من الهرمونات تكرَّس واحدة منها لبناء الخصيتين ولكن الدماغ يبقى تحت تأثير وحدة واحدة مما سينجم عنه طفلٌ ذكرٌ من الناحية المورثية، ذو بناء دماغي أنثوي، وذو تفكير أنثوي من حيث الأساس. وعندما يصل هذا الطفل لسن البلوغ تصبح الإمكانية كبيرة لأن يكون شاذاً جنسياً. وسنأتي على شرح هذه العملية في الفصل الثامن بالتفصيل. وعندما تكون

---

1. المضغة Embryo: هي ناتج إلقاح البويضة بالنطفة وانقساماتها حتى عمر الـ 10 أسابيع.
الجنين Foetus: هو تطوّر المضغة ما بعد الـ10 أسابيع من العمر داخل الرحم وحتى الولادة.
"المراجعة".

المضغة أنثوية تكون الهورمونات الذكرية فيها قليلة أو معدومة. أي أن الأعضاء التناسلية الأنثوية تتشكل وأن تركيبة الدماغ الأساسية ستحتفظ بصفاتها الأنثوية. ويستمر هذا الدماغ بتلقي الهورمونات الأنثوية ويُطورّ كل الصفات الضرورية لبناء " العش " والدفاع عنه إضافة إلى المراكز اللازمة لفك شيفرة الإشارات الكلامية وغير الكلامية.

عندما يأتي هذا المولود إلى العالم سيكون مظهره الخارجي أنثوياً، وسيكون سلوكه أيضاً أنثوياً بسبب المعطيات الدماغية. وأحياناً - وبشكل غير مخطط له مسبقاً - تتلقى المضغة جرعة مفاجئة من الهورمونات الجنسية الذكرية، فيأتي المولود إلى الدنيا وعليه مظهر خارجي ذكري بشكل واضح. وسنبحث أيضاً في الفصل الثامن سير هذه العملية. ويعتقد المرء بأن 80-85 % من الرجال يملكون بشكل أساسي معطيات دماغية ذكرية وأن 15-20 % منهم يملكون دماغاً أنثوياً. كثير من هؤلاء الأخيرين سيصبحون في سن البلوغ شاذين جنسياً.

15-20 % من الرجال يملكون دماغاً مؤنثاً، بينما تمتلك حوالي 10 % من النساء دماغاً مذكراً.

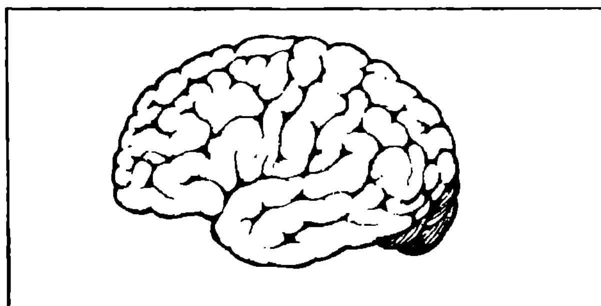
وعندما نتكلم في هذا الكتاب عن الجنس الأنثوي إنما نحصر أنفسنا بحوالي 90 % من البنات والنساء اللواتي يكنّ مبرمجات بنماذج سلوك أنثوية. أما الـ 10 % الباقية فيمتلكن دماغاً لديه بشكل أو بآخر قدرات ذكرية، السبب أنه في المدة بين الأسبوع السادس والثامن بعد الإلقاح تكون المضغة قد تلقّت جرعة من الهورمونات الجنسية الذكرية.

وفيما يلي اختبار بسيط، ولكنه مثير للدهشة، سيبيّن نسبة الذكورة والأنوثة في برمجة دماغنا... لقد جُمعت الأسئلة، التي ستشاهدونها، من عدة بحوث معترف بها اهتمت بإظهار الخاصية الجنسية للدماغ البشري. أما طريقة التقييم والعلامات النهائية فتعود لعالمة المورثات البريطانية Anne Moir. في هذا الاختبار لا توجد إجابات

"صحيحة" أو "خاطئة"، ولكن الاختبار يخلق لديكم قناعات مثيرة للاهتمام، تريكم لماذا تفكرون وتتصرفون بالطريقة التي تفكرون وتتصرفون بها. وبعد انتهائكم من الاختبار يمكنكم جمع النقاط التي حصلتم عليها ومقارنتها بالمخطط الموجود على الصفحة (87). وإذا ما أجريتم عدة نسخ للاختبار ووزعتموها على أصدقائكم وزملائكم في العمل، فستحصلون على نتائج مدهشة!

كيف يبرمج دماغكم؟

عن طريق هذا الاختبار ستتمكنون من تحديد اتجاه دماغكم قوة وضعفاً، إن كان ذكرياً أم أنثوياً. ولن تكون هناك أجوبة صحيحة أو خاطئة وإنما النتائج ستكون مؤشراً لكمية الهورمونات الجنسية التي تلقتها المضغة في الفترة ما بين الأسبوع السادس والثامن من الحمل بعد الإلقاح. هذا التركيز ينعكس في الوقت الحالي على طريقة حياتكم وسلوككم وقراراتكم ومواقفكم وتقييمكم للأمور.



ضعوا إشارة (X) على الأجوبة التي تنطبق عليكم أكثر من غيرها.

1 - إذا كان عليكم قراءة مخطط لشوارع مدينة، كيف تتصرفون؟

ا- تسبب لي قراءة المخططات المشاكل غالباً، لذلك أطلب من أحدهم أن يساعدني.

ب- أقلب المخطط لأجعل اتجاهه مماثلاً لاتجاه السفر الذي أراه أمامي.

جـ- ليست لدي أية صعوبة في إيجاد الطريق الصحيح.

2- أنتم تجرّبون طبخة جديدة وفق وصفة معقدة؛ في الوقت نفسه يعمل الراديو ويبدأ جهاز الهاتف بالرنين. كيف تكون ردة فعلكم؟

ا- أترك الراديو يعمل وأستمر في الطبخ بينما أتكلّم على الهاتف.

ب- أغلق الراديو وأتحدّث بالهاتف بينما أواصل الطبخ.

جـ- أقول للشخص الذي يتكلّم على الهاتف أنني سأتصل به لاحقاً عندما أنتهي من الطبخ.

3- يودّ أصدقاؤكم أن يزوروكم في منزلكم الجديد ويطلبون منكم أن تدلّوهم على الطريق إذ سيجيئون إليكم بالسيارة. كيف تصفون لهم الطريق؟

ا- أرسم مخططاً واضحاً لكيفية الوصول وأبعثه إليهم، وأطلب من شخص آخر ان يشرح لهم الطريق الى بيتي.

ب- أسألهم عن الأمكنة التي يعرفونها ضمن منطقة بيتي وأحاول، مستنداً إلى نقاط العلام تلك، أن أدلهم على بيتي.

جـ- أشرح لهم بشكل شفهي كيف يأتون «خذ الاوتستراد بالاتجاه (س) حيث تخرج من عند المنعطف (ع) وعند التقاطع التالي تأخذ يمينك وتبقى ملتزماً الجهة اليسارية حتى تصل الى النقطة (ص) ...

4- كيف تشرحون فكرة أو مخططاً لشخص آخر؟

ا- أساعد نفسي بإحضار ورقة وقلم وبالاعتماد على الإشارات.

ب- أشرح ذلك بالكلام وأؤكد عليه بالإشارات.

جـ- أشرح ذلك بالكلام فقط محاولاً أن أكون واضحاً ومختصراً قدر الإمكان.

5- ماذا تفعلون عادة عندما تصلون الى المنزل قادمين من مشاهدة فيلم سينمائي جميل؟

ا- أفكر ببعض المشاهد مقلّباً إياها في مخيلتي.

ب- أتحدث عن تلك المشاهد وعن الحوار فيها.

جـ- أتحدث بشكل رئيسي عما قيل في الفيلم نفسه.

6- أين تفضلون أن تجلسوا في السينما؟

ا- في الناحية اليمنى للصالة.

ب- لا فرق.

جـ- في الناحية اليسرى للصالة.

7- لدى صديقكم / أو صديقتكم مشكلة ميكانيكية. كيف تتصرفون؟

ا- أعبر عن أسفي وأسأل عن شعوره/ أو شعورها تجاه المشكلة.

ب- أنصح بحرِفيّ معين صاحب خبرة ومحل ثقة.

جـ- أحاول إصلاح العطل بعد أن آخذ فكرة عنه.

8- عندما يسألكم أحدهم عن جهة الشمال وأنتم في مكان غريب، كيف تتصرفون؟

ا- أقرّ بأنني لا أعرف.

ب- أفكر قليلاً مقلباً الأمر في رأسي وأعبّر عن ظني بتحفظ.

جـ- أدله دون أن أتردد.

9- تريدون صف السيارة في فتحة ضيقة، ويتطلب ذلك الرجوع بشكل عكسي. كيف تتصرفون؟

ا- أنتقل الى مكان آخر محاولاً ايجاد مكانٍ آخر للصف.

ب- أحاول أن أصفّ السيارة بحذر.

جـ- أصفّ السيارة بشكل عكسي دونما صعوبة.

10- يرنّ جرس الهاتف، بينما أنتم منهمكون بمشاهدة التلفزيون. كيف تكون ردة فعلكم؟

ا- أرد على الهاتف وأترك التلفزيون يعمل.

ب- أخفض صوت التلفزيون وأردّ بعدها على الهاتف.

جـ- أغلق التلفزيون، وأطلب من الجميع الهدوء، ثم أذهب للردّ على الهاتف.

11- سمعتم للتو أغنية جديدة من مغنيكم المفضل. هل تستطيعون ترديد اللحن؟

ا- أستطيع أن أكرر جزءاً من الأغنية من غير صعوبة.

ب- أستطيع ان أكرر جزءاً من الأغنية اذا كانت بسيطة فعلاً.

جـ- أستصعب استذكار اللحن رغم أنني أحفظ فوراً جزءاً من النص.

12- كيف تكون توقّعاتكم لمجريات الأمور؟

ا- أعتمد فقط على الحدس.

ب- أجمع ما بين المعلومات المتوافرة لدي، وما بين إحساسي الداخلي.

جـ- أعتمد فقط على مقارنة الوقائع والإحصائيات والمعلومات وغيرها.

13- وضعتم مفاتيحكم في غير مكانها المعهود لديكم. ما هو سلوككم عندها؟

ا- أشغل نفسي بأمور أخرى الى ان أتذكر أين وضعت المفاتيح.

ب- أشغل نفسي بأمور أخرى ولكني أحاول في الوقت نفسه أن أتذكر أين وضعتها.

جـ- أحاول أن أراجع في رأسي أفعالي خطوة بخطوة الى أن أتذكر أين تركتها.

14- أنتم موجودون في غرفة في فندق، وتسمعون صوت صفارة إنذار آتياً من البعيد.

ا- أستطيع دون تردد، أن أحدد الاتجاه الذي يأتي منه الصوت.

ب- سأستطيع أن أحدد الاتجاه الذي يأتي منه الصوت إذا تمكّنت من التركيز.

جـ- لا أستطيع أن أتعرف من أين يأتي الصوت.

15- كنتم في حفلة وتعرّفتم فيها على سبعة أو ثمانية أشخاص جدد. كيف يكون الأمر في اليوم التالي؟

ا- أتذكر كل وجه من الوجوه الجديدة.

ب- أتذكر هذا الوجه أو ذاك.

جـ- أتذكر غالبية الأسماء اكثر من تذكّري للوجوه.

16- الموضوع هو قضاء عطلة: تفضلونها في الريف وشريككم يفضلها على شاطئ البحر. كيف ستحاولون إقناعه / أو إقناعها بأن خياركم هو الأفضل؟

ا- أحاول إقناعه/ أو إقناعها وبكلمات عذبة ذاكراً له/ أولها كم أحب الريف وكم كنا سعداء في إجازاتنا الماضية مع الأطفال في الريف.

ب- أقول له / أولها إنني سأكون ممتناً إذا استطاع أن يختار هذه المرة الريف، وفي المرة القادمة سأقضي معه العطلة على شاطئ البحر.

جـ- سأثبت موقفي بالبراهين: الريف أقرب وأرخص ويمكن ايجاد نشاطات مختلفة لقضاء وقت الفراغ.

17- عندما تريدون تنظيم ساعاتكم اليومية، ماذا تفعلون؟

ا- أكتب على ورقة ماذا يجب علي أن أفعل.

ب- أفكر فيما يجب علي أن أفعل.

جـ- أتصوّر في ذهني الناس الذين سأقابلهم والأماكن التي يجب أن أذهب إليها والأشياء التي سأقضيها .

18- صديق أو صديقة لكم في ورطة، يحب/ او تحب أن تتحدث إليكم عنها . كيف يكون رد فعلكم؟

ا- أعبر عن تعاطفي وتفهّمي .

ب- أحاول أن أشرح بأن الأمور تبدو دوماً أسوأ مما هي عليه فعلاً .

جـ- أشجّع وأقدّم نصائح موضوعية تساعد على حل تلك المشكلة .

19- من معارفكم ذكر وأنثى مرتبطان بعلاقة جنسية سريّة، وكل منهما متزوج . ما هي إمكانية كشف تلك العلاقة بالنسبة لكم شخصياً؟

ا- أكشف ذلك سريعاً .

ب- تصل نسبة امكانية كشف القصة 50 % .

جـ- على الأرجح لن ألاحظ ذلك على الإطلاق .

20- ما هو الأكثر أهمية في الحياة بالنسبة لكم؟

ا- أن يكون عندي أصدقاء وأعيش في وئام مع الناس من حولي .

ب- ان أكون لطيفاً مع الناس وأحتفظ باستقلالي الشخصي في الوقت نفسه .

جـ- أن أبلغ أهدافاً ذات قيمة وأكسب احترام الآخرين وأبلغ الشهرة والنجاح .

21- كيف تودّون العمل اذا ما كان لديكم الخيار؟

ا- ضمن مجموعة تشترك فيما بينها بما تريد .

ب- مع الآخرين ولكن مع الحفاظ على الحرية الشخصية .

جـ- العمل الحرّ .

22- أية كتب تفضلون قراءتَها؟

ا- روايات وكتب تسلية.

ب- مجلات وجرائد.

جـ- كتب اختصاصية وسِيَر حياة.

23- ما هو سلوككم أثناء الشراء؟

ا- أقوم بالشراء غالباً بشكل عفوي وخاصة اذا ما لاحظت عروضاً خاصة.

ب- أعرف تقريباً ماذا أحب ان أشتري ولكني أتابع ايضاً عروض البيع الخاصة.

جـ- أقرأ ما هو مكتوب على السلعة وأقارن الأسعار.

24- هل تتبعون نظاماً معيناً فيما يخص ذهابكم الى النوم واستيقاظكم وتناولكم الوجبات؟

ا- أعمل ما يمليه علي مزاجي.

ب- لديّ نظام عام في قضاء ساعات يومي ولكنني أستطيع أن أتكيّف.

جـ- لديّ نظام صارم في قضاء يومي.

25- بدأتم عملاً في مكان جديد وتعرّفتم الى زملاء وزميلات كثر. اذا ما اتصل بكم أحدهم أو إحداهن هاتفياً، هل ستتعرفون الى الصوت؟

ا- لن أجد صعوبة في التعرّف على الصوت.

ب- إمكانية تعرّفي على الصوت 50 %.

جـ- سأجد صعوبة في التعرّف على الصوت.

26- إذا قامت مشادّة بينكم وبين الآخرين، ما الأمر الذي يزعجكم أكثر من غيره؟

ا- عندما يسكت الآخر أو يمتنع عن إظهار ردّة فعله.

ب-   عندما لا يريد الآخر أن يتفهّم موقفي .

جـ-   الأسئلة المزعجة أو المستفِزّة من قبل الآخر .

27- كيف كان مستواكم في الإملاء والتعبير أثناء سني الدراسة؟

ا-   كانتا مادتين سهلتين بالنسبة إليّ .

ب-   كان الأول جيداً اما الثاني ففظيع .

جـ-   كانتا مادتين صعبتين بالنسبة إليّ .

28- ما هي مقدرتكم على الرقص؟

ا-   أستطيع الشعور بالموسيقا عندما أتقن الحركات أولاً .

ب-   أنفذ بضعة حركات بشكل جيد وأستصعب الاستمرار بالبعض الآخر .

جـ-   لا أستطيع اللحاق لا بالموسيقا ولا بالإيقاع .

29- ما هي مهارتكم في تمييز وتقليد أصوات الحيوانات؟

ا-   عادية .

ب-   جيدة نسبياً .

جـ-   جيدة جداً .

30- ماذا تفضلون أن تعملوا في نهاية نهار عمل طويل؟

ا-   أتحدث مع أصدقائي أو عائلتي عن تفاصيل يومي .

ب-   أنصت الى الآخرين وهم يتحدثون عن تفاصيل يومهم .

جـ-   أقرأ الجريدة أو أشاهد التلفزيون عوضاً عن اهتمامي بالحديث .

كيف يتم حساب النتيجة

اجمعوا في البداية عدد المرات التي أجبتم بها بحرف الألف (ا) أو الباء (ب) أو الجيم (جـ) واستخدموا الجدول التالي لجمع النقاط النهائية :

للنساء :

عدد أجوبة الألف	15 x
عدد أجوبة الباء	5 x
عدد أجوبة الجيم	5- x
	عدد النقاط النهائي

للرجال :

عدد أجوبة الألف	10 x
عدد أجوبة الباء	5 x
عدد أجوبة الجيم	5- x
	عدد النقاط النهائي

لكل سؤال لم ينطبق عليكم كلياً أو لم تتمكنوا من الإجابة عليه أعطوا أنفسكم خمس نقاط .

تحليل نتائج التجربة

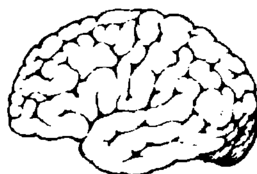
أغلبية الرجال سيحصلون على نقاط ما بين 0-180 ، وأغلبية النساء سيحصلن على نقاط ما بين 150-300 ، وسيحصل الدماغ ذو الصفات الذكرية عادة على نقاط أقل من 150 . وكلما كانت النقاط أقل ، باتجاه الصفر يكون الدماغ اكثر ذكورة ويكون مستوى

التستوسترون في الجسم أعلى. هؤلاء الأشخاص يتّسمون عادة بالعقلانية والحزم والقدرة على التحليل وصياغة الكلام، ويميلون الى السلوك الانضباطي والمنظم جيداً. وكلما اقتربت النقاط من الصفر زادت قدرة هؤلاء الأشخاص على التدبير المالي وعلى القيام بالاحصائيات، بينما تلعب المشاعر عندهم دوراً ضئيلاً أو ليس لها دور على الاطلاق. أما مجال ما تحت الصفر فتبلغه الأدمغة التي تتجه الى ذكورة مفرطة، وهنا تكون المضغة قد تعرضت في طور تشكلها الباكر لكمية كبيرة من هرمون التستوسترون. وكلما بلغت المرأة نقاطاً أقل، كانت امكانية ميولها السحاقية أكبر.

أما الدماغ ذو الصفات الأنثوية الواضحة فسيحصل على نقاط تبلغ أكثر من 180. وكلّما كانت النقاط أكثر كان الدماغ أكثر أنوثة. وستكون هنا إمكانية المواهب الإبداعية، الفنية والموسيقية، أكبر. يتخذ الأشخاص ذوو الصفات الأنثوية العالية للدماغ قراراتهم بشكل عفوي معتمدين على حدسهم. وهم يستشعرون بعض المشاكل التي لا يتنبّه إليها الآخرون، ويستطيعون حلّها بشكل خلاق وبمقدرة كبيرة على تفهّم الآخرين. وكلما بلغت النقاط أعلى من 180 عند الرجل كانت إمكانية شذوذه الجنسي أكبر. إن رجلاً ذا نقاط أقل من الصفر وامرأة ذات نقاط اكثر من 300، واللذين يمتلكان دماغين مختلفين من حيث الأساس، قد يجتمعان في أمر واحد فقط وهو أنهما يعيشان على كوكب واحد.

التقاطعات

النقاط الواقعة ما بين 150-180 تشير الى طريقة في التفكير تصح هنا وهناك أو الى الازدواجية الجنسية. هؤلاء الأشخاص لا يظهرون ما يسمى بطريقة تفكير ذكرية صرفة أو أنثوية صرفة وإنما يتمتعون بتفكير ليّن له أهمية بالغة ضمن المجموعة التي تبحث عن حل للمشاكل. ويكون لدى هولاء الأشخاص موهبة طبيعية لعقد صداقات مع الجنسين.



330
320 — اتجاه أنثوي قوي
310
300
290
280
270
260
250
240
230
220
210
200
190
180
170
160 — تداخل
150
140
130
120
110
100
90
80
70
60
50
40
30
20
10
0
- 10 — اتجاه ذكري قوي
- 20
- 30
- 40

الصورة التي تحدد المزايا الجنسية للدماغ

ملاحظة أخرى...

منذ بداية الثمانينات، ومعارفنا حول الدماغ البشري تفوق التوقّع. فقد صرّح رئيس الولايات المتحدة الامريكية، جورج بوش[1]، بأن السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين هي سنوات بحث في التركيب الدماغي. ونقف الآن على عتبة الألفية الثالثة، ألفيّة العقل. وقد اضطررنا في كتابنا هذا، الى تبسيط الشرح العلمي عن الدماغ البشري والمراكز العصبية المختلفة بهدف توصيل المعلومات بشكل مبسّط ومفهوم. وقد كان من الأهمية لدينا بمكان، استخلاص ما يلي: وهو أن للدماغ شكلاً شبكياً تشكّله العصبونات التي تلتف حول الخلايا العصبية الدماغية وتشكل متحدةً معها المراكز العصبية فيه. وليس الهدف لديكم كقرّاء أن تصبحوا علماء في مجال الأعصاب، ولكن أن تكون لديكم معلومات عامة حول وظائف الدماغ وبضع استراتيجيات تفيد العلاقة بينكم وبين الجنس الآخر. فمن السهل بمكان أن نتتبّع المراكز الدماغية المسؤولة عن التصورّ المكاني لدى الرجل وايجاد الطرق التي تساعدنا على التعامل مع هذه الخاصية؛ وأما بالنسبة لتكوّن المشاعر في الدماغ ومسيرها فهذا أصعب بكثير. ومع ذلك، ودون أن تكون معرفتنا كافية عن تكوّن تلك المشاعر، فإننا نستطيع أن نطورّ استراتيجيات مفيدة نسبياً لنا في تعاملنا مع أحاسيسنا.

1. جورج بوش الأب. "المترجم"

الفصل الرابع

الكلام والإصغاء



ماذا تقول النساء - ماذا يسمع الرجال

دُعي "آلان" و "باربارا" إلى حفل كوكتيل، وكانت "باربارا" قد اشترت ثوباً جديداً أرادت أن ترتديه لتظهر فائقة الأناقة. أمسكت "باربارا" بيديها زوجين من الأحذية، أزرق وذهبياً، وأرتهما لآلان سائلةً إياه السؤال المخيف: «حبيبي، أي الزوجين الأكثر تناسباً مع ثوبي؟»

ارتهب "آلان" للسؤال، لأنه يعرف ما وراءه، وتلعثم قائلاً: «آه... هم... الزوج الذي يعجبك أنتِ يا حبيبتي»

«قل شيئاً "آلان"، هيا!» قالت "باربارا" نافذة الصبر «أيهما أنسب لثوبي الزوج الأزرق ام الذهبي؟».

أجاب "آلان" متوتراً: «الذهبي».

«وما الذي يزعجك في الزوج الأزرق؟»، سألت هي. «لم يعجبك هذا الحذاء مذ اشتريته رغم أنني دفعت ثمنه مبلغاً طائلاً وأنت لا تراه جميلاً، أليس كذلك؟» هزّ "آلان" كتفيه مستنكراً: «اذا كنت لا تريدين سماع رأيي، لماذا سألتِني؟». لقد اعتقد "آلان" بأن هناك مشكلة عليه حلّها، وبعد أن أوجد الحلّ لم يلقَ لا حمداً ولا شكورا. أما هي فإنها لم تفعل سوى أنها تصرّفت بشكل أنثوي طبيعي: لقد فكّرت بشكل عالٍ. لقد قررت بينها وبين نفسها أي زوج ستستعمل اليوم ولم ترد أن تسمع رأياً آخر ولكنها أرادت أن تسمع تأكيداً من شريكها بأنها تبدو جميلة.

في هذا الفصل سنبحث في مشاكل التفاهم بين الجنسين وسنعرض نماذج لبعض الحلول الجديدة.

استراتيجية اختيار الحذاء النسائي: أزرق أم ذهبي

عندما تكون المرأة قد قررت بينها وبين نفسها أي زوج من الأحذية ستختار وتسأل رغم ذلك «الأزرق ام الذهبي» فعلى الرجل أن يمتنع عن الإجابة، والأفضل أن يقدّم سؤالاً مضاداً «هل تعرفين أنتِ أي زوج ستلبسين اليوم، يا حبيبتي؟»

غالبية النساء ستدهشهم إجابة كهذه، لأنهن يعرفن أن الرجال يفصحون بسرعة وبصراحة عن آرائهم.

«هم... لقد فكّرت بأنني سأرتدي الحذاء الذهبي...» ستجيب المرأة غير واثقة تماماً. في الحقيقة، هي قررت فعلاً أن تختار الحذاء الذهبي.

«لماذا الذهبي؟» على الرجل أن يتابع السؤال.

«لأنني أضع حُلياً ذهبية، وثوبي مزيّن بخط ذهبي» ربما يكون الجواب هكذا.

الرجل الحاذق سيقول «قرارك هذا عظيم جداً. ستبدين رائعة بالتأكيد! حقيقةً رائعة! تعجبينني هكذا!»

ويمكن للرجل أن يكون واثقاً هنا من أن أمسية جميلة ستكون بانتظاره.

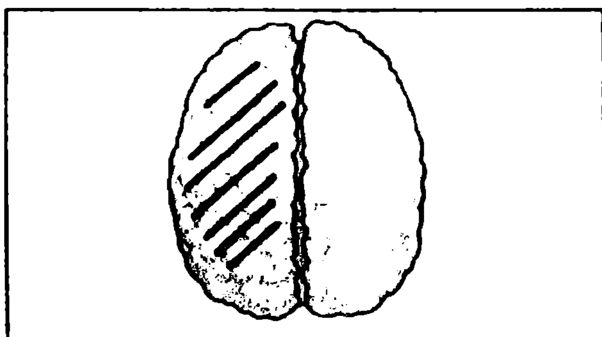
لماذا لا يستطيع الرجال الكلام فعلاً

منذ آلاف السنين نعرف أن الرجال ليسوا فنّاني كلام، وبخاصة إذا قارنّاهم بالنساء. ولا تبدأ البنات قبل الصبيان بالكلام فقط، إنما تمتلك البنت ذات الثلاث سنوات كماً من المفردات يعادل ضعف ما عند الصبي في العمر نفسه، بالإضافة إلى أن نوعية التعبير عندها تكون عملياً مفهومة من الآخرين بنسبة مئة بالمئة.

ويستقبل المختصون بالنطق الأهل الذين يُحضرون أبناءهم للمعالجة بسبب عدم قدرتهم على الكلام جيداً. وعندما يكون لدى الصبي أخت أكبر منه سناً، فإن الفرق في إتقان الكلام يبدو أكثر وضوحاً، وخاصة عندما تتكفّل الأم أو الأخت بالكلام عن الصبي؛ فعندما يُسأل صبي في الخامسة من العمر «كيف حالك؟» نسمع الجواب من أمه أو من أخته «حسن، شكراً!»

الأمهات والبنات والأخوات الكبيرات يتحدثن في غالبية الأحيان عن أفراد عائلاتهن الذكور.

فيما يخص الرجال، فالكلام لا يشكل مقدرة أساسية لدماغهم. والنصف اليساري من المخ هو المسؤول تحديداً عن اللغة، ولكن لا يوجد منطقة محددة يمكن اعتبارها مختصة بالكلام. وقد كشفت الدراسات أن أغلبية الإعاقات الكلامية عند الرجال تكون نتيجة لإصابة في مقدمة نصف الدماغ الأيسر. وقد أظهرت الدراسة بالرنين المغناطيسي أن نصف الدماغ الأيسر المذكر مفعّل بمجمله عند الحديث، ولكن عند البحث عن مركز للكلام فيه لم نحصل على أية نتيجة. والخلاصة من ذلك هو أن الرجال ليسوا عباقرة متميزين في مجال الكلام.



هذه المنطقة هي المسؤولة عن الكلام عند الرجال

يميل الفتيان إلى "مضغ" الكلمات ويكون نطقهم غالباً أقل وضوحاً من الفتيات. ويملأون جملهم بأصوات مثل «إيه ... هم ...» ويقومون أكثر من البنات ببلع نهاية الكلمات. بالإضافة إلى أنهم يستخدمون ثلاثة مستويات للصوت من أصل خمسة تستخدمها الإناث. فعندما يجتمع الرجال لكي يشاهدوا مباراة كرة قدم على التلفزيون فما يحدث حصراً هو أن محادثتهم تقتصر على بضع جمل مثل: «إقذف لي بكيس البطاطا المقلية» و«هل عندك زجاجة بيرة أخرى؟». بينما الحال لدى النساء مختلف إذ يكون الاجتماع لمشاهدة برنامج تلفزيوني ما، عبارة عن مناسبة لإجراء محادثات مطولّة ومفصلّة ومسلية ينتظرنها منذ زمن. ويكون البرنامج التلفزيوني المعين عادة مسلسلاً

غرامياً معروف الأبطال والأحداث وليس فيلماً معقداً.

ويظهر لنا الاختلاف في التعبير الكلامي بين الجنسين جلياً في نطاق الرياضة أكثر من أي مجال آخر وفي أي مقابلة رياضية على التلفزيون. عندما تُسأل، مثلاً، لاعبة كرة السلة عن المباراة فإنها تصفها بكلمات دقيقة وقليلة ومفهومة 100 %. بينما عندما يُسأل لاعب، فإننا ليس فقط سنجد صعوبة في فهم الشيء القليل الذي يتمتمه، وإنما سنلاحظ بأن فمه لا يكاد يتحرك. وتبدأ ملاحظة ذلك في سن المراهقة: عندما سألنا ابنتنا المراهقة عن الحفلة التي دُعيت اليها في اليوم السابق، أعطتنا تقريراً مفصلاً عن مجريات الحفلة: من قال ماذا، ولمن، وكيف كان كل من الضيوف على حدة. وعندما سألنا ابننا المراهق السؤال نفسه، تمتم وكأنه يحاور نفسه: «ايه ... تمام» وتقول دعاية يوم عيد الحب (فالنتين) للرجال: «قولوا ما تريدون عن طريق الزهور» وذلك لأن هناك صعوبة معروفة في التعبير لدى الرجال. وشراء بطاقة بريدية مشكلة بالنسبة لهم لأنه من الصعب عليهم أن يضطروا لملئها.

يشتري الرجال على الغالب بطاقات بريدية مكتوبة سلفاً وبذلك لا يضطرون إلا لإضافة كلمات قليلة عليها.

لقد تطوّر الذكور إلى صيادين وموردّي غذاء وليس إلى أبطال في المحادثة. فلم يكن يعوزهم للصيد إلا بضع إشارات غير كلامية، وكانوا يجلسون عدا ذلك ملتفين حول بعضهم صامتين، مترقبين للغنيمة. وعندما يذهب اليوم الرجال لصيد السمك يجلسون ساعات بعضهم مع بعض دون أن يحتاجوا لأن يتبادلوا كلمة واحدة، ويتمتعون بالصيد ويسعدون بوجود الغير دون أن تكون لديهم ضرورة لأن يعبّروا عن ذلك بالكلمات. أما عند النساء فهناك مشكلة متوسطة إلى كبيرة الحجم إذا ساد صمت بينهن أثناء اجتماع نسائي. ان المناطق شديدة الاختصاصية والمنفصلة بعضها عن بعض في الدماغ الذكري تشكل لدى الرجل نوعاً من الخطر الاجتماعي. ويشكل تعاطي الكحول بكثرة مناسبة فريدة عند الرجال لرفع ذلك الحظر والتواصل مع الآخرين.



لم يكن الرجال في وقت من الأوقات عباقرة في الكلام

الفتيان وفترة الدراسة عندهم

في بداية الحياة المدرسية لا يظهر الصبيان نتائج متميزة عن البنات بسبب تفوق الأخيرات عليهم بمواهبهنّ الكلامية. وتكون بالتالي علاماتهم في مواد اللغة الأم واللغات الأجنبية والفنون أقل مما هي عندهن. في مثل هذه الحالات يشعرون بضعفهم ويبدؤون بالمشاغبة ورفع أصواتهم مما يؤثر سلباً في سير الدرس. وفي هذا الإطار تبدو فكرة إدخال الفتيان إلى المدرسة متأخرين سنة عن الفتيات فكرة معقولة، إذ أن تطوّرهن اللغوي سبّاق بفارق سنة. وبهذا يتجنب الصبيان الضغط النفسي الناجم عن التفوّق الكلامي للبنات المماثلات لهم بالسن، ويكونون أكثر سعادة.

أما في السنين التالية، فتبدأ الفتيات بالتراجع في المواد التي تتطلّب تصوراً فراغياً كالفيزياء وغيرها من المواد العلمية. وفي حين تقدَّم للصبيان كافة الإمكانيات الإضافية من قبل الأهل، الذين نراهم مهمومين ويرجون ويبتهلون كي يتمكّن أبناؤهم من الكتابة والقراءة والتكلّم بشكل صحيح، لا نراهم يهتمون بتقديم الدعم نفسه للبنات حتى يتمكنّ من تطوير قدرتهن على التصوّر الفراغي. وبهذا تفقد الفتيات شيئاً فشيئاً اهتمامهن بالمواد العلمية.

كثير من المدارس في إنكلترا تفصل بين التلامذة الذكور والإناث في صف الدراسة في مواد معينة كاللغة الانكليزية والرياضيات والعلوم الطبيعية. مثلاً مدرسة "شين فيلد Shenfield High School" الثانوية في مدينة "إسّيكس Essex" البريطانية توفّر للتلامذة من الجنسين جواً لا يشعرون فيه بضغط المنافسة من قبل الجنس الآخر. فمثلاً في فحص مادة الرياضيات تُطرح الأسئلة للفتيات ضمن إطار يحوز على اهتمامهن، كالحديقة مثلاً، وللفتيان ضمن مكان يحوز على اهتمامهم كمحل بيع أدوات الحدادة. هذه الطريقة أخذت بعين الاعتبار الميول الطبيعية لكل من الفتى والفتاة استناداً إلى برمجة دماغ كل منهما. وكانت نتائجها مؤثرة: إذ كانت علامات التلامذة الذكور في مادة اللغة الانكليزية أكثر بأربعة أمثال، من متوسط علامات أقرانهم المعتمدة في

البلاد[1]، وكانت علامات التلميذات في الرياضيات والفيزياء أعلى بمرتين من مثيلاتهن في المدارس الأخرى.

لماذا تستطيع النساء الكلام بطلاقة

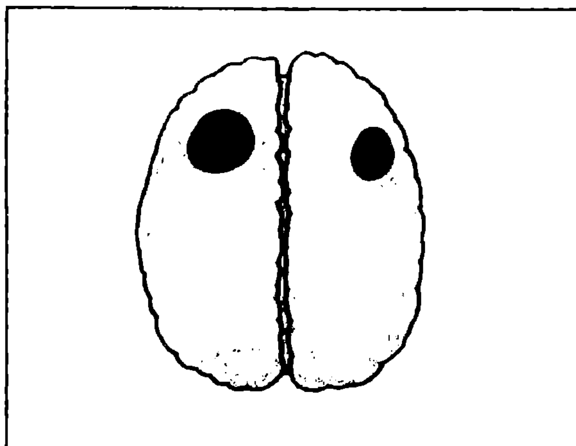
توجد عند الإناث منطقة محددة للكلام تقع في مقدمة نصف الدماغ الأيسر بشكل رئيس، إضافة إلى بضعة مواقع صغيرة في نصف الدماغ الأيمن. وهذا التقسيم الخاص على نصفي الدماغ يجعل من النساء محدثات بارعات. فهنّ يتكلمن بكثرة وبرغبة، ويستطعن في الوقت نفسه القيام بعمل آخر وذلك بسبب أنهن يمتلكن مراكز مخصصة للكلام في الدماغ تسمح للقسم الباقي من الدماغ أن يلتفت لوظيفة أخرى. وقد بيّنت الدراسات الحديثة عامة، بأن الجنين الذي ما زال في بطن أمه، يستطيع أن يميّز صوتها مستخدماً على الأغلب جسمها كأداة لنقل الموجات الصوتية. والرضيع البالغ من العمر أربعة أيام يمكنه أن يميّز بين مكوّنات اللغة الأم واللغة الأجنبية. وفي عمر الأربعة شهور يستطيع أن يميز حركات الشفاه التي تنطق الأحرف الصوتية.

وقبل بلوغ الطفل عمر السنة يستطيع أن يربط ما بين كلمة معينة ومعنى معين. وفي سن الثمانية عشر شهراً يصبح لديه كمٌ من المفردات يبلغ عند البنات بعمر السنتين 2000 كلمة. وإذا ما قارنا هذه المعلومات بمقدرات الكبار على التعلم سنجد أنها نتائج تدل على نضج فكري وجسدي ملموس.

وبسبب وجود مركز كلام مستقل في دماغ الأنثى فالفتيات يتكلّمن اللغات الأجنبية بشكل أسهل وأسرع من الفتيان ويتفوقن في الإعراب والإملاء والتشكيل. وخلال خمس وعشرين سنة من جولاتنا (المؤلف والمؤلفة) في أنحاء العالم لعقد الندوات،

1. لا يمكن لنا برأيي أن نأخذ المعلومة هنا بشكل حرفي. فحسابياً يجب أن يكون متوسط العلامة المعتمد في البلاد 20 % لكي يحصل تلاميذ مدرسة "شين فيلد" الذكور على متوسط 80 % مثلاً من أصل العلامة التامة. "المترجم"

لاحظنا أن غالبية المترجمين كانوا إناثاً ونادراً فقط ذكوراً.



هاتان المنطقتان، في دماغ المرأة، مسؤولتان عن الكلام

المادة	عدد المدرّسين	النساء%	الرجال%
اللغة الاسبانية	2700	78	22
اللغة الفرنسية	16200	75	25
اللغة الألمانية	8100	75	25
المسرح	8900	67	33
لغات أخرى	1300	70	30

مواد تتطلّب مواهب كلامية عند المدرّس

(إحصائية تمت عام 1998 لمدرّسي اللغات الأجنبية في بريطانيا)

يبدي الجدول أعلاه النسبة الكبيرة للنساء فيما يخص المواد التي تتطلّب مهارة كلامية مركزها النصف الأيسر للدماغ. ومن خلال المراكز الدماغية الكلامية المخصصة، تتفوق

المرأة على الرجل في عالم الكلمة . ونتبين أيضاً تأثير التوجّه الدماغي على اختيار المواد حتى في نطاق التربية والمؤسسات الحكومية . وعلى الرغم من وجود أناس يدعمون الاتجاه الداعي إلى تساوي الفرص بين المرأة والرجل ويفخرون بأن نصف المعلمين من الذكور والنصف الآخر من الإناث ، فإننا نلاحظ الاختلاف الواضح في المواد التي تتقنها المعلمات ويتفوّقن فيها عددياً على المعلمين .

إن نصف الدماغ الأيسر يقود وظائف نصف الدماغ الأيمن وهذا يبرر كون غالبية البشر يمينيين ، وقد يبرر أيضاً كون خط أغلب الإناث أكثر وضوحاً ، استناداً إلى أن مركز الكلام التخصصي لديهن يسمح باستعمال أفضل للكلام شفهياً وكتابياً .

لماذا لا تستطيع النساء الإقلاع عن الكلام

إن الدماغ الذكري مقسّم بشكل واضح إلى أقسام مختلفة بإمكانها الفصل بين المعلومات وتخزينها . ففي نهاية يوم عمل طويل يستطيع الدماغ الذكري أن يضع المشاكل جميعها في تصانيفها ويغلق عليها . بينما لا يستطيع الدماغ الأنثوي ، بالأسلوب نفسه ، أن يضع المشاكل التي تعتلج وتدور في الرأس جانباً .

> يستطيع الرجال أن يضعوا مشاكلهم ضمن مصنّفات مرتبة حسب الأولويات في دماغهم . على عكس ذلك تتلاطم المشاكل في رأس النساء .

والطريقة الوحيدة التي تستخدمها الإناث للتخلّص من مشاكلهنّ هي استعراضها والتحدّث عنها . ولا تتبع المرأة أسلوب الحديث بحثاً عن حلّ أو من أجل استخلاص نتيجة للمشكلة ، وإنما فقط بهدف إخراجها من الداخل عن طريق سردها .

التوصيلات الهورمونية

أجرت العالمة " اليزابيت هانسون Elizabeth Hanson " من جامعة أونتاريو في كندا دراسة على العلاقة بين مستوى الأستروجين في دم المرأة وقدرتها على الإنجاز ،

فوجدت أن انخفاضاً بسيطاً في مستوى التستوستيرون لديها يؤثر بشكل سلبي على التصورّ المكاني عندها، بينما يؤثر ارتفاع في مستوى الاستروجين لديها، وهذا ما يحصل في النصف الأول من الدورة الشهرية، ايجاباً على مهاراتها في التعبير وفي الأعمال الدقيقة. ولهذا نرى المرأة هادئة ومتسامحة وتستطيع التعبير عن نفسها بشكل واضح ومفهوم في الأيام الأولى من الدورة الشهرية حيث يكون مستوى الاستروجين مرتفعاً بينما تصبح أقل قدرة على التعبير في الأيام التالية، وتتحسّن قدرتها على التصورّ المكاني في الوقت الذي يرتفع في جسمها إفراز التستوستيرون. في هذه الأيام قد لا تتمكّن المرأة من تسديد الكلمات المناسبة منتهرة الرجل، ولكنها تستطيع أن ترميه بالمقلاة على بعد عشرين متراً!

النساء يرغبن بالحديث ببساطة

عندما تجلس النساء لمشاهدة فيلم في التلفزيون، فإنهن يتطرّقن إلى مواضيع مختلفة بآن واحد: عن العمل والأولاد والأزواج وأمور الحياة الأخرى. أما إذا وُجد معهنّ رجال فإن الاجتماع ينتهي إلى غضب الرجال ومطالبتهم النساء بوقف الثرثرة، إذ أنهم يستغربون أن تستطيع النساء مشاهدة الفيلم والتكلم بآن واحد، بينما هم يستطيعون أن يقوموا إما بالمشاهدة أو بالكلام. من جهة أخرى لا تستطيع النساء أن تفهم معنى لوجودهن ضمن مجموعة إذا كنّ سيجلسن، مثل السمك، بكماً فاتحي الأعين على آخرها باتجاه واحد هو شاشة التلفاز، دون أن يستمتعن بعقد علاقات اجتماعية والمحافظة عليها. وغالباً ما يطلب الرجل من زوجته، أثناء الاستراحة الإعلامية، شرحاً لمجريات الفيلم من أحداث وعلاقات بين الأشخاص، إذ أنه أقل قدرة منها على التقاط الإشارات الدقيقة التي يرسلها الآخرون عبر تعابير الوجه واللفتات والايماءات وفهم معناها.

وبما أن المرأة، في الأصل، قضت يومها برفقة النساء الأخريات والأطفال، فإنها استطاعت تطوير مواهب اجتماعية تستطيع من خلالها بناء علاقات اجتماعية وتنميتها.

والكلام بالنسبة إليها وسيلة لإنشاء تلك العلاقات، والحفاظ عليها. أما الكلام بالنسبة الى الرجل فهو وسيلة لنقل الوقائع والمعلومات فقط.

وبهذا يكون الهاتف بالنسبة للرجال وسيلة لنقل الوقائع والمعلومات، بينما هو بالنسبة للنساء، وسيلة لتوطيد العلاقات الاجتماعية. إذ يمكن للمرأة أن تتحدث بالتلفون لمدة ساعتين مع صديقتها التي قضت معها أسبوعي إجازة وعادت للتو منها إلى منزلها.



«... وأخبرت "ياسمين" "كاترين" عن سبب قلق "أليكس"، لأنها لم تعرف بأن "ماري" كانت قد علمت بذلك، والسبب في كل هذا هو أن "لاورا" كانت قد أخبرت "آدم" كل الأخبار بعد أن علمتها من "ميليساً"، "ولذلك فكّر "سام" بأن ...»

حتى الآن لا توجد براهين كافية تثبت بأن للتربية الاجتماعية أثراً في كون الفتيات يتحدثن أكثر من الفتيان، أو بأن السبب يكمن في كون أمهاتهنّ يتحدثن معهن في الصغر أكثر. لقد أثبتت تجارب العالم النفساني الدكتور "ميخائيل لويس Michael Lewis" صاحب كتاب "اكتساب اللغة والسلوك" بأن الأمهات يرجحن النظر إلى طفلاتهن الصغيرات عن أطفالهن الصغار، والتحدث اليهن. وهناك براهين علمية تثبت بأن الأهل يبدون ردات فعل مختلفة تبعاً للاختلاف في أدمغة أطفالهم الذكور والإناث: فبما أن الدماغ الأنثوي مهيأ بشكل أفضل لتلقّي وبث المؤشرات الكلامية فالأهل يكلّمونهنّ بشكل اكثر. بينما عندما تحاول الأمهات أن يحدثّن أبناءهن الذكور فإنهن يُصبن بخيبة الأمل من أجوبتهم التي غالباً ما تكون قصيرة ومقتضبة وفظة.

الرجال يتحدثون بشكل أصمّ مع أنفسهم

لقد طورّ الرجال أنفسهم إلى محاربين ومدافعين وحلاّلي مشاكل. وبرمجة دماغهم وموقعهم في المجتمع يفرض عليهم ألا يُظهروا وجلاً أو عدم ثقة. لهذا عندما نقصدهم لحل مشكلة ما، نسمع منهم غالباً الجملة التالية «دعني أفكر في الموضوع» أو «أعطني بضع ساعات!». وهذا تماماً ما يفعله في الواقع: يفكرّ بصمت ووجهه لا ينمّ عن أي شيء. فقط عندما يجد الحل سيفتح فمه أو يعطي إشارة، تكاد لا تُلحظ، تظهر على محيّاه وتنبئ بأنه جاهز ليفضي بما عنده. إن الرجال يترافعون أمام أنفسهم وداخل رؤوسهم لأنهم ببساطة لا يملكون القدرة على التعبير التي تمتلكها النساء والتي تجعلهن يتحاورن مع محيطهن. فعندما ينظر رجل من خلال نافذة، لا يتحرك يمنة ويسرة: وتُطلعنا صورة دماغه بأنه يتحاور مع ذاته في تلك اللحظة؛ وعندما تراه المرأة على هذه الحال تظنّ بأنه مالٌّ أو يشعر بالكسل، فتحاول أن تحدثّه أو تكلّفه بعمل ما، وهنا يغضب الرجل لمقاطعته لأنه، كما نعرف، لا يمكنه أن يقوم بأكثر من مهمة في آن واحد.

مساوئ الحديث مع النفس

إذا التقى الرجال بعضهم مع بعض، فلا يضير أن يجلس أحدهم صامتاً متحاوراً مع نفسه. فهم يستطيعون أن يبقوا جالسين في اجتماع، لفترة طويلة، دون أن يتحدثوا إلا قليلاً ودون تذمّر، كما أثناء صيد السمك... ومن المألوف أن يذهب الرجال بعد انتهائهم من عملهم مساء، إلى مكان عام "ليشربوا كأساً من البيرة في هدوء". وهذا ما يحدث فعلاً: هدوء!. وعندما يتواجد الرجل مع امرأة أو مجموعة نساء يظن النسوة بأنه يتقوقع على نفسه ويتجهّم لأنه لا يجد تسلية في أحاديثهن. إذاً، إذا أراد الرجال أن يكونوا أنجح مع النساء عليهم أن يتعمّدوا الإكثار من الحديث.

النساء يفكرن بصوت عالٍ

«أُصاب بالجنون إذا ما كان لدى زوجتي مشكلة، أو إذا ما بدأت بتعداد ما يجب عليها فعله في يومها»، هذا ما أخبرنا به رجل في إحدى ندواتنا واستطرد قائلاً: «تقوم بذكر جميع الاحتمالات والأشخاص بصوت عالٍ، وما ستعمله وأين ستذهب. كل هذا يشلّ تفكيري ويمنعني من التركيز».

عندما يجب على المرأة أن تنجز بعض الأمور تذكر الأمور التي عليها أن تفعلها بصوت عال وتعددها بشكل مختلط، معلقة على التفاصيل كلٍ على حدة.

ومن أهم مصادر قوة الدماغ الأنثوي هو أنه مبرمج على استعمال اللغة كأهم وسيلة للتعبير. عندما يكون على الرجل قضاء خمس أو ست حاجات يقول «عليّ أن أنجز بعض الأمور»، أما المرأة فإنها تذكر كل واحدة على حدة وتقوم بتعداد كل الإمكانيات والاحتمالات بصوت عالٍ ومن دون ترتيب. وهذا مثال: «اذاً عليّ أولاً أن أذهب إلى المصبغة وأحضر الثياب. عليّ غسل السيارة. آه، على فكرة، لقد اتصل "بيتر" وطلب أن أعاود الاتصال به. بعد ذلك سأحضر الطرد من البريد. حقيقة يمكنني ايضاً أن...»؛

وهو واحد من الأسباب التي تجعل الرجال يتّهمون النساء بكثرة الكلام .

مساوئ التفكير بصوت عالٍ

يُعتبر الحديث بصوت عالٍ بالنسبة للمرأة إشارة لطيفة ، تُشرك من خلالها الآخرين بأفكارها ، ولكن الرجل يرى ذلك بمنظار آخر ، إذ يعتقد بأن المرأة ، عندما تقف أمامه حاملةً قائمة من المعضلات منتظرةً منه أن يحلّها لها ، تشعره بالهمّ ، فينفعل ، ويحاول أن يقول لها ما هو واجب عليها فعله . وفي اجتماعات العمل يصنّف الرجال المرأة التي تفكر بصوت عال بأنها مشوشة التفكير أو غير منظّمة أو غبية . ولكي تنال المرأة في هذه الحالات إعجاب الرجل عليها أن تحتفظ بأفكارها لنفسها ، وتعبّر عن النتائج فقط بصوت عالٍ . وفي كل علاقة يجب على كل من الشريكين أن يتعلّم كيف يداري شريكه آخذاً بعين الاعتبار طريقته الخاصة والمختلفة في حل المعضلات . فعلى الرجل أن يتعلّم بأن المرأة لا تطلب منه حلاً بالضرورة عندما تحكي له عن شيء . وعلى المرأة أن تتعلم بأن الرجل عادةً لا ينبس ببنت شفة ، وأن تتقبّل ذلك فتصبح الأمور على ما يرام .

النساء يتحدثن والرجال يعتبرون ذلك هراءً

إن لبناء العلاقات الشخصية وتوطيدها عن طريق الحديث أولوية مطلقة في برمجة الدماغ الأنثوي . فالمرأة تستطيع أن تتفوه ، دون كلل ، بعدد من الكلمات يبلغ ما بين 6-8 آلاف كلمة في اليوم . وتستعمل ما بين ألفين وثلاث آلاف صوت ، و8-10 آلاف إشارة وتعبير وجه وحركة رأس وإشارات جسدية أخرى بهدف التواصل . وجمعاً يبلغ العدد المتوسط لوسائل الحوار التي تستخدمها المرأة في بعث رسائلها أكثر من عشرين ألفاً في اليوم الواحد . وهذه النتيجة تفسّر الخبر القصير الذي بثته الجمعية الطبية البريطانية ومفاده بأن عدد المصابات بأمراض الفك يبلغ أربعة أمثال عدد المصابين .

قال ممثل كوميدي مرةً: «لم أكلم زوجتي في إحدى المرات لمدة ستة أشهر لأنني لم أكن أرغب في مقاطعتها».

لنقارن بين "الثرثرة" اليومية للمرأة مع نظيرها عند الرجل: فهو يستعمل في اليوم ما بين ألفين وأربعة آلاف كلمة، وألف وألفي صوت، وألفين وثلاثة آلاف إشارة جسدية. وجمعاً يبلغ عدد وسائل الحوار لديه سبعة آلاف، أي بحدود الثلث. ويظهر الاختلاف في السلوك اللغوي بين المرأة والرجل على أشدّه في نهاية اليوم على مائدة العشاء، إذ يكون هو قد حقق حصته من المفردات الكلامية اليومية البالغة 7000 فلا يشعر بأي رغبة في الحديث، ويكون في غاية السعادة إذا جلس قرب النار محدقاً بها دون أن يتكلم. أما هي فحالها مرتبط بكيفية قضائها ليومها: فإذا قضته برفقة الناس واستطاعت أن تحقق حصتها من المفردات التعبيرية البالغة عشرين ألفاً، فإنها لن تشعر برغبة في الحديث. أما إذا كانت طوال النهار مع أطفالها الصغار في المنزل فإنها ستكون سعيدة باستهلاك ألفين أو ثلاثة آلاف كلمة، وتتغاضى عن الخمسة عشر ألف الباقية.

ويمكننا أن نتوقّع جميعاً ما يمكن أن يسببه هذا الوضع على مائدة العشاء:

"فيونا": «أهلاً يا عزيزي... جميل أن تكون مجدداً في البيت. كيف كان نهارك؟»

"ميخائيل": «حسناً».

"فيونا": «لقد سمعت من "براين" أنك كنت تنوي أن توقّع العقد مع "بيتر". كيف كان ذلك؟».

"ميخائيل": «جيداً».

"فيونا": «هذا يسعدني لأنه يمكن أن يكون فعلاً زبوناً صعباً. هل تعتقد بأنه سيعمل بنصائحك؟».

"ميخائيل": «نعم».

... وهكذا دواليك.

هنا يشعر "ميخائيل" نفسه وكأنه في قاعة محاكمة وهو لا يريد إلا أن يسترخي ببساطة. وتجنباً لأي شجار سألها هو بدوره: «كيف كان يومك؟» فبدأت تسرد له، وبأدق التفاصيل ما جرى معها خلال اليوم: «لقد كان يوماً ولا كل الأيام! لم أرد أن أستخدم الباص في ذهابي إلى المدينة، لأن صديق ابنة عمي المفضّل، والذي يعمل لدى شركة الباصات، حذّرني من ركوب الباص ففضلت المشي. وفي نشرة الأحوال الجوية قالوا إن هذا النهار سيكون مشمساً ولذلك ارتديت الثوب الأزرق -لقد عرفته طبعاً-، الثوب الذي اشتريته لنفسي في الولايات المتحدة الأمريكية. ماذا كنت أقول؟؟ آه، نعم، لقد ذهبت سيراً على الأقدام وصادفت في طريقي سوزان، و ...». هي تحاول بكل جهدها أن تستوفي جزءاً من حصتها الكلامية اليومية، وهو يتساءل بينه وبين نفسه: «لماذا لا تكفّ عن الكلام وتدعه يرتاح؟». إنه يشعر بنفسه تحت التعذيب.

«لا أريد إلا قسطاً من الراحة» هذه الجملة نسمعها من كل الرجال في كافة أنحاء المعمورة. الرجل صيادٌ، طارد غنيمته طيلة النهار ويريد الآن أن يجلس حول النار ويتأمل ألسنة اللهب ويرتاح ببساطة. وتبدأ المشاكل حين ينشأ عند المرأة شعور يغيظها جداً يتلخص بأن الرجل غير مهتم بها.

عندما ينعزل الرجل وحده، يمكن أن تشعر المرأة عند ذلك بأنها غير محبوبة.

عندما تتحدث المرأة تهتمّ بشكل أساسي بالكلام بحدّ ذاته، بينما يفهم الرجل كلامها المستمر عن المصاعب كرجاء تريد من خلاله أن توجّه طلباً للرجل لكي يساعدها على حل تلك المشاكل. ويشعر هو بوساطة دماغه التحليلي انه يريد أن يقاطعها ويوقف سيل كلامها.

"فيونا": «... ثم زلّت قدمي على الرصيف وكسر كعب حذائي الجديد، ثم ...».

"ميخائيل" مقاطعاً: «عليك ألا تلبسي حذاءً عالي الكعب عندما تذهبين للتسوّق!

لقد قرأت ذات مرة عن ذلك . انك تعرضين نفسك للخطر . البسي حذاء واطئاً فهذا أكثر أماناً» .

هو يفكر : «لقد وجدت حلاً للمشكلة» .

هي تفكر : «لماذا لا يغلق فمه ببساطة ويسمعني للنهاية؟» .

" فيونا " تتابع : « ... وعندما عدت إلى السيارة لاحظت أن العجلة الخلفية خالية من الهواء ، عندئذ ... » .

" ميخائيل " (يقاطعها مجدداً) : «عندما تملئين السيارة بالبنزين في محطة الوقود ، عليك أن تفحصي ، من وقت لآخر ، هواء العجلات . وبذلك لن يتكرر معك ذلك» .

هو يفكر : «مشكلة أخرى استطعت أن أحلها لها» .

هي تفكر : «لماذا لا يبقى هادئاً للنهاية وينصت للآخر؟» .

هو يفكر : «لماذا لا تتوقف عن الكلام وتتركني في حالي؟ ، هل عليّ فعلاً أن أحلّ مشاكلها جميعاً؟ . لماذا لا تتمكن من تجنّب حدوث المشكل وتنجز الأمور بشكل صحيح من أول مرة؟» .

تتجاهل فيونا مقاطعته وتستمر في الحديث .

لقد تحدثنا إلى آلاف النساء في أنحاء كثيرة من العالم . وقد أجمعن كلهن على ما يلي :

عندما تتمكن المرأة أخيراً من أن تخرج ما في جعبتها من كلام متراكم عبر يومها ، فإنها لا تحب أن تُقاطَع لتوجَّه إليها النصائح عن كيفية حل مشاكلها .

الخبر الجيد بالنسبة للرجال : ليس عليهم أن يجيبوا وإنما فقط أن يستمعوا . وعندما تقول المرأة كل ما عندها تشعر بالارتياح والسعادة . وفوق ذلك ستفكر أيضاً بأن الرجل المنصت هو رجل رائع . وهكذا ستكون فرصته بقضاء أمسية سعيدة فرصة جيدة .



«آمل بأني لم أتحدث زيادة عن اللزوم»

والكلام عن المتاعب اليومية، هي طريقة لدى المرأة العصرية للتخفيف من ضغط العمل اليومي خارج المنزل، ولتقوية العلاقات العامة وكسب المساندة. وهذا يفسّر سبب كون غالبية زوّار مكاتب الاستشارة من جهة، وغالبية العاملين في تلك المكاتب من المستشارين -الذين يجب أن يتقنوا الإنصات- من جهة أخرى، هم من النساء.

لماذا تتقطع العلاقات بين الرجل والمرأة

تقول أربع وسبعون من النساء العاملات خارج المنزل، وثمان وتسعون من النساء غير العاملات أن أكبر نقيصة لدى أزواجهن أو شركائهن هي عدم الرغبة في الحديث خصوصاً آخر النهار. هذه المشكلة لم تكن ظاهرة بالنسبة لنساء الأجيال السابقة حيث كانت المرأة مُحاطة دائماً بأفواج من الأطفال والنساء الأخريات اللواتي يوفّرن لها مادة للحديث ويكنّ لها سنداً. أما ربّات البيوت فيشعرن بسهولة بالعزلة والوحدة لأن كثيرات من جاراتهن يعملن أيضاً خارج المنزل. والنساء العاملات يحتككن ضمن عملهن مع

الآخرين ولذلك تكون مصاعبهن مع رجالهن الصامتين أقل. والذنب هنا لا يقع على أحد؛ فهذا أول جيل ليس لديه تقسيم للأدوار كفيل ببناء شراكة ناجحة بين الجنسين. فأهالينا لم تكن عندهم مثل تلك المصاعب، ولكن علينا الا نفقد الأمل لأن الإنسان بإمكانه أن يتعلّم كيف يحافظ على بقائه.

كيف يتحدث الرجال

تكون جمل الرجال أقصر وأفضل، من حيث التركيب اللغوي، من جمل النساء. وكقاعدة، تكون مقدمة الجملة عندهم بسيطة والمعلومة واضحة، وفي النهاية هناك نتيجة أو خلاصة. بشكل عام يمكن للمرء أن يتابع الإيضاحات التي يدرجها الرجل في حديثه، ولكن السائل سيشعر بالضياع إذا ما واجه الرجل بعدة مواضيع متداخلة. وعلى النساء ألا ينسَيْنَ أنه إذا أردن أن يقنعن رجلاً بفكرة أو يبحثن معه موضوعاً معيناً، فلا يجب أن تكون الأفكار متعددة ومتداخلة وانما واضحة وواحدة تلو الأخرى.

القاعدة الأولى للتكلم مع الرجل هي: ليكن كلامكن بسيطاً قدر الإمكان، ولا تواجهنه بأكثر من مشكلة في آن واحد.

وعندما يريد المرء أن يشرح وجهة نظره إلى مجموعة مختلطة من الرجال والنساء، عليه أن يختار تركيب الجمل بالطريقة الذكرية ليلقي الضوء على صميم الموضوع، فالنساء يفهمن طريقة تعبير الرجال. اما الرجال فيجدون صعوبة بمتابعة حديث المرأة متشعب المستويات ويمكن بسبب ذلك أن يفقدوا سريعاً اهتمامهم بالحديث.

النساء يمتلكن عدة قنوات تعمل بآن واحد

كقاعدة، بإمكان النساء أن يتطرّقن إلى مواضيع عدة في آن واحد، وحتى أحياناً في جملة واحدة، وذلك بسبب وجود مركز خاص للكلام في دماغهن، وبسبب التبادل

الكبير ما بين نصفي الدماغ اليساري واليميني لديهن. وهذا يشابه ألعاب الخفة حين تدور ثلاث أو أربع طابات في الهواء. فعلى ما يبدو تستطيع النساء أن يتقنّ ذلك بسهولة. وينتقلن إلى مرحلة أصعب حين يتحدّثن مع غيرهنّ من النساء اللواتي يفعلن الشيء نفسه، أي يطرحن ايضاً عدة مواضيع في وقت واحد، فتطير الطابات كلها في الجو دون أن تقع ولو واحدة منها. وبعد كل حديث تكون عند كل امرأة فكرة عن العدد اللانهائي من الوقائع ومسارها وأهميتها التي تطرّق إليها الحديث. وبهذا تُحبِط المرأة الرجل المبرمج دماغه على اتباع خط واحد، بكونها تتأرجح على أكثر من خط. وعندما تجلس امرأتان وتتحدثان بأمور مختلفة وتنظران إليها من زوايا متباينة، قد تُخرجان رجلاً عن رشده وتشعرانه حتى بالخوف.

وأحياناً تبدأ امرأة بموضوع معين، ثم تتركه وتنتقل، في منتصف الجملة، إلى موضوع آخر مختلف بالكامل، وبدون أي انذار، لتعود إلى الموضوع الأول ثانية مضيفة إليه بعض التفاصيل الجديدة تماماً. وفي أحسن الأحوال، يشعر الرجال بالضياع بعد الجملة الثالثة ولا يعرفون ما يجب فعله. ونورد هنا، على سبيل المثال، محادثة مستقاة من حياة عائلة "بيز" (عائلة مؤلفَي الكتاب):

آلان: «لحظة من فضلك! من قال ماذا لمن في المكتب؟»

باربارا: «أنا لا أتكلم عن المكتب، أنا أتكلم عن صهري»

آلان: «عن صهرك؟ لم أنتبه بأنك غيّرت الموضوع!»

باربارا: «اذاً عليك أن تنتبه أكثر، أنت الوحيد هنا الذي لم يفهمني».

فيونا (أخت باربرا): «أجل لقد فهمت أنا حديثها»

ياسمين (الابنة): «وأنا أيضاً. إن ذهنك سميك يا أبي، تفهم دائماً بشكل متأخر»

آلان: «آه، ايتها النسوة، انا مستسلم!»

كاميرون (الابن): «وأنا أيضاً. ماذا سيحصل معي عندما أكبر يا ترى؟»

إن بمقدور الرجال أن يجدوا الطريق من نقطة (أ) إلى النقطة (ب) في متاهة ملتوية ولكنهم، إذا وُجدوا مع النساء اللواتي يتحدثن بآن واحد وعن أشياء مختلفة، فسيتأكدون من أنهم خلال فترة قصيرة، تائهون تماماً!

تشترك النساء في قدرتهن على التطرّق لأعمال مركبة ومتداخلة. وكمثال على ذلك نأخذ السكرتيرات اللواتي تقتضي وظيفتهن الاهتمام بعدة أمور مختلفة وبآن واحد. ولهذا لن نستغرب عندما نرى بأن موظفي المكاتب وسكرتيريها قد بلغ عددهم في بريطانيا عام 1998 (716148) موظفاً، تسع وتسعون وواحد بالعشرة بالمائة منهم من النساء 99,1، بينما كان عدد الرجال منهم 5913 موظفاً فقط. هنا قد نسمع بعض الآراء التي تقول إن الفتيات، ومنذ نعومة أظفارهن، تُحثّ على اختيار مثل هذه الأعمال، وينسى هؤلاء بأن النساء متفوقات ببساطة على الرجال فيما يخصّ مقدراتهن الكلامية والتنظيمية، ومواهبهن في القيام بمجموعة وظائف متزامنة. وحتى في المؤسسات المعنية باتباع خط المساواة في توفير فرص العمل ما بين الذكور والاناث، مثل البلديات أو المكاتب الاستشارية أو الجمعيات الخيرية، نجد في بريطانيا عام 1998 أنه من بين 144266 موظفاً هناك بلغ عدد الرجال 43816 وعدد النساء 100450. وبالمجموع تتغلب النساء في كل مكان يتطلب مهارة كلامية وقدرة على التواصل.

ماذا يظهر التصوير الدماغي

يظهر التصوير الدماغي عند النساء أثناء عملية الكلام بأن القسمين الأماميين لنصفي الدماغ الأيسر والأيمن يتفعّلان معاً، وفي الوقت نفسه تتفعّل وظيفة السمع. هذه الحقيقة المدهشة هي التي تسمح للمرأة بأن تتكلم وتنصت بآن واحد، حتى لو تعددت المواضيع وتباينت. وكان استغراب الرجال كبيراً عندما علموا، للمرة الأولى، بامتلاك النساء لهذه الصفة لأنهم كانوا دوماً يعتقدون بأن النساء ما هن إلا كائنات تثرثر كيفما اتفق.

تستطيع النساء أن يتحدثن وينصتن في الوقت نفسه بينما ينتقدنَ الرجال كونهم غير قادرين على فعل الشيء نفسه.

وبسبب سيل كلامهن، بقي النساء على مدى آلاف السنين، محط تندّر من قبل الرجال. ونسمعهم في كل بقعة من الكرة الأرضية يقولون: «انظروا كيف تتحدث النساء كلهن في وقت واحد، هراء هراء هراء، ولا تسمع الواحدة منهن ما تقوله الأخرى». وهذا الرأي أجمع عليه الرجال في الصين وألمانيا والنروج كما في افريقيا والاسكيمو.

كيف يمكن التحدث إلى الرجال على الوجه الأمثل

عادة لا يقاطع الرجال بعضهم بعضاً إلاّ عندما يصبح الأمر عدوانياً أو عندما يحاول أحدهم الانتصار على الآخر. فعندما يودّ المرء الحديث مع رجل فأبسط الاستراتيجيات تكمن في تركه يُكمل كلامه. وهذه مهمة صعبة بالنسبة للمرأة التي ترى في الكلام المتزامن تعبيراً عن الاهتمام بالحديث من جهة وتوطيداً للعلاقات من جهة أخرى. فحينما تريد المرأة أن تُشعر الرجل باهتمامها به وأن تترك لديه انطباعاً جيداً، توجه الحديث معه إلى عدة مستويات فتصطدم بآذان صماء. فهو لا يستطيع ببساطة أن ينصت بمثل هذه الحالة فضلاً عن أنه يعتبر المقاطعة سلوكاً بعيداً عن التهذيب.

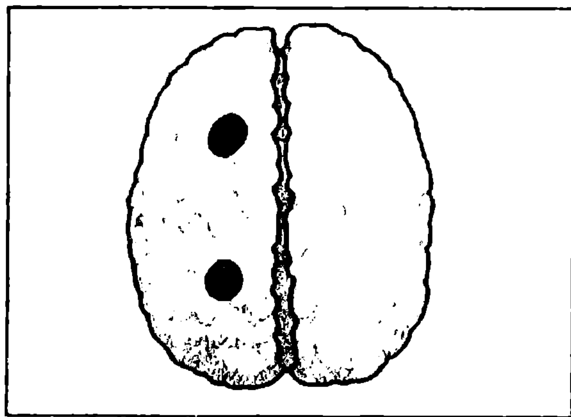
الرجال يتحدثون كلٌ بدوره. إذاً، فعندما يستلم الرجل الدور في الحديث، اتركه يفعل ذلك.

«كفّي عن مقاطعتي بشكل دائم» نسمع الرجل يصرخ بهذه الجملة بكل اللغات وفي كل أنحاء العالم. فالجمل بالنسبة للرجال يجب أن تُنطق حتى نهايتها ويجب أن ترتكز على مشكلة معينة وإلاّ فإن الحديث سيصبح بلا معنى عنده. إذ لا يستطيع أن يلعب بعدّة كُرات وفي الوقت نفسه، ويعتبر الشخص الذي يقوم بهذا أثناء الحوار شخصاً

غير مهذب أو مشوش التفكير . اما بالنسبة للمرأة فتعتبر هذه الطريقة بالتقييم غريبة . وتنشأ عن هذا الاختلاف في المحادثة بين النموذج الأنثوي والذكري مواقف حامية الوطيس تنتهي برد فعل كلامي من الرجال فاقدي الصبر : ففي 76 % من مثل هذه الحالات يصل الرجل إلى درجة من التوتر تجعله يقاطع المرأة قبل أن تتم جملتها .

لماذا يفضل الرجال إلقاء الكلمات الرنانة

بما أن دماغ الصياد لا يمتلك مركزاً متخصصاً للكلام ، لذلك وجب على الرجل أن يتعلم كيف يوضح أكبر كمّ من المعلومات بأقل كمّ من الكلمات ، لذلك تطوّرت لديه مناطق متخصصة بالمفردات وهي توجد في القسم الأمامي والسفلي من نصف الدماغ الأيسر . اما عند المرأة فتوجد مناطق مشابهة مبعثرة في نصفي الدماغ على السواء ولكنها لا تشكل مركزاً محدداً بشكل صريح . ان تعريف الكلمة وتحديد معنى واضحاً لها لا يشكل بالنسبة للمرأة أهمية خاصة لأنها تعتمد بقوة على استخدام مستويات النبرة عندما تريد توضيح معنى أو شرح كلمة . كما أنها تعتمد على لغة الجسد عندما يتعلّق الأمر بالمحتوى العاطفي للحديث .



المناطق المسؤولة عن مفردات اللغة في الدماغ الذكري

وليتفوق الرجل على رجل آخر أو على امرأة في الإقناع، يحرص على إيراد المعاني بدقة وعلى استعمال تعاريف الكلمات: فاللغة بالنسبة للرجال وسيلة يتسابقون من خلالها مستخدمين التعاريف كخطة تكتيكية مهمة في هذه المباراة. ولنأخذ مثلاً عبارة يقولها أحدهم منتقداً آخر ومستعملاً قوة الحجة «لقد تحدث فلان عن هذا وذاك، ولم يتطرق إلى لب الموضوع، بحيث لم يستطع أحد أن يفهم ماذا يريد أن يقول». وهنا يمكن لرجل آخر أن يقاطع هذا الأول قائلاً: «أنت تقصد بأنه لم يتمكّن من التعبير بشكل كاف ووافٍ». وبهذا يشعر بأنه حصّل نقطة إضافية تُحسّن مركزه أمام منافسه، أو من يعتبره هو كذلك.

النساء يظهرن الامتنان عن طريق اللغة

تستخدم المرأة الكلمات لتظهر من خلالها شعورها بالآخر ولتبني الجماعة ولتوطّد العلاقات. الكلمات بالنسبة لها كالمكافأة تغدقها على من تثق به وتتبادلها مع من تعتبرهن صديقاتها والعكس بالعكس. فاحياناً تمتنع عن محادثة شخص ما بهدف معاقبته أو إشعاره بأنها لا تكنّ له الود. وهي تستطيع فعلاً أن تعاقب بالصمت وعلى الرجل أن يأخذ تهديد المرأة على محمل الجدّ عندما تقول له «لن أتبادل معك كلمة واحدة بعد اليوم»!

اذا ما تحدّثت المرأة معكم فهي تودكم. وعندما تمتنع عن الكلام فأمركم صعب!

ويحتاج الرجل العادي إلى تسع دقائق تقريباً لكي يستوعب بأن المرأة تعاقبه بصمتها. والى حين بلوغ تسع الدقائق هذه يعتبر بأن توقفها عن الكلام هو توقف ايجابي يستطيع خلاله أخيراً أن يصل إلى الراحة والسلام. يشتكي الرجال في العالم أجمع من كثرة حديث النساء. وهذا صحيح، إذ أن النساء يتكلمن فعلاً بقدر وافٍ.

النساء يتبعن الطريق غير المباشر

لقد بدأت رحلة نهاية الأسبوع إلى وادٍ رائع الجمال، يبعد عن المنزل مسافة بضع ساعات، بدأت بشكل لطيف ومريح. وعندما أصبح الطريق جبلياً حاداً ملتوياً ومتعرّجاً، أطفأ "جون" جهاز الراديو لكي يستطيع أن يركّز على الطريق، كونه لا يتمكن من سماع الموسيقى والقيادة على المنعطفات بوقت واحد. وهنا سألته صديقته "أليسون": «هل ترغب بفنجان قهوة يا جون؟» ابتسم "جون" وردّ «لا شكراً، ليس الآن»، وقد فكّر بنفسه: إنها لفتة لطيفة منها. وبعد فترة لاحظ "جون" أن "أليسون" صامتة بشكل مريب. فخاف أن يكون قد ارتكب خطأً ما معها وسألها «هل كل شيء على ما يرام يا حبيبتي؟». «كل شيء عظيم» ردّت "أليسون" بحدّة. استغرب "جون" وقال «... ما هي المشكلة؟». ردت ساخرة، نافخة خشميها «لماذا لم ترض أن تتوقف!». وحاول "جون" أن يبحث ضمن دماغه التحليلي في أي وقت طلبت منه أن يتوقف، ووصل إلى النتيجة بأنها لم تطلب منه ذلك أبداً، وأبلغها إياها. فأردفت قائلة له إن قليلاً من رهافة الحس لن تضرّه، وإنها عندما سألته إذا كان يريد أن يشرب فنجاناً من القهوة كانت قد عنَت بأن لديها هي الرغبة بشرب القهوة.

«من أين لي أن أعرف ذلك وحدي؟ هل أنا نبيّ؟ أجاب بعصبية. «قولي ما تريدين بشكل واضح!» وهذه أيضاً إحدى العبارات التي نسمع الرجال في كل أنحاء العالم يرددونها على مسامع نسائهم. إن طريقة التعبير لدى المرأة تتميز بأنها غير مباشرة، أي أنها تلمّح للشيء الذي تريده أو تحوم حوله.

هذه الخاصة تعتبر أنثوية بحتة إذ تساعد على توطيد العلاقات بتجنبها المجابهة والشجار والعدوان، وتتوافق كلياً مع البنية العامة للحفاظ على العش والميول الاجتماعية المشجعة على الوئام.

> عند النساء، تخلق الطريقة غير المباشرة في التعبير جواً من الانسجام. ولكنها لا تنجح على الغالب مع الرجال الذين لا يفهمون أصول هذه اللعبة.

إن الدماغ الأنثوي موجّه ايضاً للاستمتاع بالحديث من اجل الحديث، فهن يحببن عملية التحادث مع الآخر بحدّ ذاتها. أما الرجال فيعتبرون ذلك نقيصة تفتقد إلى البناء الواضح والهدف الواضح، فيصابون بالدهشة ويتهمون النساء بأنهن لا يعرفن عما يتحدثن. وقد تجلب طريقة التعبير غير المباشرة هذه للنساء الكوارث، خاصة في مجال الوظيفة، لأن الرجال لا يستطيعون تتبع محادثة تجرى على عدة أصعدة وبأسلوب غير مباشر. وكثيراً ما تُرَدّ المرأة على أعقابها من قبل الرجال بما قدمته من مقترحات أو مسائل أو طلبات. وبينما تكون هذه الطريقة ناجعة في عقد وتوطيد أواصر الصداقة، تصبح سلبية عندما يتعلّق الأمر بسيارات أو طيارات قد تصطدم أو تسقط لأن السائق أو القبطان لم يتلقّ التعليمات بشكل مباشر وغير قابل للتأويل. هذه الطريقة غير المباشرة في التعبير تستخدم ألفاظاً مخفَفَة مثل «هيك» «يعني» «قليلاً».

هل يمكن أن نتصور ماذا يمكن أن يحصل إذا كان " ونستون تشرشل " صاحب السلطة في بريطانية اثناء الحرب العالمية الثانية، قد استعمل طريقة غير مباشرة في التعبير ليجند الحلفاء ضد الخطر الهتلري؟ لنتخيل مثلاً ما يلي: «يمكن لنا أن نطاردهم على الشواطىء، أو ما شابه ذلك، أو يمكن أن يكون ذلك قليلاً في الريف، يعني أننا لن نستسلم أو نفعل شيئاً من هذا القبيل»، لو كان التجنيد يسير على هذا النحو لخسر الحلفاء ربما الحرب. عندما تستعمل المرأة هذه الطريقة في التعبير مع امرأة أخرى لن يحصل أي إشكال، لأن النساء يفهمن المقصود من الرسالة الموجهة. اما إذا كان الحديث مع رجل فقد تجلب تلك الطريقة في التعبير كوارث، لأن أسلوب الرجال في الكلام مباشر ويأخذون الكلام بحرفيته. ولكن الصبر والمران سيعلّمان الطرفين كيف يفهم أحدهما الآخر.

الرجال يتّبعون الأسلوب المباشر

تكون جمل الرجال قصيرة ومباشرة موضِحة للمشاكل ومركِزة على معنى الكلام. كما يستخدمون ذخيرة لغوية أكبر وأدق ويفصلون الحوادث ضمن جملهم مستخدمين

تعابير مثل "قطعاً" "ابداً" "مطلقاً" . هذه الطريقة سهلة، التعامل معها جيد وسريع، وهي وسيلة لإظهار القوة أمام الآخرين. ولكن قد تُظهر الرجال، في المجالات الشخصية، بمظهر قليل الكلام وقليل التهذيب.

تأمل الجمل التالية:

حضري لي بيضاً مقلياً على الإفطار!

هل ستحضرين لي بيضاً مقلياً على الإفطار؟

هل بإمكانك من فضلك أن تحضري لي بيضاً مقلياً على الإفطار؟

هل تعتقدين بأنه علينا أن نحضّر بيضاً مقلياً على الإفطار؟

ما هو رأيك في البيض المقلي على الإفطار؟

سيكون ممتعاً أن يكون لدينا بيضٌ مقليٌ على الإفطار!

هذه الطلبات كلها لها علاقة بطلب البيض المقلي على الإفطار، تتفاوت ما بين أسلوب مباشر وأسلوب غير مباشر. الجمل الثلاث الأولى لها نمط ذكري بينما الجمل الثلاث الأخيرة لها نمط أنثوي، وكلها كلمات مختلفة لطلب صحن البيض. ويمكن للمرء أن يتصور أن الشهيّة ستتحوّل إلى دموع عندما سيطير الصحن ويحط على رأس الرجل: «أيها الفظّ، فلتصنع طبقك الغبي بنفسك» ويزمجر هو فاقداً أعصابه «ألا تستطيعين أن تصنعي قراراً بنفسك حتى ولو كان بسيطاً! سأذهب للأكل في مطاعم ماك دونالدز».

ماذا يمكن أن نفعل لتجنّب ذلك

على الرجال ألا يتذمروا ويفهموا بأن طريقة التعبير غير المباشرة هي جزء من بناء الدماغ الأنثوي. ولكي يوطّد الرجل علاقته مع المرأة عليه أن يتعلّم إمكانية الإنصات، وأن يصدر إشارات صوتية ويستعمل لغة الجسد للدلالة على حسن إصغائه وسنتكلم عن ذلك فيما بعد. وعليه ألا يعرض على المرأة حلولاً أو اقتراحات ويذهب أبعد من ذلك ويسألها عن "السبب" الذي دعاها للحديث. عندما يبدو أن المرأة تواجه مشكلة،

فأفضل طريقة أمام الرجل هي أن يسألها : هل تودّين أن أستمع إليك كرجل أو كامرأة؟» ؛ فإن أرادت أن يستمع إليها كإمرأة عليه أن ينصت إليها ببساطة ويرفع من معنوياتها، وإن أرادت أن يستمع إليها كرجل عندها عليه أن يعرض اقتراحات وحلولاً .

عندما يرغب المرء في أن ينصت رجل له، عليه أن يخبره بذلك مقدماً، ويعلمه منذ البداية بالنقاط التي يود أن يبحثها معه .

اذا أرادت المرأة أن تنتزع من الرجل أفضل انطباع، عليها أن تخبره سلفاً بالأمور التي تُريد أن تبحثها معه . مثلاً : أود أن أبحث معك أمراً يتعلق بعلاقتي برئيسي في العمل، هل سيكون لديك الوقت لذلك حوالي الساعة السابعة بعد العشاء؟

سؤال كهذا يتوافق مع التركيب المنطقي للدماغ الذكري، وسيلاحظ الرجل بأن المرأة تأخذ الأمر بجدية وبأنها ستستطيع بحث مشكلتها معه .

أما إذا بدأت الحديث بجملة : «لا أحد يقدّر مدى تعبي في العمل» فستكون هذه البداية كافية لتجعل الرجل يأخذ موقعاً دفاعياً . في الدول الغربية يستعمل الرجال طريقة تعبير مباشرة عندما يتحدثون مع رجال آخرين في مجال العمل . أما في الدول الشرقية فلا نواجه ذلك : ففي اليابان مثلاً تعتبر طريقة التعبير غير المباشرة أمراً اعتيادياً في مجال العمل، ويعتبر من يستخدم الطريقة المباشرة ساذجاً أو طفولياً . كما يصنِّف الأجانب منهم كأشخاص غير مكتملي النضج .

كيف يمكن للرجل أن يصبح فاعلاً

كسبّاقة في مجال صياغة الجمل غير المباشرة تطرح المرأة أسئلة من نوع : «هل تستطيع ... أو هل بإمكانك أن ... مثلاً : «هل بإمكانك أن ترمي القمامة؟»، «هل تستطيع إحضار الأولاد من المدرسة؟» . وهنا يفهم الرجل أسئلتها بشكل مباشر، فعندما تسأله : «هل تستطيع استبدال اللمبة المحروقة» سيفهم «هل عندك القدرة على استبدال

اللمبة المحروقة؟». إذاً، يعتبر الرجل سؤالاً من نوع «هل تستطيع» تقييماً لقدراته وتكون أجوبته المنطقية على الشكل التالي «نعم، أستطيع استبدال لمبة محروقة بأخرى سليمة وبإمكاني رمي القمامة». وطبعاً لا تشكل هذه الكلمات بالنسبة له واجباً أو أمراً من المرأة يُجبر به على الموافقة بالقيام بالمطلوب.

أما عندما يريد المرء تشجيع الرجل على القيام بأمر ما، فعليه أن يطرح أسئلة من نوع «هل ستفعل... هل يمكن أن تقوم بـ...» لكي يحصل على جواب شافٍ. وهاكم مثالاً: «هل ستتصل بي اليوم مساء؟» إنها دعوة لتحمل مسؤولية الاتصال وهنا على الرجل أن يجيب بنعم أو لا. ومن الأفضل لكليهما أن يرد الرجل بلا على أسئلة «هل ستفعل...» ونكون عارفين بردة فعله، على أن يرد بنعم على أسئلة «هل تستطيع». فالرجل عندما يريد أن يطلب يد امرأة للزواج لا يقول لها أبداً «هل تستطيعين أن تتزوجينني؟ بل «هل تريدين ؟» أو «هل ترغبين؟»

لغة الرجال حرفية، ولغة النساء عاطفية

بما أن دماغ المرأة لا يبالغ بإعطاء أهمية كبيرة لمفردات اللغة، فإنها تقع غالباً في شرك المبالغة لعدم إعطائها تعاريف الكلمات حقها.

وبهذا تعطي لنفسها الحق بالحرية الشعرية ولا تتوانى عن الإسراف في ذلك لتعطي الانطباع الذي تريده. ولكن الرجل يأخذ كلماتها بشكل حرفي ويتصرف طبقاً لذلك.

وفي المجادلات التي تحصل فيما بينهما يحاول الرجل أن يأخذ الكلمات التي تستعملها المرأة بحرفيتها ليكسب الجولة. معتمداً على عدم قدرتها على التحديد. إليكم هذا الحوار. هل ستجدونه مألوفاً ؟

روبين: «أنت تنتقدني دائماً فيما أقوله!»

جون: «ماذا تعنين "بدائماً" ؟ لقد وافقتك على حجتيك الأخيرتين.»

روبين: «لم تكن **أبداً** من رأيي وتحب **دوماً** أن يكون الحق معك!»

جون: «هذا غير صحيح على الإطلاق! اليوم صباحاً وأمس مساء ويوم السبت الماضي كنت موافقاً معك على رأيك. لذلك لا يمكنك الزعم بأنني لم أكن **أبداً** من رأيك»

روبين: «أنت تكرر هذا كل مرة، عندما أتحدث عن ذلك!»

جون: «كذب! أنا لا أقول هذا كل مرة!»

روبين: «وفوق ذلك أنت تلمسني **فقط** عندما تريد ممارسة الجنس معي!»

جون: «كفّي عن هذه المبالغات! أنا لا ألمسك **فقط** عندما...»

هنا تعدد هي حجج أخرى وتحاول أن تهزمه على الصعيد العاطفي، أما هو فيستمر في تحديد معاني كلماتها. وتأخذ المجادلة حججاً بحيث تصبح المرأة رافضة للاستمرار في الحديث معه، ويبتعد هو ضارباً الأرض بقدميه ناخراً بأنفه ليبقى وحده...

ولكي ينجح الرجل في الإقناع عليه بداية أن يعي بأن استعمال المرأة لكلمات محددة لا يدل على أنها تعنيها فعلاً، ولذلك عليه ألا يأخذ حديثها بحرفيته وألا يسعى لتصحيح كلامها. فعندما تقول المرأة ما يلي: «إذا ما جلست أمام امرأة أخرى وصادف أنها تلبس الثوب نفسه الذي ألبسه فسأموت، إذ لا يوجد أفظع من هذا!» هي لا تعني طبعاً بأنها تضع في حسابها الموت أو أن ذلك هو فعلاً قمة السوء. أما الرجل، الذي يأخذ الكلام بحرفيته، فسيعقب على الأغلب بما يلي «لا، لن تموتي لهذا السبب. بالطبع هناك أشياء أسوأ بكثير من كون امرأة أخرى ترتدي الثوب نفسه». وهنا ستسمع المرأة في هذه الإجابة تهكماً. وفي النهاية، على المرأة أيضاً أن تتعلم كيف تقدم للرجل حججاً منطقية إذا ما أرادت الانتصار عليه، مع مراعاة أن تُقدمها بالتتالي حتى يستطيع أن يفكر بكل حجة على حدة.

كيف تصغي النساء

حسب القاعدة، يمكن للمرأة أن تعكس بالمتوسط خلال عشر ثوانٍ، ستة تعابير وجه مختلفة، تعبّر بها عن ردود فعلها على مشاعر محدثها، بحيث يعكس كل شعور

التعبير الموافق له. ويتهيأ للمتابع عن بعد بأن الأحداث التي تصفها امرأة لأخرى هي أحداث وقعت للاثنتين معاً.

هنا بعض النماذج لردود فعل الوجه التي تظهرها المرأة عندما تصغي خلال فترة زمنية لا تتجاوز عشر ثوانٍ



تلذذ خوف فرح غضب دهشة حزن

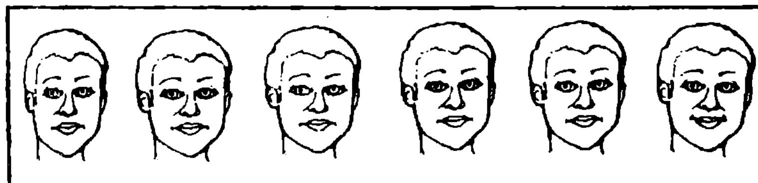
إن المرأة تكتشف أهمية ما يقال عن طريق لحن الصوت ولغة الجسد عند المتكلم.

وهذا ما يجب على الرجل فعله إذا ما أراد أن يلفت اهتمام المرأة ويجعلها تستمر في الإنصات له. إن أغلبية الرجال لا يستطيعون التصور بأنه عليهم التعبير عن تأثرهم بما يسمعون عن طريق تغيير تعابير وجههم. ولكنه من المفيد للرجل أن يتقن هذا الفن.

الرجال يصبحون تماثيل عند الإصغاء

لقد كان مهماً للمحارب، من ناحية التطور البيولوجي، أن يُبقي تعابير وجهه تحت الرقابة كيلا يقرأ أحدٌ أفكاره.

وهنا نرى عرضاً لتغيّر تعابير وجه الرجل، خلال المدة الزمنية نفسها البالغة عشر ثوانٍ، عند تعرضه للمشاعر نفسها خلال الحديث.



تلذذ خوف فرح غضب دهشة حزن

إنه من المسلّي مراقبة هذه التقنية الذكرية للإنصات ولكن علينا ألا نتناسى الحالات النفسية التي تختبئ وراء ذلك. ان القناع الجامد الذي يتخفى الرجال خلفه عندما يستمعون للآخرين، يعطيهم الشعور بأنهم يسيطرون على الأشياء كلها، إنما لا يعني أنه ليس لديهم أحاسيس. وقد أفادت الصور الدماغية بأن المشاعر لدى الرجال تماثل نظائرها عند النساء، انما الرجال يتجنبون إظهارها.

كيف يمكن استعمال الآهات دلالة على الإنصات

تمتلك النساء مجالاً واسعاً من الأصوات التي ترافق الإصغاء، تبلغ بمجملها خمسة مستويات لحنية، تستخدم ضمنها "الأوه" و"الآه" وإعادة بعض الكلمات المسموعة، أو إعادة محتوى ما يُقال أو التعليق على ما وَرَدَ بطرق مختلفة. أما الرجال فليس لديهم سوى مجال محدود يبلغ ثلاثة أصوات فقط، إذ يجدون من الصعوبة بمكان تمييز تغيّرات طبقة الصوت ولذلك فإن "لحن الكلام" عندهم يبقى على وتيرة واحدة نسبياً.

ولكي يظهر الرجال بأنهم يصغون فعلاً، يصدرون صوتاً كالهمهمة القصيرة، يرافقونها من وقت لآخر بهزة رأس خفيفة تؤكد بأنهم ينصتون. وعلى الأرجح هم يستمعون فعلاً ولو لم يبدُ عليهم ذلك. وعلى النساء العاملات أن يَعينَ بأن أصوات الهمهمة ضرورية لكسب المال. وعندما تعرض المرأة اقتراحاً أو رأياً على رجل أو أكثر عليها ألا تظهر مشاعرها عندما يأتي الدور بالحديث للرجل، كما تفعل عندما يكون الطرف الآخر امرأة. فعلى النساء الجلوس ووجوههن جامدة، أن يهززنَ برؤوسهن ويهمهمن وأهم شيء ألا يقاطعن. وحسب خبراتنا فإن النساء اللواتي يستخدمن تلك التقنية يلقَين قبولاً أكبر عند الرجال. أما النساء اللواتي يعكسنَ مشاعر الرجال من خلال تعابير وجههن، يفقدنَ ثقة الرجال بهن وتقديرهم لمركزهنّ. وقد يعتبر بعض الرجال نساء كتلك مشوشات أو مجنونات.

كيف يمكن أن نكسب الرجل للإنصات

اضربي له موعداً وأخبريه بالموضوع الذي ستتحدثين به معه، وقولي له إنك لا تتوقعين منه حلولاً أو اقتراحات. قولي له ببساطة «أريد أن أتحدث معك عن مجريات اليوم يا "آلان" هل يناسبك بعد العشاء؟ أنا لا أريد حلولاً ولكنني أرغب فقط بأن تصغي إليّ». أغلبية الرجال لن تعترض على أسلوب الطلب هذا، لأن ما يحتاجه دماغهم لكي يتجاوبوا هو تحديد زمان ومكان وهدف للمحادثة، وبهذا الشكل يكون كل ذلك متوافراً. وفوق هذا سيكون غير متوقع منه أن يقوم بأية "إجراءات".

الصوت الأنثوي الرفيع

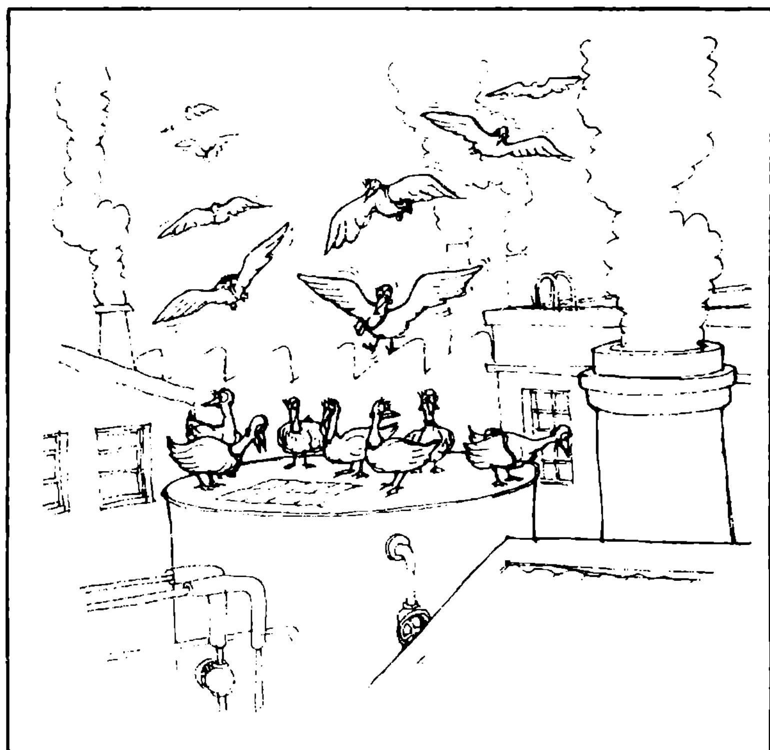
ليس من الضروري أن تكون المرأة أخصائية في علم بيولوجيا التطور البشري حتى تعرف التأثير الكبير للصوت الأنثوي الرفيع في الرجل. إن ارتفاع طبقة الصوت يُعبّر عن ارتفاع مستوى الاستروجين في الدم، ويثير الصوت "البنّاتي" غريزة الدفاع عند الرجل. وخلاف ذلك تُقدر النساء في الرجال الصوت الغليظ، لأن ذلك يشير إلى ارتفاع مستوى التستوستيرون ويدل على المقدرة الجنسية العالية. هذه القفزة باتجاه «الأوكتافات» الصوتية المنخفضة تحصل [عند الذكر] في فترة البلوغ عندما يُغرق الجسم بالهورمون الذكري ويتغير الصوت ويخشن. وعندما تتكلم المرأة فجأة بصوت أرفع من المعتاد وينزل الرجل بضع درجات على سلّم طبقته الصوتية، يصبح هذا إشارة - لا يمكن التغاضي عنها - إلى أن الاثنين مهتم أحدهما بالآخر. ونحن لا نلمّح على الإطلاق بأنه على الرجل والمرأة أن يسلكا هذا السلوك، انما نشرح ما هو حاصل فعلاً.

هل تشعرون بالإغراء من قبل أحدهم أو إحداهن؟ اذاً انتبهوا إلى ارتفاع أو انخفاض طبقة الصوت.

ومن المهم أن نعلم أن المرأة ذات الصوت العريض، تُعتبر في عالم الأعمال أكثر ذكاءً ومدعاةً للاحترام والثقة، وهذا ما أثبتته الدراسات المرة تلو المرة. ويمكن للمرء إصدار صوت أعرض عندما يترك فكّه ينزل للأسفل وعندما يتحدث ببطء على وتيرة واحدة. وكثيرات هن النسوة اللواتي تصعّدن من طبقة أصواتهن متصورات بأنهن يحققن سلطة أكبر، بينما يظهرهن ذلك على شكل عدواني. ومن المثير للانتباه أن نلاحظ أن النساء البدينات غالباً ما يستعملن النبرات العالية "البناتية" ليغطين بذلك سمنتهن وأن غيرهن تستعملنها لإيقاظ غريزة المدافع عند الرجال الذين يعجبونهن.

الفصل الخامس

التصوّر المكاني، الوصول إلى الهدف وصفّ السيارة



«أوه، لا ! لا أصدق هذا أيتها الفتيات ... انظرنَ إلى الخريطة مرة أخرى ... !
أظن بأنه كان علينا أن نأخذ يميننا بعد تجاوزنا ذلك الجبل الأخضر الكبير ... »

كان "راي" و "روث" في طريقهما إلى مركز المدينة لحضور إحدى الأمسيات. جلس "راي" كالعاده خلف المقود، وجلست "روث" بجانبه؛ لقد اعتاد أن يقود هو عندما يكونا معاً دون أن يناقشا سبب ذلك. وككل الرجال اصبح "راي" خلف المقود إنساناً آخر.

لقد طلب من "روث" أن تبحث عن الشارع في المخطط، ففتحته على الصفحة الصحيحة وقلبت الخريطة رأساً على عقب ثم أعادتها كما كانت. جلست صامتة لا ترفع نظرها عن المخطط: انها تعرف ما هي الخريطة، ولكن عند استعمالها إيّاها يصبح الأمر غريباً. هذا ما كان يحصل معها في مادة الجغرافيا. كل هذه الاشكال الزهرية والخضراء تعرفها ولكنها لا تمتّ للواقع الذي تعيش فيه إلا قليلاً. وحين كانا يسافران باتجاه الشمال كانت ترى من السهل استعمال الخريطة. إنهما مسافران هذه المرة باتجاه الجنوب، وهنا تكمن الكارثة.

«كفِّي عن مسك الخريطة بالمقلوب!» فاجأها "راي" بعد فترة قصيرة. «يجب أن أنظر إليها في الاتجاه نفسه الذي نسافر فيه...» أوضحت "روث" دون أن تكون، نفسها، مقتنعة بما تقول.

«نعم، ولكن هذا لايبرّ، رغم ذلك، قراءتها بالمقلوب».

«انظر يا "راي"، أرى انه من المنطقي نوعاً ما أن تُمسك الخريطة متوافقة مع اتجاه السفر». دافعت روث «وهكذا أستطيع أن أقارن لوحات الشوارع بالأسماء الموجودة على الخريطة».

«طبعاً، ولكن هذا لا يبرر قراءتها بالمقلوب؛ لماذا لا يطبعونها إذاً بالمقلوب؟ ما رأيك؟. توقفي عن هذا الهراء وقولي لي أخيراً إلى أين يجب أن نتجّه؟».

وصرخت "روث" غاضبة «سأريك الاتجاه الصحيح» ورمت بالمخطط على رأس "راي" وهي تصرّ على أسنانها: «تأكّد بنفسك!».

هل تبدو هذه المساجلة غريبة تماماً عنكم؟ إن هذا الجدال هو واحد من الجدالات التي تحصل كثيراً ما بين الرجال والنساء من كل الأجناس ومنذ آلاف السنين. ففي القرن الحادي عشر أخذت الليدي «Godiva» شارع « Coventry » خطأً عندما امتطت فرسها عارية لا يغطي جسدها إلا شعرها؛ وأضاعت "Juliet" طريقها عندما أرادت ان تعود إلى منزلها بعد موعدها مع «روميو»؛ وهددت «كيلوباترا» «انطونيو» بأنها ستجعل خدمها يخصوه إذا ما استمر في إجبارها على قراءة خرائطه الحربية؛ كما ان «ساحرة الغرب الشريرة» ضاعت في ما بين جهات الشرق والشمال والجنوب[1].

التميز الجنسي

ان مهارة قراءة الخرائط والتعرّف على المكان ترتبط بقدرة الشخص على التصوّر المكاني. وتدل الصور الدماغية بأن مركز هذه المهارة عند الرجال والفتيان موجود في مقدمة النصف الدماغي الأيمن وهذه المنطقة تُعدّ أكثر تميزاً في الدماغ الذكري.

هذه المهارة تبلورت عند الرجال على مرّ العصور لكي يستطيعوا كصيّادين أن يحددوا سرعة وحركة ومكان الغنيمة، وأن يقدّروا المدى الواجب عليهم قطعه ركضاً والقوة التي سيبذلونها للقضاء على طريدتهم بفأس حجري أو برمح لتأمين الغذاء لعائلاتهم. أما عند النساء فتتوزع مراكز هذه المهارة في نصفي الدماغ دون تميّز معيّن كما هي الحال عند الرجال. وعشرة بالمئة فقط من النساء يتمتّعن بمهارة التصوّر المكاني بشكل ممتاز.

حوالي 90 % من النساء يمتلكن حساً محدوداً فيما يخص التصوّر المكاني.

سيعتبر بعض القراء دراستنا هذه ضرباً من التمييز بين النساء والرجال [لصالح الرجال] كوننا وصفنا مناطق القوة والمهارات التي يتفوّق فيها الرجال على النساء

1. «ساحرة الغرب» مستقاة من كتاب «ساحر أوز» للمؤلف Lyman Frank Baum . "المؤلف"

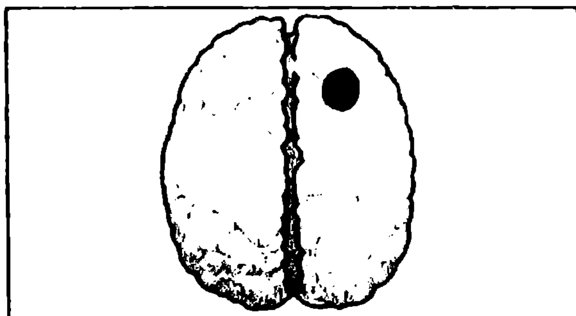
والفعاليات التي خصتّهم بها الطبيعة بالتميز الواضح . ولكننا فيما بعد ستتحدث عن المجالات التي تتفوّق فيها النساء .

الرجل الصياد يظهر للعيان

تُنسب للتصورّ المكاني القدرة على تصورّ شكل وحجم ونسب ومكونّات وحركة وموقع الأشياء، كما يشتمل على قدرة تصورّ الشيء في الذهن وتقليبه من زوايا، وعلى التخيلّ المرحلي والتحليل ثلاثي الأبعاد .

وقد كان الهدف الأصلي محصوراً بتقدير حركة الحيوان المراقب بصدد القضاء عليه .

ولقد أخضعت الدكتورة "كاميلا بينبو Dr. Camilla Benbow" بروفسورة علم النفس في جامعة «يووا» بالولايات المتحدة اكثر من مليون فتىً وفتاةً لتصوير الدماغ الوظيفي بهدف دراسة خاصية التصورّ المكاني ، فظهرت الاختلافات بين الجنسين واضحة للعيان بدءاً من سن الرابعة : تستوعبُ الفتيات الصور ثنائية الأبعاد بشكل ممتاز بينما يضاف إليها عند الفتيان خاصية تمييز البعد الثالث أو العمق . وبنتيجة الاختبار عن طريق الفيديو تفوّق الذكور على الإناث بأربعة أمثال، وبدا من غير النادر أن يتفوق أسوا الفتيان على أحسن الفتيات . وكما ذكرنا، تتركز هذه الخاصية عند الرجال في عدة مناطق دماغية، أقلها أربع ، وتتواجد في مقدمة نصف الدماغ الأيمن، وتعتبر ميزة متفردة . بينما ليس لهذه الخاصية عند النساء مراكز محددة وبالتالي فمهاراتهن متواضعة بهذا الصدد . لذلك نجد النساء يتهربّن من الوظائف والأعمال التي تتطلب المهارة هذه ولا يمارسن هوايات لها علاقة بالتصورّ المكاني . بينما الرجال، على العكس، يختارون الوظائف والألعاب الرياضية التي تكون فيها مهارة التصورّ المكاني ضرورية .



المنطقة الدماغية المسؤولة عن التصوّر المكاني-البصري عند الرجال

إن المنطقة الدماغية المسؤولة عن التصوّر المكاني لها علاقة أيضاً بحلّ المشاكل. وبما أن صيد الحيوانات وايجاد الطريق نحو المنزل لم يكن يوماً ما وظيفة من وظائف المرأة بشكل مباشر، لذلك فالتصورّ المكاني لديها وما يليه من قراءة مخططات غير متطوّر بشكل خاص.

لا توجد لدى النساء مقدرات مكانية-بصرية مميزة لأنهن لم يكنّ، منذ سالف العصور، مضطرات للصيد مثل الرجال.

هناك آلاف الدراسات الموثّقة التي تثبت تفوق الرجال بتلك المهارة. وبما أن الانسان اليوم ليس بحاجة للصيد، فهو يوظّف هذه المهارة في مجالات أخرى كلعبة الغولف وكرة القدم والكومبيوتر و... كل الألعاب الرياضية الأخرى التي تشكل المطاردة أو التصويب على هدف إحدى مقوماتها.

فلعبة النيشان تُعتبر ممتعة للرجال ومملّة للنساء؛ ونجد لديهم شغفاً شديداً في تتبّع لاعب يسدّد كرة إلى هدف. ولذلك نجد أن لاعبي الغولف وكرة القدم وكرة السلة وكرة المضرب المميّزين يصبحون من أكثر الناس في العالم كسباً للمال. ولا يحتاج واحدهم لرتبة دكتوراة لكي يكون ماهراً في تقدير السرعات والمسافات والزوايا والاتجاهات، ولكي يكون محترماً.

ان القدرة على التصورّ المكاني تجعل الرجل قادراً على تقليب خريطة ما في ذهنه بالشكل الذي يسمح له بالتعرف على الاتجاهات الأربع. وإن أراد أن يعود إلى المكان نفسه فلن يحتاج، هذه المرة، إلى خريطة لأن كل المعلومات المهمة أصبحت مخزنة في دماغه. وكثيراً ما نرى الرجال يمسكون بالخريطة وهي متجهة للشمال، باحثين عن وجهة تقع في الجنوب، وكذلك نجدهم يلقون نظرة خاطفة على الخريطة ثم يضعونها جانباً ويتابعون طريقهم معتمدين على ذاكرتهم. وقد أفادت الأبحاث بأن الرجل ما يلبث أن يقيس السرعات والمسافات ليعرف متى يجب عليه أن يغيّر اتجاهه. فإذا وضعنا رجلاً في غرفة مغلقة غير معروفة بالنسبة له مسبقاً، وبدون نوافذ، يستطيع أن يتعرّف على جهة الشمال[1].

> تتعرّف غالبية الرجال دائماً، وأينما كانوا على جهة الشمال، حتى في الأماكن المجهولة لديهم.

كذلك نرى، كيف يغادر الرجال أمكنتهم لشراء مشروبات، في أي ستاد رياضي، ثم يجدونها مجدداً دون أية صعوبة. وفي كل مدن العالم يمكن للمرء ملاحظة الفتيات السائحات واقفاتٍ على تقاطع الطرق، يقلّبن الخريطة في كل الاتجاهات، دون أن يعرفن ماذا يجب عليهن ان يفعلن. كما نلاحظهن في المخازن الكبرى متعددة الطوابق وهنّ محمّلات بأكياس المشتريات يبحثن في مواقف السيارات، بوجوه مذعورة ونفوس وجلة، عن سياراتهن.

---

1. قد يكون المقصود هو أن الرجل سيبدأ بالتعرف إلى الجهات في أثناء توجهه إلى الغرفة المذكورة. وفي داخلها سيكون بإمكانه أن يعتمد على ذاكرته في التعرف على موقعه من الجهات الأربع. المترجم.

في أي مكان في العالم، يلاحظ المرء كم تغصّ دور الألعاب بالفتيان المراهقين الذي يمارسون هواياتهم في التصوّر البصري المكاني. وسنشرح فيما يلي بعض الدراسات التي أجريت والتي تبحث غالبيتها في مهارة تركيب الاجزاء الميكانيكية وتحويلها إلى مجسمّات.

أفادت دراسة أجرتها جامعة يال في الولايات المتحدة الأمريكية، بأنه بإمكان 22 % فقط من النساء حلّ مثل تلك الوظائف بجودة الرجال نفسها. وبإمكان 86 % من الرجال برمجة جهاز فيديو أو أي جهاز مشابه اعتماداً على إرشادات التشغيل من المحاولة الاولى، مقابل 16 % بالنسبة للنساء. كما بينّت الدراسة أنه بإمكان الفتيان السيطرة على تلك الوظائف حتى عندما تكون عينهم اليمنى مغطاة واليسرى فقط هي التي تستقبل، وذلك لأن العين اليسرى توصل المعلومات إلى نصف الدماغ اليميني حيث يقع مركز التصورّ الفراغي. أما عند الفتيات فسيّان تغطية هذه العين أو تلك لأن الدماغ الأنثوي يحرض على حلّ المشكلات بتفعيل نصفي الدماغ. وهذا هو السبب في أن القليلات فقط من النساء يصبحن ميكانيكيات أو مهندسات أو قبطان طائرة.

لقد أجرت الدكتورة "كاميلا بينبو" وزميلها الدكتور "جوليان ستانلي Julian Stanley" تجارب خاصة على مجموعة من الأطفال أصحاب المواهب المتميزين فوجدوا بأنه مقابل 13 فتىً موهوباً في الرياضيات هناك فتاة واحدة. ويستطيع الفتيان تحويل مخطط هندسي ثنائي الأبعاد إلى مجسّم (اي مخطط ثلاثي الأبعاد) بسهولة وسرعة أكثر من الفتيات، وبالمهارة نفسها يستطيعون تقدير الزوايا بدقة وتحديد استواء السطوح. هذه المهارات المغرقة في القِدم تعيدنا إلى ماضي الرجل الصياد، وتفسرّ لنا سبب تواجد الرجال غالباً في مجالات العمارة والكيمياء والتصميم الصناعي والإحصاء. ويستطيع الفتيان أيضاً التنسيق بين العين واليد بشكل أفضل، لذلك نجدهم متفوقين في ألعاب الكرة ومغرمين بكرة القدم وكرة السلّة والكريكيت وأنواع الألعاب الأخرى التي تعتمد

على تقدير المسافات والمطاردة والتصويب والرمي باتجاه هدف. كما نجد صالات اللعب ومضامير التزحلق على المزلاجة Skateboard في كل أنحاء العالم مزدحمةً بالفتيان مقارنةً مع الفتيات اللواتي لا يمارسن هذه الألعاب إلاّ للفت أنظار الفتيان. وغالباً ما يلاحظن سريعاً أن الفتيان مشغولين بألعابهم بشكل كامل ولا يُعيرونهن أي اهتمام.

الدماغ عند الفتيان يتطور بشكل مغاير

يعلم الأهالي الذين لديهم خبرة بتربية الصبيان والبنات على حد سواء، بأن سرعة تطوّر أولادهم متباينة بين الذكور والإناث. إن نصف الدماغ الأيمن عند الفتيان ينمو بشكل أسرع من نصف الدماغ الأيسر، كما أن التوصيلات العصبية فيه تتبلور قبل التوصيلات الذاهبة لنصف الدماغ الأيسر وتكون أكثر. أما عند الفتيات فإن نصفي الدماغ ينحوان بشكل متماثل، ولهذا يمتلكن مهارات اكثر عدداً من الفتيان. كما ان التوصيلات العصبية بين نصفي الدماغ لديهن أكثر، أي أن الجسم الثفني لديهن أكثر ثخانة. وهذا يجعلنا نصادف فتيات يمينيات ويساريات بآن واحد أكثر بنسبة كبيرة مما نصادفه لدى الفتيان، لكن لديهن صعوبة في التمييز الفوري بين اليد اليمنى واليسرى.
يعيق هرمون التستوسترون نمو نصف الدماغ الأيسر عند الذكور، بينما يُساعد على نمو النصف الأيمن بشكل أسرع وأفضل، الشيء الذي يجعل مقدرة التصور الفراغي تتطور بشكل أقوى عندهم وهي المقدرة الضرورية للصيد. وقد أثبتت دراسات أجريت على أطفال ومراهقين بين سن الخامسة والثامنة عشرة، أن الصبيان أقدر من البنات بمراحل على إصابة هدف أو تعيينه بوساطة شعاع ضوئي، وعلى إعادة تشكيل رسم زخرفي اعتماداً على الذاكرة وكأنهم يتابعون بالخطوط ما يرونه في مخيلتهم، وكذلك على تركيب الأجزاء المنفصلة إلى مجموعات ثلاثية الأبعاد وحل المعضلات التي تتطلب ذهناً رياضياً. وكل المهارات هذه تكون لدى 80 % من الذكور متوضعة في نصف الدماغ الأيمن.

«ديانا» وقطع أثاثها

عندما أُنزلت قطع الأثاث من الشاحنة، أسرعت "ديانا" متنقلةً بين قطعة وأخرى، تقيس بالمتر لتعرف أين يمكن لها أن تضع الموبيليا المناسبة في المكان المناسب. وعندما بدأت تقيس أبعاد طاولة الطعام، قال لها ابنها "كليف" البالغ من العمر أربعة عشر عاماً: «لاتتعبي نفسك يا أمي، إن المكان الذي اخترته لن يتسع لها». وعندما قاست "ديانا" المكان المقصود في المنزل مجدداً، تأكدت من أن ابنها كان على حق، ولم تفهم كيف عرف ما يناسب المنزل وما لا يناسبه بمجرد النظر إلى قطعة الأثاث. كيف أصبح ذلك ممكناً؟، لقد وظّف ببساطة قدرته على التصوّر للمكان.

كيف يمكن للمرءأن يختبر القدرة على التصوّر الفراغي

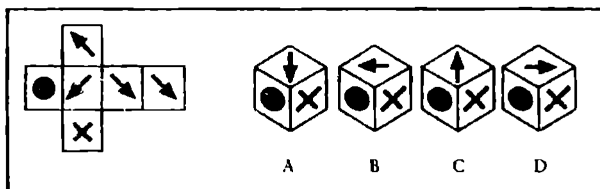
طورّ العالم الاميركي "د. فيكسلر Dr. D. Wechsler" مجموعة من اختبارات معدّل الذكاء «IQ»[1]، تجنّب من خلالها المجالات التي يكون التفوق فيها مرتبطاً بالجنس[2]. وقد أجرى الدراسة على أشخاص مختلفي درجات الثقافة بدءاً من البيئات البدائية وانتهاء بمجتمع المدن ومن كافة أنحاء العالم، ووصل إلى نتيجة وصل إليها بعض الباحثين المستقلين غيره، مفادها أن درجة الذكاء العامّ عند النساء أعلى بنسبة 3% وسطياً على الرغم من كون دماغهن أصغر حجماً بقليل.

ولكن عندما أُجري الاختبار في مجال المتاهات حصّل الرجال، بغضّ النظر عن ثقافاتهم، 92 % من الإجابات الصحيحة، وحصّلت النساء النقاط الثمانية الباقية. وقد تعلو بعض الأصوات النقدية معتبرةً ان النساء أذكى من أن يلُهين أنفسهن بألعاب سخيفة كالمتاهات. ورغم ذلك فإن الاختبارات تلك أظهرت بشكل واضح مدى القدرة على التصوّر الفراغي لديهن.

1. IQ = intelligence quotient . المراجعة.

2. أي أن أسئلته لم تتطرق إلى المجالات الفراغية تحديداً التي يتفوق فيها الذكر. المترجم.

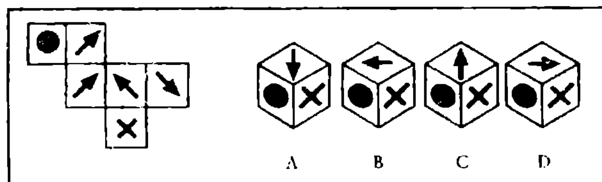
أما الاختبار التالي فقد طُوِّر في جامعة «بلايموث» [في بريطانيا] واستُخدم لفحص قبول القباطنة وضباط الاتصالات ومهندسي المراقبة في مجال الطيران، وهو يقيس مقدرة الشخص المتقدم للفحص على ترجمة الاشكال ثنائية الأبعاد في ذهنه إلى أخرى ثلاثية الأبعاد. تصوّروا معنا الأشكال ضمن الاختبار «رقم واحد» مصنوعة من الورق المقوى، وقوموا بطيّ هذه الاشكال في أماكن الخطوط الفاصلة، فستحصلوا عندها على مكعّب على كل وجه من وجوهه رسمٌ معينٌ. فإذا كان رسم الضرب x موجوداً على وجه المكعب الأيمن، ورسم الدائرة o موجوداً على الوجه الأيسر، فأي المكعبات الأربع الموجودة في الرسم التالي هي نتيجة هذا الطيّ؟



الاختبار رقم «1»　　　خيارات الإجابة على الاختبار رقم «1»

في هذا الاختبار، على الدماغ البشري أن يحولّ الرسم ثنائي الأبعاد إلى تصورّ ثلاثي الأبعاد، وتقليبه ذهنياً للوصول إلى الزاوية الصحيحة. والمهارة المطلوبة لحل هذا الاختبار هي نفسها التي يحتاجها المرء لقراءة الخرائط ومخططات المدن، ولصيد الحيوانات البرية وللهبوط بالطائرة على مدرجها.

ان النتيجة الصحيحة هي الشكل رقم «A». وهناك نسخة اكثر تعقيداً من الاولى، وتتطلب قدرة أكبر على التقليب الذهني الفراغي.



الاختبار رقم «2»　　　خيارات الإجابة على الاختبار رقم «2»

وقد اكتشف علماء الحيوان من خلال دراساتهم، أن ذكر الثدييات أقدر من الانثى على التصوّر المكاني، وان ذكر الجرذ أقدر على الخروج من المتاهات. أما ذكر الفيل فمن الأسهل عليه العودة مجدداً إلى نبع الماء.

وبالمناسبة فإن حلّ الاختبار رقم «2» هو الشكل «C»

كيف تتصوّر النساء المكان

تدّعي كثيرات بأنهّن «لن يضطررن إلى قلب الخريطة رأساً على عقب لو أن الرجل وضعها أمامهن منذ البداية مقلوبةً أصلاً». وقد أفادت مؤسسة الخرائط البريطانية بأن 50 % من أعضائها نساءٌ و50 % ممن يرسمون الخرائط ويعملون عليها هم من النساء أيضاً.

وقال المختص البريطاني في مجال رسم الخرائط «آلان كولينسون Alan Collinson» بأن رسم الخرائط يعتبر وظيفة ثنائية الأبعاد، تتقنها النساء مثل الرجال، ولكن المشكلة تكمن في قراءتها والتعامل معها، إذ يجب عندئذٍ تصورّها بشكل ثلاثي الأبعاد من أجل ايجاد اتجاه الطريق والتوجّه نحوه، وهذا ما يصبح مشكلة لدى غالبية النساء. لذلك صُمّمت خرائط للسيّاح ذات بعد ثالث تُظهر الأشجار والجبال ونقاط علاّم أخرى، ولوحظ أن مصاعب النساء قد قلّت كثيراً في هذا النوع من المخططات. ولقد أثبتت تجاربنا بأن الرجال ماهرون في تحويل الرسوم ثنائية الأبعاد في أذهانهم إلى صور ثلاثية الأبعاد، الشيء الذي لاتقدر عليه إلا القلّة القليلة من النساء.

> عندما تستخدم النساء الخرائط ثلاثية الأبعاد، تتحسّن قدرتها على التعرّف على المكان بشكل دراماتيكي.

وهناك اكتشاف آخر بالغ الإثارة هو أن الرجال من أعضاء المجموعات السياحية يستوعبون بصورة ممتازة ملاحظات الدليل السياحي، الذي يشرح عند مفارق الطرق شفهياً المسارات والاتجاهات. أما عند النساء فإن الطريقة الشفهية تجلب نتائج كارثية.

وقد أظهرت الأبحاث أنه بإمكان الرجل أن يحوِّل، حتى العلامات الصوتية إلى مخطط ثلاثي الأبعاد ويقلّبه في ذهنه ليستوضح من خلاله اتجاه الطريق أو المسار، أما المرأة فتفضل أن تستخدم الخرائط المجسّمة.

كيف يكون الوضع عندما لا تعرفون أين يقع الشمال

لقد كانت الأوسترالية كاي كوتّي «Kay Cottee» أول امرأة تُبحر بمركبها الشراعي حول العالم دون مساعدة خارجية ودون انقطاع. هذا يعني بوضوح أن تلك المرأة كانت عارفة بالاتجاهات - أو قد لا يعني ذلك؟.

لقد أخبرتنا السيدة «كوتّي»، خلال إحدى المنتديات التي عقدناها معها، بأنها تجد صعوبة في قراءة مخططات المدن. فسألناها وقد أصابتنا الدهشة: «كيف استطعت اذاً، بحق السماء، أن تقطعي الكرة الأرضية؟»

فأجابت: «هذا عمل جهاز الاتجاهات. فبعد برمجة الكومبيُوتر يدلك هو إلى الجهة الصحيحة. فأنا عندما أكون في منتصف البحر، لا أفكرّ: هل سأنعطف الآن إلى اليسار؟. إن مخطط المدينة شيء يعتمد على الحدس: على المرء أن يحسّ بالاتجاه الذي عليه أن يتبعه. وعندما كنت أتواجد في مدينه غريبة عني، كنت أستخدم التاكسي في تنقلاتي! لقد حاولت عدة مرآت استئجار سيارة ولكني كنت أضيّع الطريق دوماً».

كثيرون هم الناس الذين لايستطيعون أن يتصوّروا «كوتّي» ضائعة عن الطريق الموصل إلى مرسى قاربها الذي تلفّ به العالم. وهذا يدل بشكل جليّ كيف أن المرء الذي يجد صعوبة في قراءة الخرائط، يستطيع ان يجوب العالم بالعزيمة والتخطيط والتزوّد بالمعدآت وبالمعلومات اللازمة من الأشخاص الخبراء في هذا المجال.

الخريطة الطائرة

ونحن (المؤلفان) نقضي تسعة أشهر من السنة، جائبين العالم محاضرين في مجالنا، نمضي فيها الجزء الأكبر من وقتنا في سيارات مستأجَرة. وغالباً ما يجلس

"آلان" خلف المقود نظراً لقدرته الأفضل على تصورّ المكان، بينما تجلس "باربارا" بجانبه تملي عليه الاتجاه الذي يجب أن يتبعه.

وبما أنها غير قادرة تقريباً على التعرّف إلى المكان، فقد دخل الاثنان في مشادآت ومعارك عدة مرات وخلال السنوات الطويلة حول العالم، وكانت هذه الخلافات تستمر أحياناً من مدينة لأخرى ومن بلد لآخر. وفي الواقع، فقد قذفت "باربارا" على رأس "آلان" خرائط مكتوبة بكل اللغات، وتركت في عدة مناسبات السيارة لتنتقل إلى الباص أو القطار متابعة سفرها وصائحة بوجه "آلان": «إقرأ تلك الاوراق السخيفة وحدك!».

> ليس لدى «باربارا بيز» أي حس للتوجه في الأمكنة الخارجية، ولا يتمكن "آلان" في المنزل من أن يجد جواربه في درج الخزانة.

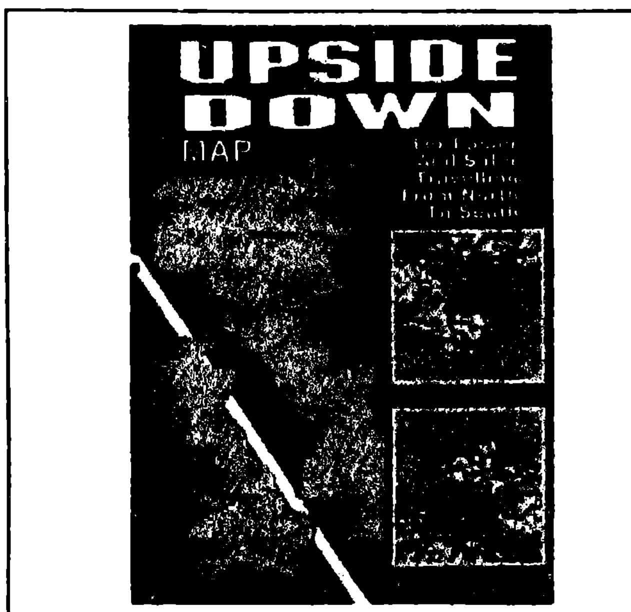
ولحسن الحظ فإن أبحاثها في مجال التصورّ المكاني ومعرفتهما لجوهر المشكلة المتمثلة بكون أحد الشريكين يملك قدرة متواضعة على التصورّ الفراغي وعدم قدرة الآخر على فهم ذلك، حلّت لهما الكثير من المعضلات. فاليوم يطّلع "آلان" على الخريطة قبل أن ينطلقا للسفر، وتأخذ "باربارا" دور المحدّث اثناء السفر فتلفت انتباه "آلان" إلى تفاصيل مثيرة على الطريق، لم يكن ليستطيع ملاحظتها وحده. وما زالا سعيدين بزواجهما. ولم تعد الخرائط الطائرة من النوافذ تشكل خطراً جدياً على المرور.

الخريطة المختلفة قليلاً

لقد صمّم "جون John" و"آشلي سيمس Ashley Sims" من انكلترا عام 1998 خريطة مزدوجة، أي خريطة لكل الرحلات المتجهة إلى الشمال (وهو المنظر الاعتيادي الذي تُريه الخرائط) وأخرى للرحلات المتجهة إلى الجنوب يكون فيها الجنوب متوضعاً في أعلى الصفحة، أو بمعنى آخر: خريطة مقلوبة رأساً على عقب. وقد سوّقا لها عن

طريق جريدة بريطانية تصدر في نهاية الأسبوع، حيث طرحا مئة نسخة هدية لقرّاء تلك الجريدة الذين تسابقوا كتابياً في من يطلب أولاً خريطة مجانية. وكان أن كتب إلى الجريدة في هذا الصدد بضعة قراء ذكور وأكثر من خمس عشرة ألف قارئة. وقد أخبرانا بأن الرجال لم يجدوا اي معنى لخريطة «مقلوبة» رأساً على عقب واعتبروا الأمر مجرّد طرفة. أما النساء فقد تأثرن بالفكرة، أي وضع حدّ لتقليب الخرائط بشكل متكرر.

وقد كانت شركة BMW الألمانية للسيارات أولّ من عدّل المرشد الالكتروني داخل السيارة [navigator]، الذي يظهر مخطط الطريق على شاشة صغيرة ويعلّق عليها بالصوت، بحيث يستطيع المرشد قلب الصورة تماشياً مع جهة السفر. وكما كان متوقعاً، فقد أصبح هذا الانجاز صرعة مفضلة لدى النساء.



فحص الدرجة القصوى

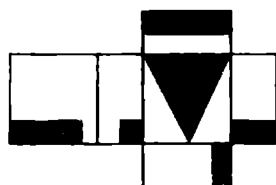
لقد صممّت شركة «Saville» و«Holdsworth» البريطانية اختباراً للقدرة على التصورّ الفراغي يُستخدم لفحص المتقدمين لوظائف معينة كمرشد طيران أو ما شابه ذلك. فإذا ما تجاوزت مدة حل الاختبار ثلاث دقائق، فإن المتقدم يُعتبر غير ناجح. هذا الاختبار أصعب من الاختبارين السابقين. واذا كنتم من الذكور فسترتفع حرارة مقدمة دماغكم اليميني بشكل واضح عند إنجازه.

ستشاهدون على الصفحة 141 شكلاً مسطحاً يمكن طيّه ليصبح علبة مجسّمة. وعليكم أن تعرفوا أي علبة، في كل سطر، هي الصحيحة بعد الطي. واذا وجدتم أنه لاتوجد أية علبة صحيحة سجلّوا ذلك. إن غالبية الأشخاص الذين يتجاوزون هذا الاختبار هم من الرجال وممّن يعملون في وظائف تتطلب مقدرة مميزة على التصورّ المجسّم، كالرياضيات وهندسة العمارة مثلاً. والآن نعرف لماذا يشكل الرجال 98 % من مرشدي الطيران. وتعتبر غالبية النساء هذه التجربة مضيعة للوقت، بالرغم من أننا قابلنا امرأة واحدة أنهت الاختبار خلال تسع ثوانٍ فقط وهي تعمل قبطان لقارب شراعي.

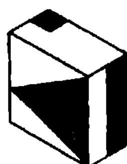
كيف يمكن تجنّب الخلاف

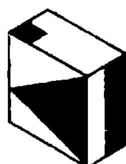
يحب الرجال قيادة السيارة بسرعة في الطريق ذي المنعطفات الكثيرة، لأن ذلك ينشط قدراتهم في تصورّ المكان: تجاوز المنعطفات، تغيير السرعات واستعمال الفرامل، استخدام السرعة النسبية في الانعطاف، الزاوية والمسافات.

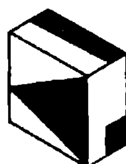
يعطي الرجل العصري، وهو يجلس خلف مقود السيارة، الخريطة لزوجته التي تجلس إلى جانبه لكي تدلّه على طريق السفر. وما إن تمسك المرأة الخريطة بين يديها وتفتحها حتى تصبح هادئة بشكل مثير للشبهات، وتبدأ بتقليبها رأساً وعقباً شاعرة بنفسها أنها على غير طبيعتها. وقليلون هم الرجال الذين يدركون بأنه على المرء الذي

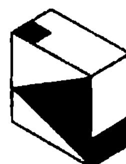


1

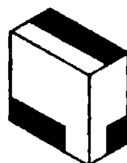

A

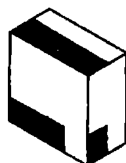

B

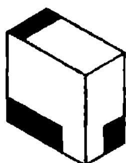

C

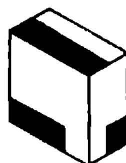

D

2

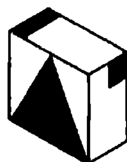

A

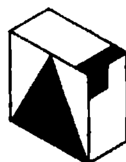

B

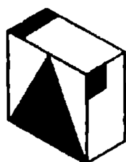

C

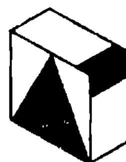

D

3

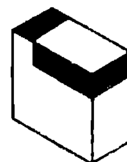

A

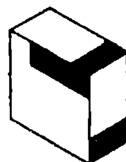

B

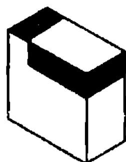

C

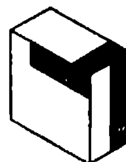

D

4


A


B


C


D

(الأجوبة الصحيحة هي 1B ; 2D ; 3C ; 4 --)

لا يملك مركزاً خاصاً في دماغه يسمح له بتقليب الخريطة في ذهنه، أنه عليه أن يقلّبها بيديه، وهذا ما تفعله المرأة عندما تمسك بالخريطة بشكل يتفق مع وجهة سفرها. فالأمر يبدو منطقياً تماماً... لذلك اذا أراد الرجل أن يتجنب المشاجرات عليه ألاّ يطلب من امرأته أن تقرأ له خريطة.

هل تريدون أن تعيشوا حياة سعيدة؟ اذاً لا تصرّوا أبداً على امرأة أن تقرأ لكم خريطة أو مخطط مدينة.

بما أن القدرة على التصور الفراغي موزعة عند النساء على نصفي الكرة المخية، فهي تتعارض مع وظيفة المهارة الكلامية لديهن. لذلك، فعندما تعطيهن مخططاً لمدينة لقراءته فسيتوقفن عن الكلام قبل أن يقلّبنه ويغيّرن اتجاهه. أما الرجال فسيستمرون بالحديث، في حالة مماثلة، إنما سيطفئون المذياع لأن وظيفة السمع لديهم تتعارض مع القدرة على القراءة.

وعند النساء تُحلّ المسائل الرياضية في نصف الدماغ الأيسر بشكل رئيس لذلك فهنّ لسن أبطأ بالحساب فحسب وإنما أيضاً «يبربرن» أثناء انشغالهن الكامل بالقيام بإنجاز مشكلة رياضية. وفي كل أنحاء العالم يمكن للمرء أن يسمع الرجال الذين يقرؤون جريدة كيف يصيحون بنسائهم: «ألا تستطيعين من فضلك أن تحسبي بصوت أخفض؟ لم أعد أتمكن من التركيز...».

كيف يمكن حلّ الشجار أثناء السفر على النحو الأفضل

إن الرجل الذي يريد أن يعلّم امرأته قيادة السيارة، يجد نفسه على أفضل طريق يقود إلى قاضي الطلاق. وفي كل أنحاء العالم نسمع التعليمات نفسها التي يعطيها رجل لامرأة: «انعطفي إلى اليسار - أبطأ! - بدلّي السرعة - هل تشاهدين ممر المشاة هناك؟ - ركزي! - توقفي عن البكاء!». فالرجل عندما يقود السيارة يضع كل مهاراته

في التصورّ المكاني، ضمن الظرف الذي هو به، تحت الاختبار. اما المرأة فعندما تقود يكون هدفها هو الوصول بأمان من النقطة «آ» إلى النقطة «ب». إن أفضل ما يمكن للرجل أن يفعله عندما يجلس في السيارة بجانب امرأة تقودها هو أن يغمض عينيه ويرفع صوت الراديو ويحتفظ بتعليقاته لنفسه، لأن نسبة الأمان في قيادة النساء أعلى بشكل عام من نسبة الأمان عندما يقود الرجل، وستصل به إلى غايته حتى لو استغرق معها الطريق وقتاً إضافياً ولكن على الأقل سيجلس مرتاحاً مسترخياً لأنه سيصل آمناً مؤمّناً.

أما المرأة فتنتقد طريقة قيادة الرجل لأنها تجد خطورة في قراراته وتقديراته التي تمليها عليه مقدرته على التصورّ المكاني. وبغض النظر عن وجود سائقين سيئين من الذكور، يمكن للمرأة أن تسترخي وتتركه يقود بحريته عوضاً عن انتقاده.

وإليكم مثالاً آخر عن استعمال الرجل لمقدرته على التصورّ الفراغي: عندما يبدأ المطر بالهطول على زجاج السيارة الأمامي، تشغّل المرأة المسّاحات مباشرة، الشيء الذي لا يفهمه الرجل، اذ أنّه ينتظر الوقت المناسب حتى تتساقط كمية كافية من الماء على الزجاج، تتناسب مع استطاعة المسّاحات على إزالتها، وعندئذ يشغلّها.

كيف يمكن كسب موافقة المرأة على القيام بشيء ما

يجب على المرء ألاّ يعطيها تعليمات الاتجاه لأنها فاقدة للبوصلة الداخلية. عليه ألاّ يقول لها «قودي باتجاه الجنوب» أو «أوقفي السيارة على بعد خمسة كيلومترات غرباً»، بل عليه ان يستخدم نقاط علاّم معروفة دلالة على الاتجاه مثل: «قودي باتجاه الماكدونالدز وابقي باتجاه صندوق توفير البريد». فبفضل خاصية النظر الجانبي لديها تستطيع أن تعرف تلك المعالم بسهولة.

وتحصد شركات البناء والمعماريون ملايين الأرباح، في كل أنحاء العالم، عندما يعرضون مخططاتهم وتصاميمهم على النساء بشكل ثلاثي الأبعاد. فبينما يستطيع دماغ الرجل ان يحولّ المخطط ثنائي الأبعاد إلى مجسم ليتمكن من تصورّ البناء جاهزاً، لا

يشكل هذا المخطط بالنسبة للمرأة إلا قطعة ورق رُسمت عليها خطوط عجيبة الشكل. لذلك لا يمكن أن تجرّ المرأة إلى الشراء إلا عن طريق موديلات مجسّمة أو تصاوير كومبيوترية لما تريد أن تعرضه عليها. وعلى النساء أن يتوقفن عن الشعور بعقدة النقص عندما يقرأن مخططات الشوارع، وعليهن أن يمررنها للرجال لأن قراءة الخرائط هي مهمتهم بكل بساطة. ومن الأكثر إراحة للرجل أثناء السفر، أن يبحث بنفسه عن الطريق ويترك لامرأته مهمّة التحدث إليه عن الأشياء المثيرة للاهتمام التي تشاهدها حولهم. وكما تعرفون فإن المرأة تتفوق بالمهارات الكلامية والرجل يتفوق بتعرّفه على المكان ويبدو هذا التوازن من باب العدل. وهذا يعني بأن الرجل يستطيع أن يجد بكل سهولة عنوان منزل صديقته الجديدة، ثم يقف أمام باب شقتها غير عارف ماذا سيقول لها!.

صف السيارة الملعون

بإمكانكم معرفة جنس سائق السيارة المصفوفة على جانب الرصيف، هل هو ذكرٌ أم أنثى من طريقة صفّ السيارة. فقد قامت إحدى مدارس القيادة الانكليزية التي تتبنّى منهجاً دفاعياً في القيادة بإجراء أبحاث على السائقين، وأفادت نتائجها بأن الرجال في بريطانيا الذين يصفّون سياراتهم ملاصقةً لحافة الرصيف يشكلون 82 %، من أصلهم 71 % ينجزون الصف من المحاولة الأولى وفي فراغ محدّد. بينما تشكل النساء بنفس الشروط نسبه 22 % فيما يتعلق بدقة الصف، من بينهن 23 % فقط ممن ينجزن هذه المهمة من المرة الاولى. وقد أُجريت أبحاث مشابهة في سنغافورة فكانت النسب كالتالي: 66 % للرجال مقابل 19 % للنساء بالنسبة لدقة الصف، و68 % للرجال مقابل 12 % للنساء بالنسبة للصفّ من المحاولة الأولى. إذاً أبعدوا عن الطريق إذا كانت السائقة من سينغافورة! أما أفضل السائقين الذكور في صف السيارة من المحاولة الأولى فهم السائقون الألمان إذ تبلغ النسبة عندهم 88 %.

وأما الدراسات المأخوذة عن مدارس القيادة، في مجال صفّ السيارة، فقد أفادت بأن النساء يتفوقن على زملائهن من الرجال في الصف العكسي أثناء وجودهن في المدرسة بينما يقمن بذلك في الحياة العملية بشكل أسوأ، والسبب هو أن النساء أقدر على تعلّم تنفيذ وظيفة ما وإعادة التنفيذ بنجاح بشرط أن يبقى المحيط وتبقى الشروط كما هي، وهذا خلاف ما يحدث في حالة المرور العادية في الشوارع إذ يتطلّب ذلك تقييماً جديداً لكل حالة على حدة؛ وهنا نرى الرجل ينجح أكثر بسبب تسلّحه بخاصية التصورّ المكاني المتميّز.

وتفضل غالبية النساء أن تصفّ السيارة في فراغ أكبر، ولو اضطُرّت للمشي، من أن تصفّها بشكل عكسي وتحشرها في فراغ ضيّق.

> اذا ما سيطرت النساء على إدارة البلديات، فإنهن سيزدن المساحات المخصصة لصف السيارات وسيمنعن بالتأكيد الصف العكسي.

وفي السنوات الأخيرة الماضية هيأت بلديات كثيرة أمكنة لصف السيارات تشكّل مع حافة الرصيف زاوية 45 لإجراء الصف العكسي، لأنه أثبت بأن الانطلاق مجدداً سيكون أكثر أماناً إذا ماتم مطابقاً لاتجاه مقدمة السيارة. ولكن للأسف لم يتم حلّ مشكلة الصف العكسي بالنسبة للنساء لأن هذا النوع من الصف العكسي، أي مشكلاً زاوية مع حافة الرصيف، يتطلبّ تصورّاً مكانياً جيداً لتقدير الزوايا والمسافات. وتَبين لنا، بعد مراسلتنا لعشرين عضواً من أعضاء مجالس البلديات التي أخذت هذه المبادرة، أن غالبية العضوات كنّ ضد هذه الفكرة وأن المبادرين كانوا رجالاً. واذا ما كان مجلس البلدية يضمّ نساءً فقط فإنه من المنتظر أن يمنع الصف العكسي نهائياً، كما والصف بمحاذاة الرصيف، ومن المتوقع أن تُجعل أمكنه الصف بشكل لا يحتاج فيه السائق لا إلى الصف العكسي ولا إلى تقدير الزاوية والمسافة الفاصلة، إنما يدخل بشكل ما إلى فسحة الصف وكأنه يتابع قيادته ببساطة. وسيتنافى هذا -في الواقع- مع التوفير في المكان، لكنه

سيجنّب الكثير من حوادث السير!

كيف يمكن جرّ المرأة إلى الطريق الخطأ

ما هو الآن انعكاس قصة التصورّ المكاني على قضية المرأة بشكل فعلي؟ لقد اعتقدت كثيرات من الجماعات النسائية ذوات النية الطيبة بأن المرأة ستكافح وتحتل المراكز الوظيفية وتمارس الهوايات التي يحتكرها الرجال بشكل أساسي، عندما تتخلص من قيود الاستعباد الذكوري وتتحررّ من الأحكام المسبقة الصادرة بحقّها. ولكن كما تلاحظون، فإن الرجال ما زالوا محتكرين الوظائف والأعمال التي تتطلّب مقدّرات مكانية بصرية مميزة. والنتيجة أن ملايين النساء أنكرن ميولهن الطبيعية إلى ممارسة وظائف وفعاليات معينة، كان بإمكانهن أن يصلن فيها إلى مراكز هامة دون بذل جهد غير عادي، ومع الأخذ بعين الاعتبار الخصائص والمهارات المحددة بالدماغ الانثوي.

التصورّ الفراغي في مجال التربية والتعليم

كما رأينا سابقاً، فإن البيولوجيا الانسانية تقودنا إلى ممارسة الفعاليات والهوايات التي تتماشى مع بناء دماغنا. ولنأخذ الآن مجالاً وظيفياً لعبت فيه قضية تساوي الفرص بين الجنسين دوراً هاماً، ألا وهو مجال التربية والتعليم. وفي هذا الصدد أجرينا مقابلات عدة مع مسؤولين عن هذا القطاع في اوستراليا ونيوزلندا وبريطانيا، وأكدوا جميعهم على أنهم بذلوا كل جهودهم لإبقاء نسبة توظيف المعلمين والمعلّمات متماثلة تقريباً وذلك تطبيقاً لمبدأ تكافؤ الفرص. ففي بريطانيا كانت نسبة الرجال 48 % ونسبة النساء 52 % من مجموع المدرّسين والدماغ الانثوي أفضل تهيئةً للتدريس من الدماغ الذكري بسبب مهارة النساء المتفوقة في التواصل وتوطيد العلاقات. ولننظر معاً إلى المواد التدريسية ولنر أية المواد مفضلةٌ عند المعلمات وأيتها مفضلّة عند المعلّمين:

المادة	عدد المعلمين	الرجال%	النساء%
بيولوجيا	5,100	49	51
اقتصاد	6,400	50	50
تاريخ	13,800	54	46
جغرافيا	14,200	56	44
علم الاجتماع	11,000	52	48
موسيقى	5,600	51	49
التربية الحرفية	1,900	47	53
التربية الاجتماعية	57,200	47	53
التربيه العامة	7,900	53	47
اللغات القديمة (إغريقية ولاتينية)	510	47	53
الرياضة	20,100	58	42
الديانة	13,400	56	44
التربيه الفنية	9,400	44	56

المعلّمون والمعلّمات في بريطانيا عام 1998

نستخلص من هذا الجدول واقعتين مثيرتين للاهتمام: الأولى أن المواد المذكورة أعلاه لا تتطلب تفوقاً معيناً لنصف دماغ على الآخر لكي يتمكّن المرء من تدريسها. والثانية (مشتقة من الاولى) وهي أن المرء لا يحتاج، لتدريس تلك المواد، مقدرة خاصة على تصورّ المكان (رجحان دماغي أيمن عند الرجال) ولا إلى مهارات كلامية خاصة (رجحان دماغي أيسر عند المرأة).

المادة	عددالمعلمين	الرجال%	النساء%
فيزياء	4,400	82	18
معلوماتية	10,700	69	31
علوم طبيعية	28,900	65	35
كيمياء	4,600	62	38

مواد تتطلّب حسّاً عالياً للتصور المكاني

يُظهر هذا الجدول بوضوح تفوق الرجال في مجال تدريس المواد التي لا بدّ لتدريسها من امتلاك المرء لخاصة التصوّر المكاني.

الاختصاصات التي تتطلّب تصوّراً مكانياً

فيما يلي نورد لائحة بالوظائف التي تتطلّب قدرة عالية في التصوّر المكاني أو يعرّض فقدانها الناس إلى الخسارة أو الخطر. وستدركون أهمية هذا الموضوع وستحيطون بالعلاقة القائمة بين تلك الوظائف ومهارة الرجل الصياد الموجودة عنده في نصف الدماغ الأيمن دون أن تحتاجوا لأن تكونوا علماء مختصين.

ويوجد أيضاً اشخاص، ممن يصرّون على اعتقادهم بأنه لا يوجد للقدرات الطبيعية أي دور، ويزعمون بأن الاضطهاد الذكوري للمرأة ودعم النقابات ذات الاتجاه الذكوري هي التي منعت المرأة من الوصول إلى درجة المساواة مع الرجل في ممارسة أعمال وظيفية معينة كالمذكورة لاحقاً. ويذكر المعهد الملكي البريطاني للمهندسين المعماريين بأن 50 % من طلبته هم من الاناث اللواتي اخترن مهنة العمارة عن رغبة، بينما تشكل نسبة المهندسات الممارسات للمهنة 9 % فقط. ولا شك أن بعضهن اخترن أن يبقين في المنزل بعد التخرج، أو اضطررن إلى ذلك، ولكن ماذا عن البقية الباقية؟. وبالمقارنة مع الدراسات التي أجريت في مجال المحاسبة والضرائب فقد كانت نسبة المتخرجات 38 % ونسبة الممارسات 17 %.

المهنة	العدد	الرجال	النساء	الرجال%	المصدر
مهندس طيران	51	51	-	100	شركة «أنسيت» للطيران
مهندس [؟]	1608	1608	-	100	معهد المهندسين
سباق السيارات	2822	2818	4	99,8	نادي سباق السيارات
تقني ذرة	1185	1167	18	98,3	معهد الهندسة الذرية
قبطان طائرة	2338	2329	9	99,6	شركة «كوانتاس»
قبطان طائرة	808	807	1	99,9	شركة «أنسيت» للطيران
قبطان طائرة	3519	3452	67	98	الخطوط الجوية البريطانية
اتصالات الطيران	1360	1247	86	94	ادارة الطيران المدني
سباق الدراغستر	250	234	16	93,6	سباق «الدراغستر»
مهندس عمارة	30,529	27,781	2748	91	معهد العمارة
ضباط طيران	19,244	17,415	1829	90,5	الاحصاء الرسمي
خبير التأمين	5,081	4578	503	90	معهد شؤون التأمين
لاعب البيلياردو والسنوكر(1)	750	655	95	87	جمعية البلياردو
محاسب	113,221	93,997	19224	83	معهد للمحاسبة

النسبة المئوية لكل من الرجال والنساء في الوظائف التي تتطلّب حساً جيداً للتصوّر المكاني.

(جُمعت هذه المعلومات من بلدان أستراليا ونيوزلندا وبريطانيا)

لقد توجّهنا بهذا السؤال إلى عدد من شركات الطيران «لماذا لا يوجد عندكم قباطنة نساء؟»، وكان الجواب: «هن لا يتقدّمن إلى الوظيفة. النساء ليس لديهن اهتمام بقيادة الطائرات». إن أغلبية الموظفين في تلك الشركات لا يعون إلا قليلاً أهمية خاصية التصورّ الفراغي في ممارسة الطيران. وبالرغم من أن 98 % من طاقم القيادة مكونّ من الرجال

1. لعبة السنوكر هي لعبة شبيهة بالبلياردو. "المترجم"

في الواقع، فإن المسؤولين في تلك الشركات ترددّوا كثيراً في إعطاء تعليقاتهم حول هذه الحقيقة التي تظهر وجود اختلاف بين الجنسين. وهنا يوجد شيء واضح: لا تحاول النساء عامة خوض الدراسة اللازمة للوظائف المذكورة أدناه. السبب هو أن الدماغ الانثوي لا يتوافق مع تلك الوظائف، وبالتالي لا تهتم النساء بممارستها.

من ضمن قيامنا بأبحاثنا، تحدثنا إلى عدة لاعبين محترفين في مجال البلياردو والسنوكر... وقد أخبرنا بطل عالم سابق في البلياردو قائلاً: «النساء المحترفات عندنا يتكلّمن مثلنا نحن الرجال ويلبسن طقماً وفراشة». وتظن اللاعبات بأنهن ستصبحن بمهارة الرجال عندما يتدربّن مثلهم. والكثيرات منهن يظنّن بأن للرجال دوراً جدّياً في لجمهنّ.

وقد سألنا: «ماذا عن القدرة على التصورّ الفراغي؟ وحساب الضربة بين السرعة والزوايا ومسافة الكرات فيما بينها، وعن بعد الكرات البيضاء عن الثقوب وتوضّعها النهائي؟ وكان جواب النساء سلبياً، حيث حمّلن الرجال مسؤولية عدم وجود مشتركات في اللعب من الإناث وعدم وصولهن لدرجات البطولة.

وفي معهد الطاقة الذرية أبلِغنا بأن تكافؤ الفرص بين الجنسين متوافر لديهم. إنما من المؤكد أن المعايير التي يعتمدون عليها بالنسبة للتشغيل تتحدد طبقاً للفرد بغض النظر عن الجنس. ومن المثير للاهتمام أن 98,3 % من تقنيي الطاقة الذرية هم من الرجال. وأفادت الدراسات ضمن المعهد بأن المهندسات يتعاملن بمهارة أكبر مع الحروف من زملائهن الرجال، الذين يتفوقون في تعاملهم مع الأرقام. وهذا منطقي تماماً لأن الأحرف تتعلق بالاشخاص والعلاقات والمهارات الكلامية بينما تتعلق الأرقام بتناسب الحجوم فيما بينها.

وإذا ما عدنا إلى الوراء فلن نجد عملياً نساءً برزن في التأليف الموسيقي او في لعبة الشطرنج أو في أبحاث الصواريخ مثلاً، والتي تتطلب ذهناً رياضياً مميزاً وتصوراً فراغياً نامياً. وهنا قد نسمع بعض القرآء يعترضون قائلين بأن تسلّط الذكور على الإناث،

الذي أفرزه التمييز الجنسي على مدى العصور، هو الذي أبعد النساء عن مثل هذه الفعاليات. ولكن بإمكانكم الآن أن تتأكدوا بأن النساء المتفوقات على الرجال في المجالات التي تتطلب تصوّراً مكانياً جيداً، هنّ نادرات حتى اليوم، والسبب هو أن دماغ الأنثى يقول لها ببساطة: «إن الدفاع عن العش الشخصي أهم بكثير من مهاجمة الأعشاش الأخرى».

تتفوّق النساء في المجالات الابداعية كالفنون الجميلة والتدريس والرعاية الاجتماعية والآداب، وكلّها مجالات لا تتطلّب أفضلية للتفكير المجرّد. وبينما يلعب الرجال الشطرنج تلتفت النساء إلى الرقص وتجميل بيوتهن.

صناعة الحاسوب

إن علم الكومبيوتر يرتكز أساساً على علم الرياضيات الذي يرتكز بدوره على مقدرة مميزة في التصوّر الفراغي، فيحتكره بالتالي الرجال. ولكن بعض المجالات في علم الكومبيوتر كالبرمجة وتصميم الصفحات، على سبيل المثال، تعتمد على الحسّ النفسي العالي أكثر من اعتمادها على المهارة الرياضية: هنا بالتحديد نجد غالبية الموظفات من النساء.

وتشير دراسة أجرتها مجلة «نساء الأعمال الأمريكيات في مجال العولمة» بأن عدد الإناث اللواتي يرغبن بالعمل في مجال تقنيه المعلوماتية أبدى تراجعاً مستمراً في الفترة الواقعة ما بين عامي 1993 و 1998، وقد عللت السبب بأن اهتمام النساء بمتابعة الدراسة اللازمة لذلك يقلّ بشكل متواصل. والدراسة نفسها أفادت بأن عدد الإناث اللواتي يستخدمن الكومبيوتر في وظائفهن يبلغ ضعفَي عدد الذكور. وفي إحصائية عن أهمية الكومبيوتر بالنسبة للذكور والإناث حصلنا على النتائج التالية: 84 % من النساء يعتبرن الحاسب أداة تطلق لهنّ حريّة الإبداع مقابل 33 % للذكور يعتبرونه كذلك. ويرى 67 % من الذكور أن أهم ما في الحاسب هو التقنيات واللعب عن طريق البرامج وتوابعه مقابل 16 % للإناث اللواتي يشاركنهم هذا الرأي.

إن الرجال الذين اختاروا مهناً تعتمد على المهارات المكانية والبصرية، يحافظون عليها عادةً لكي يصبحوا من خلالها في المقدمة. وبالرغم من ازدياد عدد المعلّمات في مجال تدريس الرياضيات، يبقى عدد الرجال أكبر في هذا المجال. ففي عام 1998 شكّل عدد المدرسّين في المملكة المتحدة نسبة 56 % مقابل 44 % للمدرّسات. أما كيف لنا أن نعلل هنا ازدياد نسبة المعلمات؟ فالجواب الأقرب إلى الحقيقة هو أن النساء أقدر على ممارسة مهنة التعليم والعمل ضمن مجموعات وتنظيمها من جهة، وهن مجدّات اكثر من الرجال في تعلّم القواعد الأساسية لمادّة ما من جهة أخرى. فهن يكرّرن المادة التي يدرّسنها المرة تلو المرة، فيتمكّن منها ويستطعن نقلها إلى التلاميذ بشكل جيّد، بما فيها الرياضيات. وهذا يفسّر أيضاً تواجد المرأة في مجالات المحاسبة بشكل متزايد، اذ أصبحت المحاسَبة -في كثير من الاحيان- متعلّقةً بأسلوب بيع الزبائن، الشيء الذي يشذّ عن المهام القديمة للمحاسبة والذي يشجّع على تواجد النساء فيها إذ يمتلكن دماغاً أكثر ملاءمة لهذا المجال. وقد أصبح من المألوف اليوم أن نجد في المؤسسات المحاسبية الكبرى محاسبات يقمن باستقبال الزبائن الجدد والاهتمام بهم أيضاً فيما بعد، بينما يُعطى الجزء الحسابي الصرف إلى زميل ذكر في غرفة جانبية لم يزل بعد في بداية حياته الوظيفية. ونستنتج في النهاية أن الرجال يتواجدون بشكل كثيف في الأماكن التي تتطلب ذهناً رياضياً وتصوراً مكانياً خالصاً، ولذلك نلاحظ وجود نسبة عالية من الذكور في مجالات الهندسة (99 %) وشؤون التأمين (91 %) بحسب الإحصاء السابق.

المساواة التي تمتدح دائماً

في اوستراليا تبلغ نسبة النساء 5 % من مجموع عدد المهندسين ولكنهن يكسبْن مالاً أكثر من زملائهن الذكور بمتوسط 14 %. وهذا دليل على أنه عندما تتساوى القدرة على التصورّ الفراغي بين الرجل والمرأة، فإن المرأة تلقى نجاحاً أكبر. ففي سباق

السيارات، ومنذ اختراعه، لم تظهر بطلة تذكر، بينما في سباق الدراغستر نلاحظ أن 10 % من المشاركين سائقات ورابحات إناث، لماذا؟ لأنه في السباق المذكور لا تبلغ مهارة التصورّ الفراغي الحد المطلوب للتفوق بسباق السيارات العادي، حيث هناك حاجة لتحديد السرعات والزوايا والمنعطفات وطرق تجاوز المتسابقين الخصوم وتقدير نسب العبور. ففي سباق الدراغستر ينطلق السائقون جميعاً في اتجاه واحد، ويفوز من يملك ردة الفعل الأسرع عندما تُضيء الشارة الخضراء. هنا تنال النساء نقاطاً إضافية مقارنة مع الذكور.

> عندما تكون القدرة على التصورّ الفراغي عند المرأة كمثيلتها عند الرجل، تتفوق المرأة غالباً على زملائها من الرجال.

وبالرغم من ان غالبية سائقات الدراغستر واللواتي فحصنا لديهن خصائصهن الدماغية أظهرنَ ميزات دماغية ذكرية، إلاّ أن تفوقهن الأساسي كان في مجال العلاقات الإنسانية. فبينما كان حافز الرجال متجهاً أكثر للفوز بالكؤوس وقيادة مركبات ذات تقنيات مثيرة ولحبّ الظهور بها وإلى الكلام عن حوادث السير التي استطاعوا تلافيها والنجاة بحياتهم منها، نجد السائقات يعبّرن عن حافزهن بجمل مختلفة «إن العمل مع هؤلاء الشباب شيء رائع» أو «نحن نعمل بروح واحدة» أو «كلنا أصدقاء حميميون».

الصبيان ولعبهم

إن اختراع اللعب التي يحبّها الصبيان مسجلة في 99 % من الحالات، باسم الرجال. وعند البنات أيضاً لعبٌ يحببنها، لكنّهن يفقدن الاهتمام بها عادة عندما يبلغن سن الثانية عشرة وينضجن ببطء ليصبحن سيدات صغيرات. أما الذكور فيحتفظون بهواهم باللُّعب المعقدة، والتي تتطلب قدرةَ على التصورّ المكاني، طيلة حياتهم. ويبدؤون في سنوات متأخرة من عمرهم وبشكل متزايد في رفع مصروفهم على هذه الهواية. ويحب الرجال

أجهزة التلفزيون الصغيرة وأجهزة الجيب وأجهزة الموبايل على شكل سيارة، وأجهزة الكومبيوتر، وبرامج الألعاب، والكاميرات الرقمية، والأجهزة الالكترونية المعقدّة، والمصابيح الكهربائية (اللمبات) التي تشعل وتطفىء متأثرة بالاهتزازات الصوتية وأي شيء له محرك. ويرغب الرجال باقتناء كل شيء يصفرّ أو يضيء أو يحتاج إلى بطاريات (ستة من الحجم الكبير على الأقل).

معيار الأشياء

إن كل مناقشة، نقوم بها في كتابنا هذا، حول الاختلافات بين الجنسين، تُقابَل باعتراضات جدية من قبل المناصرات لحركة المرأة ومن قبل الحركات السياسية التي تدّعي «الطريق القويم»، معتبرين مناقشاتنا تهجماً على حججهم الرامية إلى إرساء حياة عادلة بين الجنسين. وصحيحٌ أن الأحكام الاجتماعية المسبقة تلعب دوراً في ايجاد نماذج معينة جاهزة للسلوكين الذكري والأنثوي وفي تعميق الاختلافات الجذرية بين الرجل والمرأة بشكل سلبي، لكنها لا تشكل سبباً للسلوك المذكور لأن بناء الدماغ البشري والبيولوجيا البشرية هما المسببان. ومن الخطأ ان تشعر النساء بالإحباط لكونهن لم يستطعن اقتحام بعض المجالات التي يسيطر عليها الرجال، ذلك لأن الطبيعة خصّت الدماغ الذكري استعداداً حيوياً للتفوق الواضح فيها وليس لكون الإناث قد أخفقن او فشلن.

> لم تفشل النساء عموماً، إنما أخفقن بالتساوي مع الرجال.

إن الفكرة القائلة بأن المرأة تفشل بالنجاح مثل الرجال لا تكون صحيحة إلا اذا انطلقنا من أن «النجاح» او «عدم النجاح» يقُاس، أو يجب أن يقاس انطلاقاً من المقدّرات الذكرية. ومن يستطيع القول هنا إن أعلى مراحل تحقيق الذات في هذه الحياة تكمن في أن يصبح الانسان مديراً لشركة أو قبطاناً لطائرة أو مبرمجاً لكومبيوتر مركبة فضائية؟

الرجال يقولون ذلك ويقيسون كل شيء بمقاييسهم التي لا يمكن ان تكون سائدة بشكل مطلق.

هل يمكن تحسين مهارة التصوّر الفراغي عند النساء؟

نعم، إن هذا ممكن وبطرق مختلفة. هناك طريقة تقول بأننا يجب أن ننتظر لتتم هذه العملية عن طريق التطور الطبيعي للبشرية ويمكن لهذا أن يستمر آلاف السنين، تتدرب خلالها الإناث على أعمال تحتاج تلك المهارات وذلك بشكل مستمر ومتواصل، قبل أن يحصل تطور بيولوجي وتتطوّر في الدماغ الأنثوي التوصيلات الكافية لإرساء هذه الخاصيّة. طريقة أخرى تقول باستخدام هرمون التستوسترون الذي يعزّز هذه المهارة، ولكن هذه الطريقة ليست حكيمة لأن التستوسترون يُحدث تأثيرات جانبية كالصلع والعدوانية وظهور الأشعار في الوجه، وهذا لن يشكل لغالبية النساء بديلاً مقبولاً.

ومن المثبت الآن أن التمرين والمثابرة على إحدى الأعمال يؤدي إلى نشوء توصيلات دماغية خاصة بتنفيذ وظيفة معينة. وعلى سبيل المثال يكون النسيج الدماغي للجرذان الذين ينشؤون في أقفاص تحتوي على الألعاب، أكبر منه عند الجرذان الناشئين في أقفاص لا تحتوي عليها. كما أن أدمغة المتقاعدين والمستكينين للشيخوخة تضمر، بينما يحافظ الناشطون على أدمغتهم سليمة حتى إنهم يتمكّنون من توسيعها.

وأنتم كذلك، عندما تتعلمون وتتمرنون على قراءة مخططات الشوارع، تستطيعون عملياً تحسين مهارتكم فيها بشكل ملحوظ، مثلما يؤتي التمرين اليومي على آلة البيانو أُكُله. فالوصول إلى مستوى معين في العزف والمحافظة عليه يستوجب جهداً متواصلاً ومثابرة، بغض النظر عن الحالات التي يولد فيها الإنسان موهوباً في العزف، ممتلكاً للسهولة الدماغية اللازمة. وبكلمات أخرى: إذا توقف عازف البيانو أو قارئ الخريطة عن التمرين فستتراجع مهارتهما المكتسبة وسيحتاجان لوقت أطول لكي يعودا إلى مستوى معين، مقارنةً بالإنسان الذي هُيِّءَ دماغه لمثل هذه الفعاليات.

> إذا كان الثمن الذي ستدفعه المرأة في سبيل أن يصبح تصورّها الفراغي أفضل هو أن تصلع أو ينبت لها لحية، فسيكون هذا الثمن غالياً جداً.

عندما تكونين أماً لذكر او شريكةً لرجل، عليك الا تنسي أن الذكور يمتلكون قدرة ممتازة على التصوّر الفراغي، ولكن عليك ألاّ تتركيهم ينفذوا الأعمال دفعةً واحدة. إن غالبيتهم بحاجة إلى المساعدة في وظائفهم البيتية وتنظيم يومهم وتسيير حياتهم ليكونوا حقيقة فعّالين. بهذه المقدرة التنظيمية تتفوق الفتيات والنساء. كان "ألبرت أينشتاين" عبقرياً فيما يخص التصوّر الفراغي، ولكنّه لم يبدأ بالكلام إلا في سن الخامسة كما لم يُذكر أنه كان يمتلك مواهب تنظيمية أو اجتماعية، وهذا يبدو واضحاً من هيئته الخارجية وطريقة تسريحة شعره.

واذا كنتَ موظفاً في مجال يتطلب المقدرة على الرؤية الفراغية -كمهنة البناء او العمارة- عليكَ ألا تنسى أن غالبية النساء لا تقنعهنّ إلا المخططات ثلاثية الأبعاد.

> اذا أردتم إقناع امرأة بمصورّ او مخطط فاعرضوا عليها شكلاً ثلاثي الأبعاد.

وعندما ينوي رب عمل أن يوظف نساءً في أعمال تتطلّب مقدرة جيدة على التصوّر المكاني، كالهندسة أو كخبرات التأمين، عليه أن يعلم أن نسبة النساء اللواتي قد يهتممن بمثل تلك الوظائف تقع بحدود الـ 10 %، وبالتالي عليه أن يتوجه إلى تلك المجموعة فقط. ولكن اذا أراد أن يلحق بسياسة السوق ويستهدف كافة النساء على أساس أنهن يشكّلن في النهاية نصف المجتمع، فإن سياسته هذه لن تكون إلا هدراً للوقت والمال.

الخلاصة

لقد تخلّص "راي" و "روث" الآن من خلافاتهما التي كانت تحصل معهما أثناء السفر بالسيارة. فهو يقرر مخطط السفر ويحدّده مسبقاً ويصل إلى هدفه دون مساعدة، وهي تتحدث إليه اثناء السفر وتلفت نظره إلى الأشياء المثيرة للاهتمام الموجودة على الطريق، حيث يستمع اليها دون أن يقاطعها. والآن توقفت هي عن انتقاد قيادته للسيارة

لأنها باتت تعلم أن لديه استعداداً للمغامرة أكثر منها آخذاً، رغم ذلك، مسألة الأمان بعين الاعتبار ومستنداً على مهاراته البصرية والمكانية المتميزة.

وتفهم "روث" الآن لماذا اشترى "راي" آلة تصوير فوتوغرافية عالية التقنية بمبلغ ثلاثة آلاف دولار اوسترالي، ولماذا هو متعلّق بهذه الآلة إلى هذا الحد. وعندما تريد هي استعمالها يساعدها "راي" دون أن يتهكّم على عدم إتقانها استعمال تلك الآلة، التي يعدّها لها حتى تتمكن من التقاط صورة فوتوغرافية ناجحة.

"راي" و "روث": قصة حب معاصرة

عندما يتوقّف الرجال عن الطلب إلى النساء بأن يشرحن لهم أي الطرق سيسلكون سيسود الوئام؛ وعندما تتوقّف النساء عن نقد الرجال في طريقة قيادتهم للسيارة سيهبط عدد الخلافات إلى النصف فقط. لكلٍّ نقاط ضعفه ونقاط قوته؛ فعندما تحسّون بعدم سيطرتكم على حلّ معضلة ما لا تدعوا الأمر يكدّركم، فباستطاعتكم بالتمرين تحسين مهاراتكم، ولا تدعوا ذلك يؤثر سلباً في مزاجكم ومزاج شريككم.

الفصل السادس

أفكار، سلوكيات، مشاعر ومجالات حارّة أخرى



كان «كولن» و«جيل» مسافرين بالسيارة إلى مكان غير معروف لديهما سابقاً، ومقارنةً بالتعليمات التي أُعطيت لهما عن كيفية الوصول إلى ذلك المكان، كان عليهما أن يصلا خلال عشرين دقيقة. وها قد مضى عليهما حتى الآن خمسون دقيقة ولم يصلا بعد إلى هدفهما. بدأ «كولن» يفقد صبره بينما اعترى «جيل» نوع من الاحباط عندما لاحظت بأنهما يمرّان بجانب محطة تصليح السيارات للمرة الثالثة على التوالي.

جيل: «أظن أنه كان علينا، عزيزي، أن ننعطف بعد محطة الوقود نحو اليمين. هلاّ توقّفت وسألت عن الطريق؟»

كولن: «أعرف أين الطريق. يجب أن يكون في مكان ما هنا»

جيل: «لقد بدأت الحفلة منذ نصف ساعة. دعنا نتوقف ونسأل»

كولن: «أنا أعرف ماذا أفعل. قودي أنتِ اذا كنتِ تعرفين كل شيء أحسن مني»

جيل: «لا أريد القيادة، ولكني لا أريد أيضاً أن أمضي الليل بطوله وأنا أدور في حلقة»

كولن: «حسناً! لماذا لا نعود على أعقابنا إلى المنزل؟»

هذه المحادثة تبدو مألوفة بالنسبة لغالبية الرجال والنساء... هنا، يبدو للمرأة غير مفهوم، كيف أن الرجل الرائع الذي تحبّه قد تحوّل إلى شخص آخر بمجرّد أنه أخطأ في ايجاد الطريق. لو كانت هي التي أضاعت الطريق، فإنها ستسأل ببساطة عنه. أين هي المشكلة؟ لماذا لا يستطيع هو أن يعترف بعدم معرفته؟

لماذا بقي «موسى» أربعين عاماً تائهاً في الصحراء؟ لأنه رفض أن يسأل عن الطريق.

ليس لدى النساء مشكلة في الإقرار بالخطأ لأنه بالنسبة لها، نوع من إظهار الصداقة والثقة. وكان آخر رجل في العالم أقرّ بغلطته، هو الجنرال «كوستر Custer» الذي سقط في معركة «سيوكس Sioux» ضد الهنود الحمر بزعامة «سيتِّينغ بول Sitting Bull».

تستقبل النساء والرجال العالم نفسه بأعين مختلفة، فيرى الرجال الحاجات والأشياء بمنظار علاقاتها المكانية بعضها مع بعض، كما لو كانت موزاييك يشكّل لوحة متكاملة. اما النساء فترى اللوحة الأكثر خفية وامتداداً مع امكانياتهن باستشعار أدق التفاصيل. إن اهتمامهنّ يتوجّه الى الأجزاء بحدّ ذاتها وعلاقاتها بعضها مع بعض، أكثر بكثير من اهتمامهنّ بمواقعها في الموزاييك المذكور.

يريد الرجال الحصول على نتائج والوصول إلى أهداف والتملّك من المراكز والسلطة وهم يحبّون المنافسة ولايترددون في اتباع الطريق الموصل إلى جوهر الأمور. أما النساء فيركّزن على التواصل، والعمل المشترك، والانسجام والحب والعيش المشترك والعلاقات بين الأشخاص. ان هذا الاختلاف لهو كبير بمكان بحيث أنه يمكن اعتبار محاولة النساء والرجال للعيش بعضهم مع بعض قريبة إلى حدود المعجزات الحقيقية.

الفتيان يهيمون بالاشياء، والفتيات بالأشخاص

إن أدمغة الفتيات مبرمجة لتكوين ردود أفعال على الأشخاص والوجوه، بينما تكون ردود أفعال الفتيان موجهة إلى الأشياء والأشكال. وقد بيّنت الدراسات التي أجريت على الرضّع في سن ما بين البضعة أيام والبضعة أشهر أن الصبيان يرغبون بالأشياء بشكل بالغ الوضوح بينما البنات يرغبن بالأشخاص، وكذلك يكون استقبال العالم عند كلّ منهم متبايناً تبعاً للوصلات الدماغية المربوطة بشكل مغاير. ونجد ان الطفلة الرضيعة تشعر بالانجذاب نحو الوجوه وتحملق فيها بشكل أطول بمرتين إلى ثلاث مرات من الطفل الرضيع. بينما هو يلتفت إلى شيء متحرك له أشكال أو زخرفات. وفي الأسبوع الثاني عشر من العمر، نجد أن الإناث يفرّقن الصور الفوتوغرافية لأفراد العائلة عن صور غيرها بخلاف الذكور؛ بالمقابل هم يستطيعون بشكل أفضل، إيجاد لعبة مفقودة. هذه الاختلافات تكون واضحة للعيان، وتعبّر عن نفسها قبل أن تبدأ

عملية القولبة الاجتماعية بالتأثير. وفي تجربة أخرى أجريت على الأطفال ما قبل سن المدرسة، وُضع الأطفال أمام جهاز كالمنظار، له فتحتان، إحداهما تُري أشياء والأخرى تُظهر وجوهاً، وسُئِل الأطفال فيما بعد عمّا بقي في أذهانهم. فأظهرت النتائج أن الإناث تذكَّرن قبل كل شيء الأشخاص والمشاعر التي كانت تبدو على وجوههم، بينما تذكرَ الذكور الأشياء وأشكالها بالدرجة الأولى. وتجلس البنات في المدرسة في حلقات يتحدثن بعضهن مع بعض، وتعكس كل واحدة منهن لغة الوجوه والأجساد للمجموعة كلّها التي لا يمكن تمييز زعيمة لها.

تنحو الفتيات نحو إقامة علاقات وتعاون ضمن المجموعة، أما الفتيان فيصبون إلى السلطة والمركز.

وعندما تقوم فتاة ببناء تشكيلٍ ما فسيكون بناءً طويلاً غير واضح المعالم، ويكون الهدف هو الأشخاص الذين تتصورهم هذه الفتاة داخل المبنى. أما الصبيان فتصبح عملية البناء عندهم مسابقة، يتبارون من خلالها من سيبني الصرح الأكبر والأعلى ومن سيتفوّق على الآخر. يركض الفتيان ويثبون ويتناحرون ويقومون بحركات متقمصين من خلالها حركات الدبابة والطائرة، بينما تتحدث الفتيات فيما بينهن عن الفتى الأكثر جاذبية وعن الآخر الذي يبدو على سحنته الغباء. وفي سن ما قبل المدرسة تُستقبل الفتاة الجديدة من قبل قريناتها بالترحيب ويصبح اسمها بعد فترة وجيزة معروفاً. أما الصبي فيكون في الأحوال العادية مُهمَلاً من قبل أقرانه حتى يُنسب إلى المجموعة من قبل أصحاب السلطة فيها، الذين يقررون بأنه يوجد لهذا الصبي الجديد دورٌ ذو معنى ضمن مجموعتهم. وفي نهاية النهار لا يعرف الصبية عن هذا الجديد أية تفاصيل، ولا يتذكرون حتى اسمه، لكن الذي يعرفونه حتماً هو جودته أو عدمها كزميل في اللعب. كذلك تقبل الفتيات الآخرين بشكل لطيف، ويبدين اهتماماً ايجابياً بأصحاب العاهات أو الإعاقات في حين يستقبل الصبيان أولئك الأطفال المتخلفين عنهم بالاحتقار والاستهزاء بشكل أو بآخر.



«أنا أعرف يا ايزابيل ... بأنه قاتل، سادي ومختلّ العقل، يقضي على ضحاياه بالفأس ... ومن الممكن أيضاً أن يكون قاتلاً ومختلاً وسادياً يجهز على ضحاياه بالفأس ... ولكنّه يحتاج إلى مساعدة!!»

بالرغم من الرغبة الصادقة لدى الأبوين في تربية أولادهم الصبيان والبنات بشكل متماثل، يبقى للبناء الدماغي لكل منهم دور أساسي في تحديد سلوكهم فيما بعد. فعندما تُعطى البنت لعبة مثلاً، كالدبدوب، فإنها ستجعله صديقاً حميماً لها. أما الصبي،

فعندما يُعطى اللعبة نفسها فسيقوم بتفكيكها ليفهم كيف تعمل، ويتركها أجزاء مبعثرة وينتقل إلى واحدة أخرى لتلقى المصير نفسه.

اذاً فالصبيان يهتمون بالأشياء وبطريقة عملها والبنات يهتممن بالاشخاص والعلاقات. وعندما يرجع الكبار بذاكرتهم ويستذكرون مجريات أحداث يوم زواجهم، نجد أن النساء تتذكر طقوس الزواج ومن كان موجوداً آنذاك بينما يتذكر الرجال الصخب المرافق للاحتفال كحادثة تكسير الصحون مثلاً.

الفتيان يتنافسون، والفتيات يتعاونّ

تتعاون الفتيات فيما بينهن ضمن المجموعة التي لا نلاحظ وجود زعيمة فيها، ويتكلّمن بالإشارة ليعبّرن عن مدى انتمائهن للمجموعة. ويكون لكل فتاة ضمن المجموعة صديقة حميمة تستودعها كل أسرارها. وتتحسس الفتيات من الانثى التي تحاول أن تتزعم المجموعة بقولهن: «تظن نفسها شيئاً مميزاً!» أو «تظن بأنها تستطيع أن تعطينا الأوامر». أما في مجموعات الفتيان فنرى بُنى سلطوية هرمية تتميز بطريقة معينة في الكلام وبلغة جسد واضحة، ويحاول كل فتى أن يكافح ليحصّل مركزاً أرقى ضمن المجموعة، حيث يكون للمركز وللسلطة في أوساط الفتيان أهمية كبيرة. ويحصل الفتى عادةً على المركز والسلطة من خلال مهارات تميزّه عن الآخرين، كالعلم أو المعرفة أو التأثير على الآخرين بكلمات كبيرة أو بالتفوّق بالقوة الجسدية.

وبينما تبني الفتيات علاقات مع أصدقائهن ومدرّسيهن، يضع الفتيان سلطة المدرّس تحت علامة استفهام، ويفضلون الالتفات إلى اكتشاف العلاقات الفراغية في هذا العالم، معتمدين قدر الامكان على أنفسهم.

عن ماذا نتحدث

إذا ما أصغينا إلى ما يقال ضمن مجموعة نساء ومجموعة رجال، أو مجموعة بنات ومجموعة صبيان، في أي بلد من بلدان العالم، نلاحظ التأثير الواضح

للتوصيلات الدماغية المختلفة بين الإناث والذكور والتي تدعهم لا يتحدثون باللغة نفسها .

فالفتيات يتحدثن عن الناس : من يحب من ، ومن أزعج من ، يلعبن ضمن مجموعات صغيرة ويتبادلنَ الأسرار كتعبير عن الصداقة . وفي سن المراهقة يتحدثن عن الشباب ، عن وزنهن ، عن الملابس وكل منهنّ عن صديقها . وفي سن النضج يتكلّمن عن النظام الغذائي وعن العلاقات والزواج والأطفال والعشّاق والشخصيات والملابس وسلوك الناس والعلاقات في نطاق العمل وفي كل أمر يتعلّق بالناس أو بالأمور الشخصية .

أما الفتيان فيتحدثون عن الأشياء والفعاليات : من عَمِل ماذا ، ومن تفوّق بماذا ، وكيف تعمل الأشياء . وفي سن المراهقة يتحدثون عن الرياضة والميكانيك وطريقة تشغيل الأجهزة . وفي سن النضج يتكلمون عن الرياضة وعن عملهم الوظيفي وعن الأحداث اليومية وماذا عملوا وأين ذهبوا ، عن التكنولوجيا والسيارات وكافة الأجهزة والآلات .

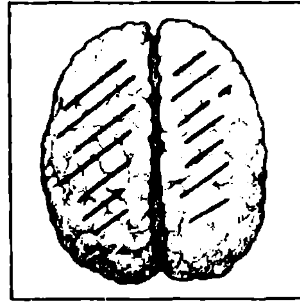
ماذا يريد الرجال والنساء العصريون

في دراسة أُجريت منذ وقت قريب في خمسة بلدان غربية ، طُلب فيها من الذكور والإناث أن يصفوا الشخص الذي يودّون أن يكونوا على مثاله فاستخدم الذكور الصفات التالية : هُمام ، منافس ، فعّال ، متسلّط ، محترَم ، عملي وذو عزم . بينما استخدمت الإناث الصفات التالية : حنونة ، ودودة ، حساسة ، كريمة ، جذابة ، صدوقة وخيّرة . ونصل إلى نتيجة مفادها أن الأولويات الأكثر أهمية عند الإناث هي خدمة الآخرين ولقاء الأشخاص المثيرين للاهتمام ، أما عند الذكور فهي المظاهر والسلطة وامتلاك الاشياء المادية . ومرّة أخرى نقول إن الميول المتباينة عند الجنسين تنجم عن اختلاف التركيب الدماغي لدى كلٍ منهما ، وأن الذكور يقدّرون الأشياء بينما تقدر الإناث الأشخاص .

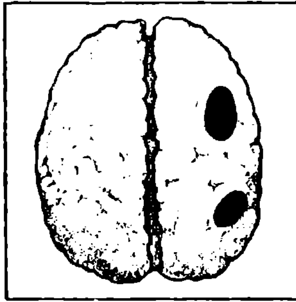
الأحاسيس متواجدة في الدماغ

أجرت الباحثة الكندية "ساندرا ويتلسون Sandra Witleson" دراساتها على النساء والرجال، بهدف تعيين مراكز الإحساس في الدماغ لدى كل منهما. وقد استخدمت في دراستها صوراً مُثيرة لمشاعر قوية، وتركت هذه الصور تنتقل أولاً إلى نصف الدماغ الأيمن عن طريق العين اليسرى والأذن اليسرى، ثم إلى الدماغ الأيسر عبر العين اليمنى والأذن اليمنى. وقد توصلّت هذه الباحثة إلى النتيجة التي تظهر في الرسمين التاليين، وتخصّ مراكز الأحاسيس الدماغية الذكرية والأنثوية، علماً بأن تحديد مراكز الأحاسيس يُعتبر معقداً أكثر بكثير من تحديد مراكز التصوّر الفراغي أو مراكز اللغة والمهارة الكلامية.

وقد أوضح الرنين المغناطيسي أن المراكز الدماغية أدناه هي تقريباً مراكز الأحاسيس:



مناطق الإحساس عند النساء



مناطق الإحساس عند الرجال

إن مركز اعتلاج الأحاسيس في نصف الدماغ الأيمن لدى الرجل، يبيّن لنا بأنه متواجد بشكل منفصل عن باقي الوظائف الدماغية. وبمعنى آخر، فإن الرجل عندما يقع تحت ضغط موقفٍ ما، فليس بالضرورة ان يصبح عاطفياً؛ أي أنه يستطيع أن يستمر بتقديم الحجج وصياغة الكلام (نصف الدماغ الأيسر) والبحث عن حلٍّ مكاني (مقدمة

نصف الدماغ الأيمن). ويمكن تشبيه هذا الوضع لدى الرجل بأن أحاسيسه تبقى محصورة ومغلق عليها ضمن غرفة صغيرة مظلمة، ويلعب الجسم الرفيع الواصل بين نصفي الدماغ دوره في عدم الخلط الفوري بين المشاعر والوظائف الدماغية الأخرى.

أما الأنثى فيمكن ان تصبح عاطفية بمجرّد الحديث عن موضوع مثير للمشاعر، الشيء الذي لا يحدث عندَ الذكر إلا نادراً؛ وإن حصل فإن الذكر يمتنع عن الكلام متجنباً أن يصبح عاطفياً أو أن يعطي انطباعاً بأن الأمور قد خرجت عن سيطرته.

بشكل عام، يمكن إثارة المشاعر عند المرأة في الوقت الذي تكون فيه الوظائف الدماغية الأخرى مفعّلة. وبمعنى آخر يمكن للمرأة أن تبكي وتغيّر دولاب سيارتها المعطوب في آن معاً. أما بالنسبة للرجل، فتغيير دولاب السيارة هو عبارة عن امتحان لمقدرته في التغلّب على المصاعب، أي يجب ان تبقى عيونه جافة حتى لو اكتشف أن دولاب الاحتياط معطوب هو الآخر، أو أنه نسي رافعة التصليح في المنزل أو أنه وحيد في شارع خالٍ من الناس والساعة الآن منتصف الليل والمطر لا يكفّ عن الانهمار بغزارة...

> عندما تثار المشاعر عند الرجل يصبح كالزواحف المفترسة مقابل ضحيتها. أما عند المرأة فتفضّل أن تتكلم عن مشاعرها للآخرين.

لقد قام بروفسور علم النفس والأعصاب "روبن غور Ruben Gur" من جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، بإنجاز رائد من خلال أبحاثه عندما اكتشف بأن الدماغ الذكري المقسّم إلى مراكز ومناطق واضحة يتعامل مع موضوع الأحاسيس والمشاعر بشكل أكثر بدائية أو بالأحرى بشكل أكثر حيوانية من الدماغ الأنثوي، ولا تختلف ردود فعله هنا عن ردود فعل تمساح هائج. بينما تفضّل المرأة أن تجلس مع شخص ما وتفصح له عن مشاعرها، وعندما تتناول حديثاً انفعالياً ترسل إشارت عاطفية ذات تأثير من خلال تعابير وجهها وحركات جسمها ومن خلال العبارات التي

تستخدمها أثناء كلامها. أما الرجل، فعندما يريد أن يُظهر انفعالاته للعلن فإنه لا يختلف كثيراً عن الزواحف المفترسة، إذ يصبح عنيفاً ويقذف بالكلمات المسعورة.

تؤكد النساء على أهمية العلاقات ويؤكد الرجال على أهمية العمل

لا تشكل حياتنا الاجتماعية على شاشة تاريخ التطوّر البشري أكثر من مجرّد نقطة مضيئة. وكان لمئات الآلاف من السنين في التخصيص التقليدي للعمل بين الذكر والأنثى أثر في توريث رجال ونساء اليوم بناءً دماغياً مسؤولاً عن غالبية المصاعب التي تعترض علاقاتهم وتبث سوء التفاهم فيما بينهم. ومنذ الأزل، يعتبر الرجال قيمتهم في عملهم وانجازاتهم، ويكون تحقيق الذات بالنسبة للنساء متعلقاً بمدى كفاءة علاقاتهن الاجتماعية. فالرجل هو الصياد وحلال المشاكل - وكانت هذه أولوياته للمحافظة على البقاء، والمرأة هي راعية العش ودورها يكمن في تأمين الحياة للأجيال القادمة.

وكل الدراسات التي أجريت في تسعينيات القرن العشرين لمعرفة سلّم الأولويات لدى الذكور والإناث أفادت بأن 70-80 % من الرجال يعتبرون عملهم هو الأهم في حياتهم، وان 70-80 % من النساء يعتبرن العائلة هي الأهم. واستناداً إلى هذه النتائج نصل إلى الخلاصة التالية:

> لا تستطيع المرأة التركيز في عملها اذا ما كان لديها مصاعب في علاقاتها، ولا يستطيع الرجل التركيز على علاقاته الاجتماعية إذا لم يكن سعيداً في مكان عمله.

عندما تكون المرأة منهكة أو واقعة تحت ضغط نفسي، فإن إمكانية الكلام مع زوجها حول همّ ما تكون شافية؛ أما بالنسبة للرجل فالكلام في مثل هذه الحالات يكون أمراً مزعجاً بما أنه يبحث في ذلك الوقت عن حلول للمشاكل. هي تريد أن تتحدث وأن تُداعَب، وهو يريد الجلوس على صخرة عالية محملقاً في نار معسكره؛ هنا تقيّم المرأة تصرّفه بأنه عدم اهتمام وعدم اكتراث، وهو يشعر بأن سلوكها ثقيل الظل وغير متسامح. وهاتان الطريقتان في الإحساس تعكسان بناء مخيّهما المختلف وأولوياتهما المتباينة.

وهذا ما يجعل المرأة تقول دائماً «إني على ما يبدو مهتمة باستمرار علاقتنا أكثر منه»- وهذا هو الواقع فعلاً... وأنتم، عندما تعون هذا الاختلاف بينكم، فإن الكثير من مشاكلكم ستذهب أدراج الرياح، لأنكم بالتأكيد ستتريثون في إدانة تصرفّات بعضكم بعضاً.

لماذا على الرجال أن يقوموا بعملٍ ما

إن الدماغ الذكري مبنيّ بشكل يحاول معه معرفة الأشياء وفهم طريقة عملها، ويحاول كشف علاقاتها فيما بينها وموقعها في الفراغ. كما أنه يبحث عن حلول للمعضلات في كل مكان تحت شعار «كيف يمكنني أن أصلّح أو أن أعيد تصليح شيء ما». وتدخل مقولة الإصلاح في جميع فعالياته تقريباً: وقد أخبرتنا إحدى النساء بردّة فعل زوجها عندما طلبت منه أن يكون أكثر عاطفية تجاهها، كيف أنه ذهب حينئذٍ مباشرة إلى الحديقة وأتمّ الأعمال هناك ظناً منه أنه يعبّر عن حبّه لها بهذا الشكل. وعندما قالت له بأن تصرفّه هذا لم يفعل شيئاً في سبيل إسعادها، ذهب إلى المطبخ وقام بطلائه من جديد.

وعندما لم تأتِ تصرفّاته بالنتائج المرجوة عرض عليها ان تذهب معه لحضور مباراة كرة قدم! عندما تغضب المرأة تفضفض ما بداخلها إلى صديقاتها، وعندما يتوتر الرجل يتصرفّ بشكل مغاير: فإما أن يفكّ محركاً أو يصلّح صنبور ماء...

> لكي يثبت لها حبّه، تسلّق أعلى الجبال وسبح في أعمق البحار وجاب الصحارى الواسعة. ولكنها تركته لأنه لا يتواجد في المنزل.

في الوقت الذي تحلم فيه المرأة بالحب والرومانسية، يتخيّل الرجل السيارات السريعة وأجهزة الكومبيوتر المتطورة والقوارب والدراجات النارية. كل هذه الأشياء لها علاقة بشكل أو بآخر بالقدرة على التصورّ الفراغي والرغبة في انجاز الأعمال.

إن المحرك البيولوجي للرجل يجبره على الاهتمام بالمرأة، ويكون اعترافها بجهوده معياراً للنجاح بالنسبة له. فعندما تكون سعيدة يشعر بأنه قد حقق ذاته، وعندما لا تكون كذلك يشعر بالفشل لأنه يظن بأنه أخفق أو لم يحسن الاهتمام بها. وكثيراً ما نسمع الرجال يقولون لأصدقائهم: «لم أستطع ان أجعلها سعيدة». وهذا السبب قد يكون كافياً للرجل لكي يترك امرأته ويذهب إلى امرأة أخرى تُظهر سعادتها بالأشياء التي يمكن أن يوفّرها لها.

النساء لا يتركن الرجل لأنهن غير سعيدات بمزاياه، إنما لأنهن غير مكتفيات عاطفياً.

تحتاج المرأة إلى الحب والرومانسية وإلى تبادل الأحاديث مع الرجل، ومن المهم له أن يسمع منها الإطراء على ما يقدمّه ويشعر بأنها مقتنعة بذلك. ونقول للرجل أيضاً إن عليه أن يكون رومنسياً ويتقن الإنصات، وأن يستمع لها دون أن يقدم لها الحلول دونما توقف.

لماذا يغضب الرجال عندما يخطئون

اذا أردنا أن نفهم لماذا يغضب الرجال عندما يخطئون، علينا أن نعود إلى التاريخ ونتخيّل المشهد التالي: رجل جالس أمام مدخل المغارة ويسرح بنظره في البعيد باحثاً عن أدنى حركة في الأفق. منذ أيام لم تحصل امرأته ولا أطفاله على شيء من الطعام وهو يعلم بأنه سيذهب إلى الصيد حالما تتحسن حالة الطقس، ولن يعود منه إلا وقد قضى على فريسته، فعائلته معتمدة عليه وهي جائعة، لكنها واثقة في قدرته على النيل من غنيمته. إن معدته فارغة ورأسه مثقلة بالهموم، فهل يصادفه الحظ وينجح في مهمتّه؟ أم يترك أسرته تتضوّر جوعاً؟ وهل سيتعرّض لخطر القتل من الآخرين عندما يلاحظون ضعفه الناجم عن نقص التغذية؟ إنه يجلس هنا ويراقب دون أن يظهر شيء على أسارير وجهه، اذ عليه ألا يُظهر لعائلته أنه خائف وعليه أن يبدو قوياً كي يبعد الخوف عنها.

عندما يخطئ الرجل يشعر بشعور الخاسر لأنه لم يستطع أن يقوم بواجبه .

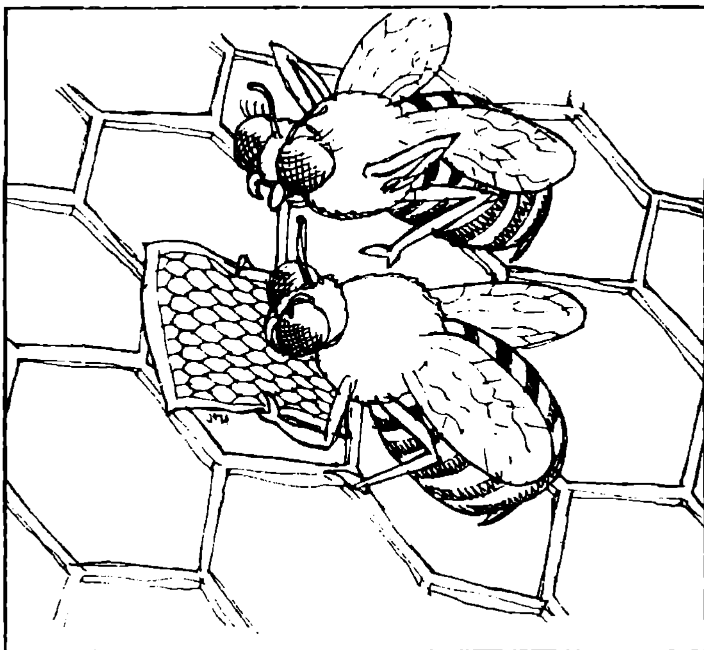
ويبدو أن ملايين السنين من الخوف من الإخفاق في المهمة الموكلة إليه ، تركت بصماتها على دماغ الرجل المعاصر . وقليلات هنّ النساء اللواتي يعرفنَ بأن الرجل يرغب في التوقف والسؤال عن الطريق الصحيح اذا ما كان وحده ، ولن يفعل ذلك إذا كانت امرأته إلى جانبه لأن ذلك يعني إخفاقاً بالنسبة إليه .

فعندما تقول له المرأة : «توقَّف وأسأل عن الطريق الصحيح !» يسمعها هو : « أنت غير قادر ! ولا تستطيع التعرّف على المكان» . أو عندما تقول «إن صنبور المياه في المطبخ عاطل ، هل أتصل بالحدّاد لكي يصلّحه ؟» يسمع هو هذه الجملة كما يلي «أنت لا فائدة منك ، وسأجد رجلاً آخر يقوم بوظيفتك !» . ولهذا السبب بالذات يصعب على الرجال الاعتذار عندما يخطئون ، لأن الاعتذار سيكون اعترافاً بأنهم كانوا على خطأ ، والخطأ بالنسبة لهم يعني الفشل . لذلك على المرأة أن تنتبه ، عندما تريد أن تتكلم معه عن معضلة ما ألا تجرحه عن غير قصد ؛ وحتى عندما تريد أن تهديه كتاباً بمناسبة عيد ميلاده يتضمن نصائح عن كيفية إنجاز الأعمال ، قد يفهم الرجل الأمر بأنها غير مقتنعة به وغير راضية عنه كما هو .

لا يستسيغ الرجال الانتقاد ، لذلك يفضلّون الزواج من صغيرات السن .

وعلى الرجل أن يتعلّم بأن همّ المرأة لا يتلخّص في الإشارة إلى أخطاء الرجل ، لأنها غالباً ما تريد أن تساعده ، ولا يجوز أن يأخذ كل الأمور على محملٍ شخصيّ . إن المرأة تريد مساعدة الرجل الذي تحبّ لكي يصبح إنساناً أفضل ، بينما يفسّر هو ذلك على أنه غير جيّد بالنسبة لها .

والرجل لا يعترف بالخطأ خوفاً من فقدان حبّ المرأة له ، بينما في واقع الأمر ، يزيد حبّ المرأة للرجل عندما تراه يعترف بأخطائه .



«أقول لك للمرة الخامسة»، ناتان «... توقف أخيراً واسأل عن الطريق!»

لماذا يخفي الرجال مشاعرهم

مازال الرجل المعاصر يحمل في نفسه الإرث القديم الذي يوجب عليه الشجاعة وعدم إظهار الضعف. وتسأل النساء أنفسهن في عدة مناطق من العالم: «لماذا عليه أن يكون دائماً قوياً؟» «ولماذا لا يستطيع أن يظهر لي ببساطة مشاعره الحقيقية؟» «وعندما يكون منزعجاً او متوتراً من سبب ما، يُبقي ذلك بداخله ويصبح إما مضجراً للآخرين أو ينفرد بنفسه مبتعداً عن الآخرين»، «واذا ما طلبت منه أن يتحدث معي عن مشاكله فكأنما أطلبُ منه الذهاب إلى طبيب الأسنان لقلع ضرسه».

ان الذكر بطبعه حذر، متوازن، دفاعي، يحب المنافسة، متوحد، يريد إخفاء أحاسيسه عن محيطه ليبقى دائما سيّد الموقف، إذ أن إظهار المشاعر عند الرجال يساوي

الضعف. وطبعاً، يقوّي المحيط الاجتماعي هذا السلوك عندما يطلب إلى الذكر أن يتصرّف «كرجل» وأن الصبيان لا يبكون، وأن الشجاعة صفة واجبة عليهم.

أما الأنثى فقد بُرمج دماغها بحيث تستطيع أن تقوم بدورها كراعية للعش، ولكي تصبح منفتحة، صدوقة، متعاونة، مُظهرةً لضعفها ومشاعرها دون حرج، إذ تعرف أنها لا تستطيع دائماً أن تسيطر على الوضع. وإذا ما دخل الرجال والنساء في مشادّة، فإنه من الطريف دائما، مشاهدة دهشة كل منهم إزاء ردّ فعل الطرف الآخر، وعدم توقّعه لذلك.

لماذا يفضّل الرجال صحبة الرجال

في العصور الغابرة، وزمن رجل الكهف، كانت الطريدة على الأرجح أقوى وأكبر من مطاردها، لذلك كان الرجل يشكلّ مع أقرانه مجموعة ويذهبون معاً إلى الصيد. وسمح له ذهنه المتفوق بأن يُعدّ استراتيجية خاصة للصيد، لا تختلف في يومنا هذا عن استراتيجية لعبة كرة القدم الحديثة. ولكي يتفاهم أفراد المجموعة فيما بينهم طوّر الانسان القديم منظومة ذكية من الإشارات الجسدية تساعد المجموعة كلها على تنفيذ الخطة الموضوعة. وبشكل مركّز أنجز الرجال مهمتهم الذكورية باشتراكهم في رحلات الصيد الجماعية واقتناص طرائدهم برماحهم. وأنجزت النساء وظيفتهن، واللواتي غالباً ما يكنّ حوامل، في تربية الأطفال وجمع الثمار والقيام بالأعمال المنزلية والدفاع عن العش.

اذاً فالحاجة الذكورية إلى تكوين مجموعات بهدف الذهاب إلى الصيد معاً ترسّخت في الدماغ الذكري عبر ملايين السنين، وبالتالي لا يمكننا أن نتصوّر بأنه سيتخلىّ عنها بهذه السهولة. ونرى هذا منعكساً على حياتنا الحالية اذ يتجمّع الرجال اليوم في الحانات والنوادي لكي يسردوا بعض النكات وحكايات الصيد الخاصة بكلٍّ منهم.

لماذا يرفض الرجال قبول النصائح

يحتاج الرجل إلى الشعور بأنه متماسك وقادر على حلّ مشاكله بنفسه. واذا تحدّث فيها إلى غيره يشعر بأنه سيشكّل عبئاً عليه. ولن يثقل بمشاكله الشخصية على أفضل أصدقائه إلا اذا اعتقد بأن صديقه هذا سيغنيه بحلولٍ أفضل.

عليكم أن تسدوا النصائح للرجال اذا طلبوها منكم بأنفسهم. وأعطوهم الانطباع بأنكم تثقون بقدرتهم على حل المشاكل.

يقاوم الرجل المرأة، عندما تحاول أن تجعله يفصح عن مشاكله او مشاعره لأنه يفهم ذلك انتقاداً له، ويخشى أن يظهر بمظهر المستضعف عندما تعرض عليه حلولاً. في الواقع، تريد المرأة فقط مساعدته ليصبح أفضل، وتعتبر عرضها للنصيحة نوعاً من توطيد علاقتها به، كونها هي شخصياً لا تعتبر قبول النصيحة موقف ضعف.

لماذا يعرض الرجال حلولاً

يملك الرجل ذهناً منطقياً مبرمجاً على حلّ المعضلات. فعندما يدخل مطعماً أو قاعة اجتماعات يلاحظ فوراً الأمور التي هي بحاجة للإصلاح ويلتفت الى اللوحات الموضوعة بشكل غير مستوٍ. إنه يفكر مباشرةً في كيفية تجهيز المكان بشكل أفضل، وإن دماغه عبارة عن حلالٍ للمشاكل يعمل دون توقف. وحتى وهو على فراش الموت في إحدى المستشفيات سيفكر كيف يمكن ترتيب هذا القسم بشكلٍ يمكن من خلاله الاستفادة من الإضاءة الطبيعية ومن إطلالة المشفى بالشكل الأمثل.

لذلك لا يفتأ يعرض الحلول على امرأته في الوقت التي لا تريد هي إلا التحدث معه عن الأمور التي تشغلها. إنه مصرّ على أنه سيفيدها باقتراحاته.

لماذا تشعر النساء الواقعات تحت الضغط النفسي بالحاجة إلى الحديث

عند الوقوع تحت ضغطٍ نفسي، تتفعّل عند الرجل القدرةَ على التصورّ الفراغي

وعلى التفكير المنطقي في الدماغ، أما عند المرأة فتتفعَّل القدرة على الكلام! لذلك نراها تتحدث مع كل شخص يكون مستعداً للإصغاء وأحياناً دون توقّف! وتستطيع ان تتحدث مع صديقاتها لساعات طويلة وهي تخبرهنّ عن مشاكلها بالتفصيل وتعيد من البداية عندما تنتهي من سرد كل شيء. كما وتستعرض معهنّ مصاعبها الحالية والماضية والممكنة الحدوث في المستقبل، والمشاكل التي لا حلّ لها، وهي لا ترجو من الحديث الوصول إلى حلّ، وانما يهدئها الكلام بحدّ ذاته ويواسيها. ويأخذ حديثها عادةً الصبغة العامة في محتواه، وبإمكانها ان تخوض دائماً في عدة مواضيع بآن واحد دون أن يكون هدفها الوصول إلى نتيجة.

عندما تكشف المرأة لصديقاتها عن مشاكلها، يكون ذلك مؤشراً على ارتباطها وثقتها بهنّ.

إنّ الإنصات للمرأة، يشكلّ للرجل عملاً شاقاً لأنه يشعر بمسؤوليته تجاه هذه المهمّة، وعليه أن يبحث عن حلّ. فهو لا يفكر بمجرّد الكلام وإنما يريد أن يفعل شيئاً، تجاه ما يسمعه، وعلى الأرجح سيقاطعها ليستفسر: «ما هي المشكلة هنا بالتحديد؟». والقصّة هنا أنه لا توجد مشكلة! اذاً ان أهم ما يمكن أن يتعلّمه الرجل هنا هو الإنصات والتعقيب على ما يسمعه بأصوات أو بحركات تُشعر الآخر بأنه يصغي وبأنه لا يعرض حلولاً. وطبعاً سيكون هذا غريباً على شخصية الرجل الذي لا يتحدث عادةً إلا اذا كان عنده مادة - او حلاً - للحديث.

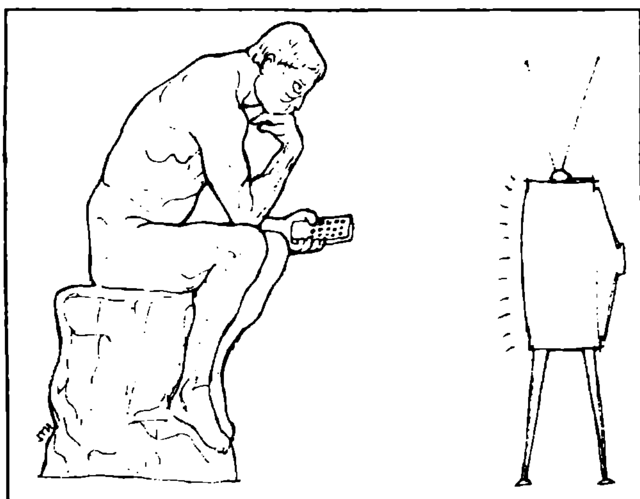
عندما تصادفون امرأة غاضبة، لا تحاولوا نُصحها أو اعطاءها حلولاً لمشاكلها، ولا تحاولوا أيضاً استبيان صحة مشاعرها، فقط، أظهروا لها بأنكم تنصتون إليها.

وعندما تتردد المرأة في قبول النصائح، يزيد الرجل الأمور تعقيداً عندما يحاول، في خطوته التالية، أن يقلّل من أهمية مشاكلها بقوله على سبيل المثال «ليس لهذا الشيء

تلك الأهمية!» ، «أنت تبالغين مرة أخرى»، «انسي الموضوع بكل بساطة!»، «ليس الأمر بهذا السوء!». هنا تشعر المرأة بأنه يهرب من الإنصات إليها، وبناءً عليه فالأمر بالنسبة لها هو عدم اهتمام من قبله وأنها لا تعني شيئاً بالنسبة له.

لماذا يرفض الرجال الواقعون تحت الضغط النفسي الكلام

إن المرأة تتكلّم ويمكن للمرء أن يسمع ما بداخلها، بينما يكلّم الرجل نفسه ويُبقي حديثه داخل رأسه.



وها هو يجلس على صخرته المتوحّدة

ومن طبيعة الذكر أن دماغه لا يمتلك مركزاً مخصصاً لوظيفة الكلام، وبالتالي فهو يتحدث مع نفسه مقلّباً مشكلته في رأسه وحده؛ أما هي فتتحدث في مشاكلها مع الآخرين. لذلك نجد الرجل الواقع تحت ضغطٍ ما، منغلقاً على نفسه كالصدفَة، ممتنعاً عن الكلام، يبحث في نصف دماغه الأيمن عن الحلول ويغلق نصف دماغه الأيسر

مؤقتاً، أي أنه يوقف الجزء من دماغه المسؤول عن الإصغاء والكلام، عن العمل؛ فدماغه لا يستطيع أن يقوم بأكثر من عمل في آن واحد، أي لا مجال لحل المشاكل والإصغاء والكلام في آن واحد. هنا تخاف المرأة من صمته ويتعكّر مزاجها وتقول لزوجها أو ابنها او أخيها: «هيّا، عليك ان تفرغ ما في صدرك، إنك ستشعر بالارتياح بالتأكيد!». تقول ذلك معتبرةً تلك هي الطريقة الصحيحة للراحة، أما هو فيفضل أن يُترك بسلام متأملاً النار حتى يجد الحل أو الجواب على معضلته. كما أنه لا يريد أن يستشير معالجاً نفسياً لأنه سيعتبر ذلك إشارة واضحة الى ضعفه. يجسّد تمثال «المفكّر» للنحاّت «رودان Rodin» رجلاً مستغرقاً في التفكير، فضّل أن يجلس وحيداً فوق صخرة باحثاً عن حلول، والكلمة المهمة هنا «وحيد»، حيث لا يريد أن يرافقه أحد إلى صخرته، حتى ولا أعز أصدقائه. ومن البديهي ألاّ يفكرّ اصدقاؤه من الذكور بإزعاجه أثناء ابتعاده إلى صخرته. أما المرأة فتشعر بأنها يجب أن تصعد إليه لتواسيه، وهنا تتلقى منه صدمةً قاسية عندما تراه يدفعها دفعةً قوية تعيدها إلى حيث أتت.

يتسلّق الرجال الصخور العالية ليتسنّى لهم حل مشاكلهم واذا ما تبعتهم المرأة إلى حيث وحدتهم فإنها سترُدّ على أعقابها بفظاظة.

ولو تخيّلنا تمثالاً آخر للنحاّت «رودان» يمكن أن يجسدّ النقيض الأنثوي «للمفكر»، فسنحصل على تمثال «المتحدثّة». وعلى النساء أن يتعلّمن أن يتركن الرجل يفكرّ بسلام عندما يكون مبتعداً فوق صخرته العالية. ولا يظنّن في هذه الحالة بأنه غاضب منهنّ أو معرض عن حبّهن، مسقطات ردات فعله على أنفسهن، اذ أن المرأة الغاضبة أو التي تشعر بالإهانة لا تتحدث حتماً. عليهن هنا فقط ان يتركن له في عليائه فنجاناً من الشاي مع بضع قطع من البسكويت دون أن يضغطن عليه ليتكلّم. وحالما يجد الحلّ لمعضلته فسينزل مجدداً إليها منفرج الأسارير، سعيداً وقادراً على الحديث معهنّ من جديد.

حلّ المشاكل بوساطة التصورّ الفراغي

إن الجلوس على الصخرة العالية وحيداً، له عدة تظاهرات في حياتنا حالياً منها قراءة الجريدة أو المجلة، ممارسة لعبة السكواش[1] أو الغولف أو التنس، الذهاب لصيد السمك، القيام بتصليحات مختلفة ومشاهدة التلفزيون. فعندما يكون الرجل منزعجاً او واقعاً تحت ضغطٍ ما، يدعو رجلاً آخر ليلعب معه الغولف حيث لا يضطر عندها إلا لإلقاء بضع كلمات. وهنا يستخدم المنطقة الدماغية نفسها المسؤولة عن التصورّ الفراغي، وهي مقدّم نصف الدماغ الأيمن، فيبحث عن حلول لمشاكله في الوقت نفسه الذي يلعب به الغولف، ويبدو أن تفعيل خاصية التعرّف على المكان، تسرّع، في الوقت نفسه، عملية حل المشاكل.

لماذا يغيّر الرجال قنوات الرائي صعوداً ونزولاً

إن الرجل الذي يلعب بجهاز التحكّم Remotecontrol، يحرك عند النساء ردّة فعل شبيهة بردّة فعل الثور على القماش الأحمر، اذ يجلس الرجل مقابل التلفزيون دون حراك مستعرضاً القنوات الواحدة تلو الأخرى دونما هدف ودون الاستقرار على برنامج محدد. وهنا يمكن لنا أن نتخيله مسكوناً بجنّي الصخرة العالية ولا يدرك، على الأغلب، ماذا ترسل تلك القنوات، وانما يحاول ان يفهم ما يحدث بشكل عام قبل أن يقلب إلى القناة التالية؛ وأثناء تلك الحركة يمكن ان ينسى مشاكله الشخصية ويستطيع أن يبحث عن حلولٍ لمشاكل الآخرين.

أما المرأة فهي ترغب بمشاهدة برنامج معين، ومتابعه أحداثه واستيضاح علاقات ومشاعر الممثلين فيما بينهم... والشيء نفسه يتكرر فيما يخص هوى الرجال بقراءة الجرائد، وعلى المرأة هنا أن تفهم أن حاسة السمع، وكذلك الذاكرة، لدى الرجل المستغرق في القراءة تكون معطّلة وبالتالي فمن الصعب التحدث معه في تلك اللحظة.

---

1. لعبة السكواش هي لعبة تشبه لعبة التنس ولكنها تمارَس في غرفةٍ مغلقةٍ. "المترجم"

والأفضل أن يكون هنالك موعد محدد للتكلم معه في موضوعٍ محددٍ يعرف عنه مسبقاً. وذلك أن أسلافه قد أمضوا ملايين السنين جالسين بمفردهم على الصخرة ووجوههم واجمة، تبحث في الأفق عن حلّ لموضوعٍ ما. وهذا الموقف بالنسبة له أيضاً هو شيء طبيعي.

كيف يمكن جرّ الصبيان إلى الكلام

تشكو كافة الأمهات في كل أنحاء العالم من أن أبناءهن الذكور لا يريدون التحدث إليهن بينما تأتي بناتهن من المدرسة وتبدأ بسرد ما حدث معهن من مستجدات، بغض النظر عن مدى أهميتها. وعلى عكس ذلك فإن دماغ الذكر قد بُرمج للقيام بالأعمال، وهذا هو المفتاح لحثّ الصبي على الكلام. لذلك فعلى الأم التي تريد أن تتحدث مع ابنها مطولاً، أن تشاركه القيام بالعمل الذي يقوم به: كأن ترسم معه أو تلعب معه بالكومبيوتر أو أن تذهب معه إلى النادي الرياضي، وفي الوقت نفسه تستطيع أن تحاوره.

لايفضل الصبية، بعكس أمهاتهم، التواصل بالنظر المبالغ به.

وبهذه الطريقة بإمكان الفتى أن يتجنّب التواصل البصري الطويل، رغم أنه سيتوقّف من وقت لآخر عن المحادثة وعن الاستمرار بالعمل الذي يقوم به، ليجيب فجأة على أحد الأسئلة. والغاية الأساسية من كل هذه الطريقة هو حث الصبي على الكلام بالرغم من الصعوبة لديه في القيام بعملين معاً في آنٍ واحدٍ. ويمكن اتباع الطريقة نفسها مع الرجل الناضج، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم محادثته في اللحظات الحرجة، مثلاً عندما يقوم بوصل مصباحٍ كهربائي في مسرى التيار.

عندما يقع الرجل والمرأة تحت الضغط النفسي في آن واحد

عندما يقع الرجال تحت الضغط النفسي يتجهون إلى شرب الكحول بكثرة أو إلى

شنّ الحروب[1] أما النساء فيتجهن إلى أكل الشوكولا وإلى المخازن الكبرى لشراء السلع. فالوقوع تحت الضغط النفسي يجعلهن يقمنَ بالأعمال دونما تفكير، ويجعلهن يثرثرن دون تفكير؛ لذا نجد ان 90 % من نزلاء السجون هم من الرجال، وان 90 % من مرضى العلاج النفسي هم من النساء.

فلو وقع كلاهما تحت الضغط النفسي بآن واحد، وأراد كلٌّ منهما أن يعالج الموضوع على طريقته الخاصة فسنقع في حقل ألغام عاطفي: الرجل يتوقف عن الكلام، والمرأة تتأزم من هذا التصرّف؛ والمرأة تبدأ بالحديث، والرجل لا يعرف كيف يتحمّل ذلك. وتحاول أن تجرّه للكلام عن مشاكله علّه يرتاح، وهو يجد ذلك أسوأ ما يمكن أن يكون لأنه يريد فقط، وفي هذا الوقت بالذات، أن تتركه وحيداً في سلام. وتريد هي، عندما تكون منزعجة، أن تتحدث عن مشاكلها، ويُصاب هو عندها بالإحباط. واذا ما ابتعد إلى صخرته المتوحدة تشعر هي بالرفض منه فتسارع للاتصال بأمها أو أختها أو صديقتها.

عندما يغلق الرجال أنفسهم تماماً

هذا هو أحد أكبر نقاط الاختلاف بين الرجال المتعبين والنساء المتعبات، والقلّة من الطرفين يفهمون ذلك: عندما يكون الرجل منهكاً، يغلق نفسه عن كل العالم معطلاً القسم من دماغه المسؤول عن المشاعر ومغلقاً زر الكلام، ومفعّلاً القسم الآخر المسؤول عن البحث عن حلول.

وهنا يُرعب الرجل المرأة [أي عندما يغلق على نفسه بشكلٍ تام] وتصبح ردّات فعلها كما لو كانت مُهانة أو مُتعرّضة للكذب وسوء المعاملة؛ وبحسب وجهة نظرها تعتقد بأنها جرحته وأنه الآن أعرض عن حبها، فتحاول جرّه إلى الكلام، وهو يرفض من ناحيته ظنّاً منه بأنها لا تثق بمقدرته على حل مشاكله بنفسه. وعندما يرى الرجل أن المرأة مجروحة ومعرضة عنه يعتقد بأنها بحاجة لأن تكون وحيدة، فيحاول الخروج من

---

1. المقصود هنا هو على الأغلب الميل إلى العنف. "المترجم"

المنزل إلى الحانة أو إلى أصدقائه، أو يلهي نفسه بصيانة سيارته.

إذاً عندما ينغلق الرجل على نفسه، يُترك! فكل شيء على ما يرام! أما عندما يحدث ذلك عند المرأة فهناك شيء ما يغلي، وقد آن أوان فتح المناقشة الجادّة.

كيف يثير الرجال ذهول النساء

عندما يشعر الرجل بأنه أحسّ بامرأته منزعجة أو متُعبة أو مهمومة بمشكلة ما، فإنه يتصرّف معها كما لو كانت رجلاً؛ فيترك لها المكان لتتصرّف مع مشكلتها وتكون كلماته: «هل كل شيء على ما يرام، يا عزيزتي؟» ويكون ردّها «كل شيء يأخذ العقل!»، وكأنها بهذه الطريقة غير المباشرة تقول «ان كنت تحبني فعلاً، اسألني الآن عن شعوري». فيقول هو لنفسه «حسناً» ويتركها متوجهاً إلى الكومبيوتر ليكمل عمله. هنا تفكر هي بأن لا قلب له ولا شعور، فتتصل بصديقاتها هاتفياً لتخبرهن عن انزعاجها، وعن مصيبتها مع زوجها.

في سالف العصور لم تكن تواجه الرجل مشكلات كهذه، اذ كان يكفي الرجل أن يذهب إلى عمله ويكسب قوته وقوت عائلته ليعبّر لزوجته عن حبّه لهم. وما زالت أغلبية الرجال تعتبر هذا أمراً بديهياً حتى يومنا هذا؛ ولكن اليد العاملة النسائية أصبحت تُشكل نسبه 50 % في أكثر بلدان العالم اليوم، أي أن الرجل لا يكفي بمفرده لكي يؤمن مصروف عائلته، فبات بحاجة لأن يتقن مهارة الحوار، وهي صفة أبعد ما تكون عن الخاصية الذكرية! ولكن لا تخافوا، فمن الممكن تعلّمها.

لماذا لا يستطيع الرجال التعامل مع النساء العاطفيات

عندما تتوتر المرأة أو تخرج عن سيطرتها على نفسها تبدأ بالبكاء والارتجاف والصراخ دون توقّف، مستخدمةً كلمات عاطفية تصف حالتها النفسية الآن. وتتوقع هي أنها ستُحاط بالرعاية وتواسى ويُنصَت لها. أما الرجل فيفهم هذا السلوك وكأنه صادرٌ عن رجل آخر ويسمع كلماتها على الشكل التالي: «ساعدني، أنقذني، أنا في

ورطة» وبدلاً من طمأنتها ومحاولة تهدئتها، يبدأ بإسداء النصائح وطرح أسئلة صعبة عليها أو يقول لها وإمارات الرعب ترتسم على وجهه: «لا تغضبي، توقفي عن البكاء» - «أنت تبالغين جداً في ردود أفعالك، فالأمور ليست بهذا السوء». وعوضاً عن إحاطتها بالرعاية، كما تفعل الأم، يسلك مسلك الأب الذي ورثه عن أبيه وجدّه، عندما تركوا السكنى على الأشجار ونزلوا إلى الأرض. هي تظهر مشاعرها على هذا الشكل كطريقة تتواصل بها مع الغير، وقد تنفجر بهذه الطريقة بسرعة وتهدأ بسرعة. أما الرجل فيشعر بنفسه مسؤولاً عن إيضاح الأسباب، وسيشعر بالاخفاق إذا لم يستوعب مشكلتها ولم يجد لها حلاً. وفي مثل تلك الحالات يتضايق الرجل أو يغضب قائلاً لها «أوقفي هذه المسرحية»، ويشعر بالخوف أيضاً اذا ما انقضت فترة معينة ولم تكف بعدها المرأة عن البكاء.

الرجال والبكاء

تبكي النساء أكثر من الرجال. وبحسب تاريخ تطوّر الذكور فإنهم نادراً ما يبكون، ولكن بشكل غير علني، ثم تأتي البيئة الاجتماعية وترسّخ ذلك: فمثلاً عندما يقع طفل على الأرض أثناء لعب الكرة ويجرح قدمه، فإنه يجلس على الأرض ويصرخ في البداية، أما فيما بعد فإن مدربّه سيلقيه بنظرة عاتبة منتقداً إياه: «قف فوراً ولا تُرِ الخصم بأنك جريح! تصرّف كرجل».

واليوم، كثيراً ما ينتظر المرء من الرجل العصري أن ينخرط بالبكاء في كل مكان وزمان؛ ويشجع المعالجون النفسيون والمرشدون الاجتماعيون الرجال على البكاء ويدعونهم للذهاب إلى الغابة والجلوس حول النار معانقين بعضهم بعضاً. وكثيراً ما يُنتقَد الرجل اليوم بأنه بارد عاطفياً أو مريض بشكلٍ أو بآخر لأنه لا ينشر عواطفه على الملأ. ولا ننسى بأن دماغ الأنثى قادر على دمج المشاعر مع الوظائف الدماغية الأخرى، بحيث يمكننا أن نرى امرأة تبكي وتصبح عاطفية في ظروف شديدة الاختلاف والتباين.

كثيرٌ من الرجال يبكون، ولكن فقط عندما تُفعَّل منطقة الإحساس لديهم الموجودة في نصف الدماغ الأيمن.

وبالمناسبة، كثيرٌ من الرجال يبكون ولكن فقط عندما تُفعَّل منطقة الأحاسيس عندهم الموجودة في نصف الدماغ الأيمن وبعيداً عن الملأ ما أمكن. فاذا ما صادفتم رجلاً يتصرفّ غير ذلك، احذروا منه. أما النساء فلديهن خلايا استقبالية حسّاسة تتفوّق في تلقي المعلومات التفصيلية وفي التعبير عن المشاعر: فمن الممكن أن نرى امرأة تبكي عندما تتعرض للإهانة، اذ أن الإهانة تندرج لديها تحت زمرة المواضيع العاطفية؛ أما الرجل فيعتبر الإهانة أمراً عابراً، وقد لا يدرك حتى حصولها.

الخروج من المنزل للنزهة

إن الذهاب إلى المطعم يشكلّ بالنسبة للمرأة فرصة لتوطيد العلاقات الاجتماعية ومناقشة الأمور أو مساندة للصديقات. أما بالنسبة للرجل فهو أمرٌ عمليٌ يتعلّق بتحضير الطعام: فلا شراء، ولا طبخ، ولا جلي للأواني.

وعندما تتقابل النساء بعضهن مع بعض على الطعام، يتخاطبن فيما بينهن بأسمائهن الأولى، كأن يقلن "باربرا" "روبن" "ليزا" "فيونا" في محاولة لجعل العلاقات حميمية. أما الرجال فيتحفّظون على توطيد العلاقات، وبدلاً من أن يخاطبوا "راي" و"آلان" و"مايك" و "بيل" بأسمائهم فإنهم ينعتونهم بصفات مثل: أيها "الوغد" و "الأخرق" و "الأجدب" و "البويجي". وإذا ذهب الرجال أو النساء الى حانة لتناول كأس من الشراب ويأتي أوان دفع الفاتورة، تحسب كل امرأة قيمة ما طلبته، أما الرجال فيتنافسون في الدفع لكي يضع كلٌ منهم نفسه تحت دائرة الضوء، ويتظاهرون بمظهر اللامبالي بما يعود به النادل من القطع النقدية الكبيرة.

الذهاب إلى التسوّق - سعادة لها وعذاب له

إن التسوّق يشبه عند النساء الكلام، فليس من الضروري أن يكون له سبب معيّن أو مناسبة خاصة أو هدف محدّد، فهو مسلٍّ ومريح للأعصاب وقد يمتد لساعات وساعات دون أن يكون الشراء هو الهدف أو دون الخروج بنتيجة منه.

هذه التسلية عند المرأة تؤدي، بعد عشرين دقيقة على الأكثر، عند الرجل إلى ماسٍ كهربائي في دماغه. ولكي يصبح التسوّق لديه مقبولاً يجب أن يكون له هدف أو معنى أو إطار زمني محدد، فهو صياد بالأساس وعليه أن يقضي على فريسته بأسرع وقت ممكن ويقفل عائداً إلى منزله.

> أغلب الرجال يفقدون السيطرة على أنفسهم بعد مضي عشرين دقيقة على التسوّق مع امرأة.

عندما يرافق رجلٌ امرأةً إلى مخزن الألبسة النسائية، يصاب بالإحباط عندما تبدأ بتجربة الملابس الواحد تلو الآخر سائلة رأيه في كل قطعة تجرّبها، ثم مغادرةً المخزن في النهاية دون أن تشتري شيئاً. إن تجريب الأثواب يتفق تماماً مع تركيبها الدماغي اذ يوجد فيه منفذٌ واسعٌ للأحاسيس والمشاعر، ويعكس كل ثوب تجرّبه حالة مزاجية خاصة.

أما الألبسة الرجالية فهي تعكس مرة أخرى تركيبة الرجل الدماغية، فالألبسة محافظة وبعيدة عن المفاجأة ولها وظيفة معينة. واذا ما صادفنا رجلاً أنيقاً فعلينا أن ندرك بسهولة أنه مرتبط بامرأة تشرف على ملبسه، أو انه شاذ جنسياً.

فالقلة القليلة من الرجال لديهم ذوق في اختيار الألوان والرسوم والقصّات والمتوافقات من الملابس، ونصادف رجلاً من أصل كل ثمانية لديه عمى ألوان بالنسبة للأحمر أو الأزرق أو الأخضر. ومن السهل كشف الرجل العازب بمجرّد النظر إلى ملابسه. ولكي يستطيع المرء كسب رجل إلى جولة في السوق، عليه أن يحدّد له مواصفات واضحة لما يراد شراؤه (كاللون، والحجم، والشكل، والماركة) ولمكان التبضّع

والمدة التقريبية التي ستلزم لذلك. وهكذا، أيتها المرأة، عندما تضعين أهدافاً محددة لجولتك في السوق، مهما كانت مختلفة، ستتعجبين من الحماس الذي سيظهره لك الرجل في مرافقتك للشراء.

كيف يمكن للرجل أن يقدم للمرأة اطراءً صادقاً

عندما تجرّب المرأة ثوباً جديداً وتسأله «كيف تجد هذا الثوب عليّ؟» يكون جوابه غالباً «حسناً» أو «همم». وإجابة كهذه لن تلقى استحساناً لديها، إذ عليه أن يتبع الطريقة الأنثوية في التعليق والتي تعتمد على ذكر التفاصيل.

> بعض الرجال يجدون من الصعوبة بمكان الإجابة بالتفصيل على سؤالٍ ما، ولكنهم لو ضغطوا على أنفسهم وفعلوا ذلك فانهم سيلقون استحساناً قوياً عند غالبية النساء.

فمثلاً لو كان الجواب «أواه! انه اختيار رائع! استديري من فضلك لأرى ثوبك من الخلف - أو أن هذا اللون يناسبك بشكل هائل! - ان هذه القصّة تظهر قوامك إظهاراً رائعاً، وهذا القِرط يتناسب مع هذا الثوب بشكل مميّز - إن مظهرك يخلب الألباب!» فَستقع غالبية النساء في غرام رجلٍ يجيب بتلك الطريقة.

الفصل السابع

الخليط الكيماوي



«هل فهمتكِ بشكل دقيق يا سيدة "غودفين" ؟ لقد قلتِ إنك كنت تحت تأثير الـ PMS عندما حذّرتِ زوجك ، وهددته بتفجير دماغه إذا ما استمر بتقليب القنوات في التلفزيون بوساطة جهاز التحكّم عن بعد؟ إيه ، وماذا كانت ردّة فعله ؟ »

دعا "بيتر" "باولا" للعشاء في المطعم وكانا متمتعين كثيراً بقضاء وقتهما. في ذلك المطعم، وقبل سنة كاملة كانا قد تفاهما على تتويج علاقتهما بالعيش معاً. وبعد مضي عام على ذلك، وبينما هما راجعان إلى منزلهما من السينما سألت "باولا": «كيف تريد أن يكون احتفالنا بمرور عامٍ على تعارفنا؟»، أجاب "بيتر": «يمكن أن نطلب "بيتزا" على الهاتف ونشاهد معاً مباراة الغولف في التلفزيون». صمتت "باولا". شعر "بيتر" بأن شيئاً ما ليس على ما يرام فقال: «اذا كنت لا تحبين "البيتزا" ممكن ان نطلب وجبة من المطعم الصيني». فأجابت "باولا": «حسن» ولم يَعد يُسمع لها أي صوت. ويفكر "بيتر": «لقد مضى عام على قرارنا العيش معاً؛ نعم لقد كان هذا في كانون الثاني الماضي وعندئذ اشتريت السيارة أيضاً. وهذا يعني أنه آن أوان تجديد ميكانيك السيارة الآن. لقد قال لي الميكانيكي بأنه سيصلح اللمبة المعطّلة بجانب المقود... وحتى الآن لا يعمل مبدّل السرعات في السيارة كما يجب!». وفي هذه الأثناء كانت "باولا" تفكر: «إنه لا يقيم وزناً لعلاقتنا ما دام أنه في احتفال سنتنا الأولى يفضل أن يشاهد مباراة على التلفزيون ويأكل "بيتزا" في المنزل ولم يبقَ بعد إلا أن يدعو أصدقاءه أيضاً! كنت أحلم بعشاء رومانسي على ضوء الشموع مع قليل من الرقص وبمحادثة، ولو قصيرة، عن مستقبل علاقتنا. إن علاقتنا ليست بالأهمية نفسها عنده، كما هي بالنسبة لي. ربما يشعر هو بأنه مقيّد؟ أنا أريده أن يكون أكثر جدية بشأن علاقتنا ولكن هو يشعر وكأني قد ضيّقت عليه الحصار. لو فكّرت الآن قليلاً ربما سأتمنّى أن أكون حرّة كي أستطيع أن أقضي وقتاً أطول مع صديقاتي. وأعتقد بأنني أحتاج إلى وقت أطول كي أفكّر جدياً بمستقبل هذه العلاقة... أعني، إلى أين سيقودنا هذا على صعيد الواقع؟ هل سنستمر هكذا أم سنتزوج في وقتٍ من الأوقات؟ هل أريد أن أقضي بقيه عمري معه؟».

ويفكر "بيتر" مجدداً باللمبة المعطلة ويتخيّلها أمامه فيقطّب جبينه «لقد وعدني أولئك الأغبياء في ورشة تصليح السيارات بأنهم سيهتمون بأمر اللمبة! إن وقت انتهاء الكفالة قد اقترب!».

وتراقبه "باولا" وتفكرّ : «آه ... إنه يقطّب جبينه! إنه غير سعيد! أراهن بأنه يراني بدينة ويفضل أن يكون مظهري أفضل. أنا أعرف بأنني أتبرّج زيادة عن اللزوم ولا أمارس الرياضة بشكل كافٍ. إنه يتحدث دوماً عن أنه من المفروض أن أرافق صديقتي "كاري" إلى مركز اللياقة البدنية حتى أصبح رشيقة مثلها. لقد تحدثت حول هذا الموضوع مع صديقاتي ولكنهن أجبنني بأنه على "بيتر" أن يحبني كما أنا ولا يحاول تغييري ... قد يكون اعتقادهن في محلّه!».

في هذه الأثناء كانت أفكار "بيتر" بعيدة أميالاً كثيرة عن أفكارها : «سأُري هؤلاء الميكانيكيين من منا سيكون الأصدق في النهاية؛ سأُفهمهم بصراحة بأنهم ...».

ومازالت "باولا" تراقب وجه بيتر : «إنه منفعلٌ حقاً ... أرى ذلك في وجهه وأحسه تماماً. قد أكون أنا المخطئة ... ربما يريدني أن أتحملّ المسؤولية بشكل أكبر، اذ أنه يُحس بأن مشاعري تجاهه غير مستقرة ... نعم! لابد أن هذا حاله!، لذلك فهو لا يتحدث معي ... إنه لا يريد أن يتحدث معي بشأن مشاعري تجاهه خوفاً من أن أعْرِضَ عنه. إنني أرى في عينيه أنه مجروح».

في الوقت نفسه كان بيتر يفكر «من الآن فصاعداً لن أمكنّهم مني بهذه السهولة. لقد أخبرتهم عن الأعطال في السيارة وهم يرمون بالمسؤولية على المصنع. ولو حاولوا الآن التبجح والقول بأن الكفالة لا تغطي تلك النواقص، فسأعرف كيف أتصرّف معهم! لقد دفعت ثروة لشراء هذه السيارة، فكيف لا يستطيعون ...»

«بيتر؟»

«نعم؟» قالها بيتر وهو متفاجئ من المقاطعة.

«لاتعذّب نفسك هكذا!، أنا أعرف أنه من المفروض عليّ أن ... ولكن ... آه، أشعر بأنني متضايقة جداً، ربما أحتاج فقط لبعض الوقت ... أقصد بأن الحياة ببساطة معقدة وقصيرة و ...».

«هذا أكيد» قال بيتر وهو يضغط على شفتيه.

«ستعتبرني الآن طفلة ...»

«طبعاً لا، لكن لماذا ؟»، اضطرب "بيتر" وأصبح لا يعرف ماذا يفعل.

«الموضوع هو... فقط... آه، أنا أيضاً لا أعرف... أنا مضطربة... أعتقد بأنني بحاجة لقليل من الوقت كي أستوضح الأمور»

فكر "بيتر" : «عن ماذا تتحدث يا ترى بحق الشيطان ؟ سأقول لها ببساطة «نعم» وغداً ستنسى كل الموضوع، ربما أتى موعد دورتها الشهرية من جديد...»

«شكراً "بيتر" ... قد لا يكون لديك فكرة كم يعني لي هذا». قالت قولها هذا وهي تنظر في عينيه وتفكر بالمزايا الخاصة التي يتمتع بها هذا الانسان وبأنه عليها حقاً أن تعيد النظر بموضوع استمرار علاقتهما.

لم يغمض لها جفن طوال تلك الليلة. وفي الصباح هاتفت صديقتها «كاري» لتبحث معها مشكلتها، وقررتا الذهاب لتناول الغداء معاً. وفي تلك الأثناء عاد "بيتر" إلى المنزل، تناول علبة "بيرة" وجلس أمام جهاز التلفزيون. إنه يشعر بوجود مشكلة لدى "باولا" ويعزوها كلّها إلى دورتها الشهرية.

وفي اليوم التالي، التقت "باولا" مع "كاري" مرة أخرى وتحادثتا حتى ساعة متأخرة من الليل. وبعد عدة أيام التقى "بيتر" بـ"مارك"، وهو صديق "كاري"، فسأله مارك: «هل انتهت علاقتك مع "باولا"، كما سمعت؟». وهنا صُعِق "بيتر" وأجابه مذهولاً «لا أعرف عمّ تتحدث». واستطرد قائلاً لـ"مارك" : هل من الممكن أن تلقي نظرة على هذه اللمبة التي تشير إلى نقص الزيّت في السيارة، وتقول لي ما رأيك ؟ ...».

كيف تسيطر الهورمونات علينا

لقد عُرِف في الماضي الدور الذي تلعبه الهورمونات في بناء أجسامنا، وليس عقولنا. أما اليوم، فنعرف أن الهورمونات تلعب دورها في برمجة دماغنا، حتى في فترة ما قبل الولادة، وتؤثر في تفكيرنا وسلوكنا. فمستوى هرمون التستوستيرون في الدم يكون لدى الذكور في سن المراهقة أعلى بـ 15-20 مرة من مستواه لدى الفتيات

من السن نفسها. وتضبَط كمية الهورمون اللازمة لحاجة أجسام هؤلاء الفتيان من قبل الدماغ. ففي سن المراهقة يُغرق جسم الفتى بالتستوسترون مما يؤهلّه للنمو ويمدّه بنسبة إضافية من الدهون تبلغ 15 مقابل 45 لبياض البيض. وهنا تتغيّر ملامح وجهه ويختلف جسمه ليصبح مسايراً لأصله البيولوجي (أي ليصبح كآلة الصيد الرفيعة ومفتولة العضلات). وهنا تصبح أجسام الفتيان مناسبة للرياضة تحت تأثير الهورمونات، ويتحسّن نموذج التنفس لديهم ليمدّ الكريات بنسبة إضافية من الأوكسجين، فيصبح الجري والقفز والمصارعة أموراً سهلة. ويكون هرمون الستيروئيد Steroide مسؤولاً عن بنية العضلات مما يمنح لاعبي القوى اللياقة المطلوبة (لياقة الصياد). لذلك يجب عدم مقارنة لياقة اللاعبين الذين يتناولون الستيروئيدات مع الذين لا يتعاطونه بشكل أضافي.

أما الهورمون الأنثوي فيلعب دوراً مختلفاً في أجسام البنات المراهقات، إذ يفُرز إلى دم الفتاة على شكل دفعات متتالية تأخذ دورتها الكاملة على مدى 28 يوم، ولا يتم الغمر الهورموني بشكل متواصل كما هو لدى الفتيان الذكور. وبهذه الفترة تصاب الفتاة بتقلبات عاطفية قوية صعوداً وهبوطاً تبعاً لمستوى الهورمونات في دمها. ويعطي الهورمون الأنثوي جسم الأنثى نسبة من الدهون تبلغ 26 مقابل 20 لبياض البيض (الشيء الذي يؤرق النساء حتى الآن). وتشكّل احتياطياً للمرأة تستخدمه في حال نقص الغذاء المفاجىء أو الحاجة الإضافية للحريرات كما أثناء الارضاع. ونظراً لتفعيل الهورمون الأنثوي لتخزين الدهون، يُستخدم هذا الهورمون في تدجين الحيوانات، بينما ينُقص بالمقابل الهورمون الذكري الدهون ويزيد نموّ العضلات.

الكيمياء الحيوية للوقوع في الحب

عندما يلتقي المرء بشريك [أو بشريكة] أحلامه، تتسارع ضربات قلبه ويتعرق كفّاه ويرتعش جسمه ويشعر بشيء يغلي في أحشائه. وعندما يذهبان معاً لتناول الطعام

خارج المنزل يشعران بأنهما في سابع سماء، ثم تأتي القبلة العجائبية التي تجعل النفوس تلين كما الزبدة تحت أشعة الشمس. وفي الأيام التالية لا يشعران بحاجتهما للطعام كثيراً وفي الوقت نفسه تكون أجسامهما صحيحة كما لم تكن أبداً من قبل. ويُدهشان من الزوال السحري لنزلة البرد التي أصيبا بها.

وقد أظهرت الأبحاث على الجملة العصبية أن ظاهرة «الوقوع في الحب» هي عبارة عن مجموعة من التفاعلات الكيمياوية التي تحصل في الدماغ، والتي تُحدث بدورها ردود أفعال نفسية وجسدية. إن شبكة الاتصالات في الدماغ تتألف من مليارات من النورونات[1] التي تفرز ما يسمى بالبيبتيدات العصبية[2]، وهي عبارة عن سلاسل من الحموض الأمينية الموزعة على كامل الجسم، تذهب لترتبط بمستقبلات[3] مخصصة لها موجودة في الجملة العصبية، وهي التي تؤدي بدورها لظهور ردود الأفعال العاطفية؛ وقد اكتُشف من هذه السلاسل الأمينية حتى الآن ستون نوعاً.

هذه النتائج توصّل إليها فريق العمل الطبي التابع للمعهد القومي للصحة في الولايات المتحدة باشراف «كانديس بيرت Candice Pert».

وبكلمة أخرى، إن جميع أحاسيسنا من حب وهمّ وسعادة ما هي إلاّ مجموعة من التفاعلات الكيمياوية الحيوية. ونذكر هنا العالم البريطاني «فرنسيس كريك Francis Grick» الذي حصل مع زملائه على جائزة نوبل للطب، لقاء فكّه لشيفرة الحمض الريبي النووي DNA المرتبطة بالمورثات. وقد أذهل العالَم بمقولته «أنتم مع جميع ما تشعرون به من حزن وسعادة، تذكر وطموح، إرادة وحب حصيلة لمجموعة من تفاعلات الخلايا العصبية، التي تعمل إما بالتآزر بعضها مع بعض أو ضد بعضها بعضاً».

---

1. النورون يعني الخلية العصبية Neurone. "المراجعة"
2. Neuropeptide أو البيتيدات العصبية هي سلسلة من الحموض الأمينية المفرَزَة من الخلايا العصبية. "المراجعة"
3. Rezeptoren المستقبلات العصبية. "المراجعة"

إن المادة الكيمياوية المسؤولة بالأساس عن المشاعر الجسدية (غير الجنسية) المرتبطة بالوقوع في الحب تدعى PEA فينيل ايتيلامين Phenylethylamine وهي مادة شبيهة بالأمفيتامين Amphetamine، وموجودة كذلك في الشوكولا، تجعل القلب يخفق والأيدي تتعرّق وحدقات العين تتوسّع والجسم كلّه يرتعش.

كذلك هناك مادة الأدرينالين[1] التي تزيد في تسرّع القلب وتحفّز الجسم مساعدةً إياه على الشعور بالنشوة. بالوقت نفسه تُنتج مادة الإندورفين[2] التي تقوّي مناعة الجسم وتساعده على مقاومة نزلات البرد.

وعندما تتحد الشفاه يقوم الدماغ بتحليل كيماوي واسع للعاب الآخر، ويستخلص نتائج فيما يخصّ التوافق الجيني للتزاوج، ويقوم الدماغ الأنثوي بشكل إضافي بتحديد الحالة المناعية للذكر. هذه التفاعلات الكيمياوية الايجابية تشرح لماذا يكون المحبّون موفوري الصحة أكثر من غير الواقعين في الحب. فالوقوع في الحب كقاعدة مفيد للصحة.

كيمياء الهورمونات

يعطي الهورمون الأنثوي «الاستروجين estrogen» للمرأة شعوراً عاماً بالرضى والارتياح، الشيء الذي يلعب دوراً كبيراً في تأديتها لوظيفة «راعية العش». ويحقن نزلاء السجون أحياناً بهذا الهورمون من أجل السيطرة على سلوكهم العدواني. ومن جهة أخرى يقوّي الاستروجين الذاكرة عند النساء، وهذا ما يفسّر ضعف الذاكرة لديهن عند بلوغهنّ سن اليأس، اذ ينخفض لديهن المستوى الهورموني، وتتحسّن ذاكرتهن بشكل ملحوظ عندما يتناولن معالجة هرمونية تعويضية.

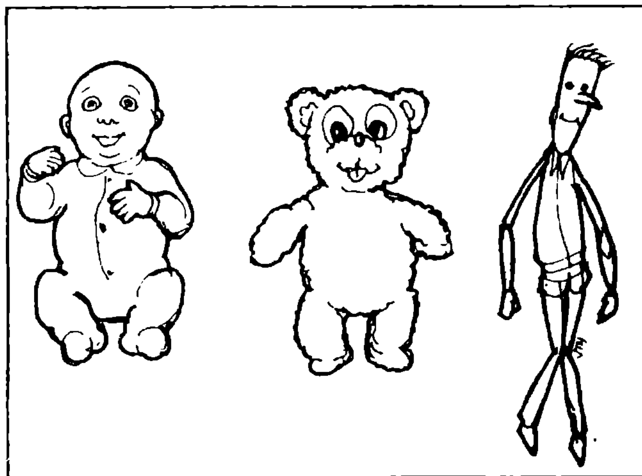
---

1. الأدرنالين Adrenalin: مادة كيمياوية تفرز من لب غدة الكظر عند حدوث اي انفعال. "المراجعة"

2. الاندورفين Endorphins: هو بولي ببتيد داخلي المنشأ يفرز في الجملة العصبية ويساعد على تسكين الألم والشعور بالنشوة. فعله مشابه لفعل المورفين. "المراجعة"

أما المسؤول عن بثّ مشاعر الأمومة لدى المرأة فهو هورمون «البروجسترون Progesterone»، وهو يساعدها على انجاز مهمتها كأم بنجاح. هذا الهورمون يُفرز لدى المرأة، ليس فقط عند رؤيتها لرضيع وإنما أيضاً عندما ترى أو تلامس جسماً له نسب جسم الرضيع نفسها. فللرضيع مثلاً أطراف علوية وسفلية سمينة نسبياً وجسم مدوّر ورأس كبير، نسبةً إلى باقي حجم الجسم، وعيون كبيرة. هذه «البنية» تحرّض على إفراز البروجسترون، فحتى اللعب القماشية المحشوة التي تمتلك تلك المقاييس لها التأثير نفسه في المرأة. لهذا نرى النساء يقبِلنَ على شراء اللعب كالدببة والقطط وتلك التي يمكن معانقتها أكثر من اللعب المتطاولة والمتمفصلة والصلبة. وكثيراً ما نلاحظ بنات ونساء يضممن الدببة ويصحنَ متنهدات «آه... ما أظرفه!». في هذا الوقت بالذات يفرز البروجسترون في أجسامهنّ (كما أصبحنا نعرف الآن).

ولا يستطيع أكثر الرجال فهم رد فعل المرأة المبالغ به تجاه لعبة محشوة غالية الثمن، لأن ليس لهورمون البروجسترون أي دور لديهم. وقد يكون لهذا الهورمون دورٌ في اختيار النساء، ذوات المشاعر الأمومية المتميّزة، لأزواج ذوي أجسادٍ سمينة وخدود مدوّرة.



لعبة خشبية متمفصلة   لعبة محشوة (دب)   رضيع

لاحظوا معنا الرسوم الثلاثة أعلاه. إن الشكلين اليساريين يُحرضان على إفراز البروجسترون عند المرأة بمجرد النظر إليهما بعكس الشكل اليميني.

الخصوبة الواضحة عند الشقراوات

يُفسَّر انجذاب الرجل إلى الشقراوات بكون الشعر الأشقر علامة فارقة لوجود مستوى عالٍ من الاستروجين في دمائهن، وبالتالي بكونه إشارة إلى خصوبة أعلى. وهناك مقولة شعبية تقول: «الشقراوات غبيات»، يمكن تفسيرها بأن الشقراوات يكون لديهنّ أنوثة أكبر من ناحية، ولكن تفكير رياضي ومنطقي أضعف من ناحية أخرى. وقد أثبتت التجارب بأن الأمهات اللواتي عولجن أثناء حملهن بالهورمون الذكري قد أنجبن إناثاً تفوقّن دراسياً بالمواد العلمية وحصلنَ على فرص أكبر في مسابقات الانتساب للجامعة فيما بعد؛ لكن من جهة أخرى اتّصفنَ بأنوثة أقل، وغالباً ما كانت أجسادهن مشعّرة بشكل ملحوظ.

وعندما تنجب امرأة شقراء يزداد لون شعرها قتامة بسبب انخفاض مستوى هرمون الاستروجين عندها في فترة الحمل، ويصبح هذا ملحوظاً أكثر في الحمل الثاني. وهذا الهبوط في مستوى الاستروجين هو الذي يفسّر عدم وجود شقراوات (إلا القليلات) حافظنَ على لون شعرهنّ الطبيعي بعد سن الثلاثين.

أعراض الدورة الشهرية[1] PMS والغريزة الجنسية

إن الأعراض المحيطة بالدورة الشهرية تجلب للمرأة العصرية مصاعب حقيقية. فقد كان أسلافها غير مكترثات لتلك الأعراض، وحتى فترة قصيرة مضت، لأنهن كنّ

---

1. Premenstrual syndrome PMS «تناذر ما قبل الدورة الشهرية» وهو التعبير العلمي، ويقصد به الظواهر المرافقة للدورة الشهرية، وهي عبارة عن دورة هرمونية تمتد لمدة شهر (4 أسابيع) من تاريخ مشاهدة دم الطمث الى مشاهدته مرة أخرى. "المراجعة"

حبالى طوال أغلب فترة خصوبتهن، أي أنهن كنّ لا يعانينَ من مشكلات الدورة الشهرية إلا بحدود 10 إلى 20 مرة وَسطياً خلال سن نشاطهن الجنسي كلّه، مقابل 12 مرة في السنة في أيامنا هذه.

فإذا كانت المرأة المعاصرة تنجب بمعدل 2-4 طفلاً في حياتها، فهذا يعني أنها ستعاني من أعراض الدورة الشهرية من 350 إلى 400 مرة طيلة سن النشاط التناسلي لديها الذي يمتد من سن الثانية عشرة وحتى سن الخمسين. وقد يرتفع عدد الدورات الشهرية حتى الـ 500 لدى النساء اللواتي لم ينجبن أطفالاً.

قبل زمن استخدام الحبوب المانعة للحمل، أي في حوالي الخمسينيات من القرن العشرين، لم تكن التغييرات المزاجية المرافقة للدورة الشهرية ملحوظة لدى النساء. ففي الأيام الحادية والعشرين[1] الأولى من بداية الدورة يرتفع مستوى الاستروجين في جسم المرأة مما يخلق لديها شعوراً بالانشراح، ويجعل موقفها من الحياة ايجابياً، وتزداد لديها الرغبة الجنسية، وخاصة بين يومي 14-21 من الدورة، حيث تكون في هذه الفترة إمكانية الاخصاب في أوجها، وفي هذه الفترة أيضاً يكون مستوى التستوسترون، أو الهرمون الذكري، في أعلى مستوياته.

ان الطبيعة ذكية إذ جعلت لكل الإناث، من أجناس مختلفة، جدولاً زمنياً لأجسادهن يجعل الرغبة الجنسية لديهن تزداد في فترة الإخصاب (اي الفترة التي تكون فيها البويضة جاهزة للالقاح). لنأخذ مثالاً على ذلك عائلة الخيول: فالفرس تعاكس الحصان وتهيجه ولكنها لا تدعه يلقحها إلا في الفترة التي تكون فيها البويضة بوضعها الأمثل للإلقاح. وغالبية النساء لا يَعين أن لديهن جدولاً شبيهاً بالمذكور آنفاً وردود أفعال يحكمها هذا الجدول.

ولذلك قد يحصل أن تجد امرأة نفسها في سرير رجل تعرفت إليه قبل بضع ساعات في إحدى الحفلات، وتستغرب في اليوم التالي تماماً ما حدث معها بالأمس. « لا

---

1 . تُحسب الأيام بالنسبة للدورة الشهرية بدءاً من أول يوم لرؤية الدم. "المراجعة"

أعرف ماذا انتابني؟»، «لقد تعرفتُ عليه في إحدى الحفلات، وقبل ان أعي ما حصل معي وجدت نفسي معه في السرير!»، «لم يحصل هذا معي من قبل أبداً!». مثل هذه الحادثة نراها تتكرر مع إناثٍ أخريات مرّ الذكر أمامهنّ مصادفة تماماً في الفترة التي كانت فيها إمكانية إخصابهن في ذروتها. ما يحصل هنا هو أن دماغ الأنثى يقوم، ومن حيث لا تدري، بفك رموز البناء المورثي لهذا الذكر وبتقييم حالته المناعية ومعايير أخرى. وعندما يصل دماغها بالنتيجة إلى أن هذا الرجل يقع ضمن المجال المقبول لأن يكون أباً محتملاً، تسارع الطبيعة لاتخاذ القرار بمعزل عن إرادة المرأة.

والنساء اللواتي مررن بمثل هذه التجربة لم يَعين َهنّ أنفسهنّ معنى ما حصل معهن، وعَزَوْنه إما «للنصيب» أو لجاذبية وسحر الرجل بدلاً من أن يعترفن بأن هرموناتهنّ هي التي كانت تدير دفة القيادة. وكنتيجة لما حدث نرى الكثيرات ملتصقات بالذكَر إياه، ولو اعتقدن بعد ذلك بأنه ليس الشريك المناسب لهن.

وسيسعى الرجال دائماً وأبداً جاهدين لمعرفة متى تكون المرأة في نقطة الذروة من المنحنى الهورموني لديها!

أيام قاتمة في حياة المرأة

بين حوالي اليوم 21-28 من بداية الدورة الشهرية، ينخفض مستوى الهورمون الأنثوي بشكل حاد وتبدأ أعراض الدورة الشهرية PMS بالظهور. وهنا تصاب المرأة بأعراض، كالحزن والإحباط والاكتئاب قد تصل لحدّ الميل إلى الانتحار. كما يكون التأثير الهورموني لدى 25 % من النساء قوياً إلى الحد الذي يجعلهن يظهرن، في تلك الفترة، وكأنهن شخصيات مختلفة. وقد أثبتت البحوث أن المجرمات من النساء يقمن بأعمال العنف والسرقة في تلك الفترة بالذات (اي بين اليوم 21-28 من الدورة الشهرية) وبنسبة 50 % على الأقل من السجينات تحت تأثير أعراض الدورة الشهرية. وأن عدد النساء اللواتي يترددن على المعالجين النفسيين أو المرشدين الاجتماعيين يزيد بشكل

دراماتيكي في تلك الفترة، اذ يشعرن بفقدانهن السيطرة على أنفسهن بشكل قد يبلغ بهن مرحلة الجنون. وهناك دراسات تستند على الاحصائيات تفيد بأن النساء في فترة الـ PMS يتورّطن في حوادث السير وحوادث سقوط الطائرات بنسبة تبلغ أربعة إلى خمسة أمثالها في الأيام الأخرى. إذاً، وفي رحلة طيرانكم القادمة، غيّروا وسيلة نقلكم فوراً واستقلّوا قطاراً أو سيارة اذا ما صادفتم قبطانة طائرة سيئة المزاج!.

تُستخدم الهورمونات الأنثوية، منذ زمنٍ بعيد، لتهدئة الأشخاص العدوانيين. كما أن أعراض الدورة الشهرية تؤخذ، في بعض الدول، بعين الاعتبار كسبب مخفف للأحكام لدى القضاة اذا ما تعلّق الأمر بجرائم عنف اقترفتها النساء.

أما عندما تقترب المرأة من سن اليأس، الذي يقع لديها ما بين سن الـ40 والـ50 فإنها تدخل تجربة قاسية تتعرض فيها لسلسلة من التغيرات الهورمونية والنفسية والعاطفية تختلف بنتائجها بين امرأة وأخرى.

ماهو الفرق بين المهرّج ورجل في سن اليأس؟ المهرّج يَعرف بأنه يلبس ثياباً مضحكة...

أما سن اليأس عند الرجال فهو حدث معروف مسبقاً اذ يحدث طبقاً لنموذج ثابت: يبدأ الرجل بشراء نظارات رياضية لنفسه وقفازات جلدية لقيادة السيارة ودراجة نارية او سيارة رياضية حمراء اللون ويزرع شعر رأسه؛ بمعنى آخر يشتري الرجل ألبسة يبدو فيها، بكل بساطة، مدعاةً للسخرية.

هرمون التستوسترون نعمة أم نقمة؟

إن الهورمونات الذكرية، وخصوصاً التستوسترون، هي التي حرضّت الرجل منذ القدم على الإقدام والذهاب إلى الصيد وقتل الطريدة ودفع هجوم الأعداء؛ فهو أساسي لبقاء الجنس البشري. والتستوسترون مسؤول كذلك عن نمو الشعر وتساقطه، وعن غلاظة صوت الرجل وعن حُسن القدرة البصرية المكانية المتميّزة عنده.

وقد ثبت أن مغنّي الباريتون[1] يمارس الجنس أسبوعياً أكثر بمرتين من مغني «التينور»، وأن الأشخاص الذين يُعالجون بالتستوسترون لا يجدون صعوبة في قراءة الخرائط ومخططات الشوارع. ومن المثير للاهتمام اكتشاف العلاقة الطردية بين الهورمون الذكري ومرض الربو واليساريين (أي الذين يستخدمون يدهم اليسرى)، وقد أصبح الآن معروفاً وجود علاقة عكسية بين مستوى التستوسترون في الدم وكثرة التدخين وشرب الكحول لدى الرجال، [بمعنى آخر يصبح الهورمون الذكري عند الرجال الذين يدخنون بكثرة ويتناولون الكحول بنهم أقل مستوىً].

من جهة أخرى فان الرجل المعاصر، الذي بات لا يستطيع تفريغ طاقته العدوانية جسدياً كما كان يفعل أسلافه، أصبح خطراً على المجتمع. وقد لوحظ أن الذكور ما بين سن الثانية عشرة والسابعة عشرة، والذين تكون أجسامهم مغمورة بالتستوسترون، يشكلون بؤرة أساسية للاجرام. وعندما يُحقن رجل ذو شخصية سلبية بالهورمون الذكري، يصبح أكثر ايجابية ويبدو أكثر ثقة بنفسه؛ اما المرأة فإذا ما حُقنت بالهورمون نفسه وبالكمية نفسها فإنها تزداد عدوانيةً ولكن لا يظهر تأثيره عليها بالقدر نفسه الذي يبدو عند الرجل لأن دماغ الذكر مبرمج بشكل خاص على التأثر بهرمون التستوسترون أما الدماغ الأنثوي فلا، وذلك تثبته التفاعلات الكيمياوية، وأما السبب في ذلك فغير معروف تماماً. وفي كل الأحوال للتستوسترون علاقة بالمقدرات البصرية المكانية عند الذكور.

على النساء أن يَحذرن الرجال اليساريين والصلع والمحاسبين المُلتحين وذوي الصوت العريض، وكذلك الذين يتقنون قراءة مخططات الشوارع ويعطسون.

وعندما يبلغ الرجال عمراً يتراوح بين الخمسين والستين ينخفض مستوى

1. الباريتون هو الصوت الرجولي المنخفض. وهو يقع في الموسيقى الكلاسيكية الاوروبية بين مجالي التينور (الرجولي المرتفع) والباص (الرجولي الأكثر انخفاضاً). «المترجم»

التستوسترون لديهم فيصبحون أقل عدوانية وأكثر اجتماعية وعطفاً. أما لدى النساء فيحصل العكس: اذ ينخفض لديهن مستوى الأستروجين في الدم بعد سن اليأس، وتزداد نسبة التستوسترون فيصبحن أكثر تحدياً وأكثر ثقةً بالنفس؛ ومن جهة أخرى يصبحن أكثر عرضةً للوقوع تحت الضغط النفسي وأكثر تعرّضاً للأزمات القلبية ويظهر الشعر على وجوههن.

«الصحون الطائرة»

لم تكن «باربرا بيز Barbara pease» تعلم بأن حبوب منع الحمل التي وصفها لها الطبيب مؤخراً تحتوي على كمية كبيرة من التستوسترون. أما زوجها "آلان" فقد تعلّم سريعاً كيف يحمي نفسه من الصحون الطائرة والأشياء الأخرى الحائمة في الهواء عندما كانت "باربرا" تمر في فترة الدورة الشهرية، وكذلك جدّد مهارته الطفولية في الجري لمسافات قصيرة. ومن المثير للاهتمام أن مواهبها - المتواضعة - في صفّ السيارة تحسنّت كثيراً ولم تَعُد مجالاً للنقاش. وأخيراً أظهر فحص الدم لديها المستوى الزائد للتستوسترون، فاستُبدلت تلك الحبوب بأخرى خالية من هذا الهورمون. وبعد شهر واحد فقط اختفت عملياً كل تقلباتها المزاجية ولكن "آلان" بدأ يشعر بأنه يعيش مع موظفة مكتبة تهيء نفسها للدخول في سلك الرهبنة... ومرة ثالثة استُبدل هذا النوع من الحبوب المانعة للحمل بآخر جعل مستوى التستوسترون لديها في المعدّل المتوسط الذي جعل حياتهما الزوجية تعود ايجابيةً كما كانت عليه سابقاً، وحافظا بالوقت نفسه على مقتنياتهما من الأواني المنزلية.

ظاهرة العنف عند الرجال

يُعتبر التستوسترون هرمون النجاح والقدرة على التحمّل والمنافسة. ولكن عندما يقع في المكان غير المناسب (الخصيات غير المناسبة) يجعل من هؤلاء الذكور قنابل موقوتة. ويلاحظ الأهل غالباً الرغبة الغريبة التي يمتلكها أبناؤهم الذكور تجاه أفلام

العنف، وكيف يحتفظون في ذاكرتهم المشاهد العنيفة بأدق تفاصيلها ويستطيعون استحضارها في اي وقت. أما البنات فلا يعرن مثل تلك الأفلام اهتماماً.

وقد أظهرت دراسة أجريت في جامعة سيدني بأستراليا بأن 44 % من الذكور يحاولون حل مشاكلهم عن طريق استعمال العنف كلامياً أو جسدياً - كمشادّة في باحة المدرسة على سبيل المثال - وأن 78 % من البنات يتجنبنَ المواجهة ويحاولنَ تهدئة الأوضاع باستخدام الحديث. كما أن نسبة السائقين الذكور الذين يستعملون زماميرهم لإرهاب الآخرين هي 72 % من مجمل سائقي السيارات. وأن في 96 % من عمليات السطو يكون الفاعل ذكراً وفي 88 % من جرائم القتل. وعملياً فإن جميع حالات الانحراف الجنسي[1] تقع على عاتق الذكر؛ وقد أظهرت الأبحاث أن دماء النساء المنحرفات جنسياً يكون غنياً بهورمون التستوسترون أيضاً. إن العدوانية لدى الذكور هي بالأساس سبب التفوق الذكري في جنسنا البشري. فنحن لا نربّي الصبيان على العنف وإنما نحاول أن نبعدهم عنه، إذ أن العدوانية صفة ذكرية لا علاقة لها بظروف البيئة الاجتماعية.

وقد أشارت الأبحاث على الرياضيين إلى أن مستوى التستوسترون في دمائهم يكون أعلى في نهاية المباراة منه في بدايتها، مما يشير بوضوح الى أن روح المنافسة تُصعِّد العدوانية. وهناك عادة لدى الفرق الرياضية النيوزيلاندية، وهي أنهم يرقصون قبل بدء المباريات رقصة الحرب المعروفة لدى السكان الأصليين (الماوري) برقصة «الهاكا». ويراد من ذلك تحقيق هدفين: أولهما إخافة الخصم وثانيهما رفع مستوى التستوسترون في دم الرياضيين. ونصادف مشجعين محترفين في كثير من الرياضات، مهمتهم رفع مستوى الهورمون الذكري لدى اللاعبين والجمهور على حد سواء. وقد أظهرت الأبحاث أن وجود مثل هؤلاء المشجعين الخبراء زاد نسبة أعمال العنف بين جمهور المشاهدين.

---

1. المقصود هو «العدوانية» حصراً. (المترجم)

قام البروفسور «جيمس دابس James Dabbs» من جامعة جورجيا بالولايات المتحدة بتحليل عيّنات من لعاب الكثير من الرجال وضمن مجالات مختلفة: من رياضيين ومديري شركات ورجال دين ومساجين، فلاحظ أن لدى المتميزين في كل مجال على حدة نسبة أعلى من التستوسترون في دمائهم من المتوسطين، وان رجال الدين يمتلكون المستوى الأدنى من الهورمون الذكري، وان قلة فاعليتهم في الحياة الجنسية ومجالات السيطرة تشير إلى ذلك. كما وجد أن نسبة التستوسترون لدى النساء اللواتي يصعدن سلّم النجاح الوظيفي، كالمحاميات ورئيسات المبيعات مثلاً، تكون أعلى منها عند بقية النساء. إضافة إلى ذلك وصل إلى نتيجة أن التستوسترون يساعد على تحقيق النجاح الوظيفي من جهة، وأن هذا النجاح يفعّل إفرازه من جهة أخرى.

وفي عالم الحيوان قمنا بمراقبة تصرّفات الحيوانات في الغابات من افريقية وحتى جزيرة بورنيو[1] وهذا ما كان العلماء يقومون بدراسته منذ القدم، فاكتشفنا أن السلطة الهرمية للذكور تزداد طرداً مع مستوى التستوسترون لديهم. فمستوى هذا الهرمون عند بعض الأنواع الحيوانية، كالضباع مثلاً، يكون عالياً بالأساس بحيث أن صغارهم يولدون بأسنان مكتملة، ويتصفون بعدوانية عالية، بحيث يمزّق بعضهم بعضاً في كثير من الأحيان.

في عالم الحيوان تسيطر الكائنات ذات مستوى التستوسترون العالي.

وينطبق ذكر ما سبق على الكلاب والقطط والخيول والماعز والحمير وكذلك على عالم الانسان. وعلينا ان نسلّم بأن الشخصيات القيادية من النساء عبر التاريخ مثل «مارغريت تاتشر» و «جان دارك» و «غولدا مائير»[2] قد تعرّضت في الفترة الواقعة ما

1. جزيرة مستقلة في اندونيسيا. "المترجم"

2. لا يعتبر ذلك تقييماً لأعمال "غولدا مائير" و "مارغريت تاتشر" إنما هو إشارة إلى بروزهما كشخصيات قيادية. "المترجم"

بين الأسبوع السادس والثامن من الحياة الرحمية لتأثير هرموني ذكري قوي.

ويؤثر التستوسترون غير المستهلَك سلباً على الصحة مع مرور الوقت. ومنذ فترة قصيرة تحدثت الأخبار في الولايات المتحدة الاميريكية عن تجربة امتدت على مدى ثلاثين عاماً، أجريت على رجال ذوي مستوى عالٍ من الهرمون الذكري في أجسامهم ودُعي الاختبار «Minnesotta Mutiphasic Personality Inventory»[1] وقد تم المسح على 118 ذكراً، كانوا في بداية التجربة طلاباً في كلية الحقوق، تمت مراقبتهم واختبار تصرفّاتهم على مدى الثلاثين عاماً فلوحظ أن الأشخاص الذين كانوا عدوانيين بدرجة كبيرة زاد لديهم خطر الموت خلال هذه الفترة إلى أربعة أمثال. لذلك، فمن الحكمة تشجيع الاطفال الذكور منذ صغرهم أن يمارسوا الرياضة طيلة حياتهم وبشكل منتظم.

التستوسترون ومهارة التصورّ الفراغي

ربما وصلتم الآن بأنفسكم إلى النتيجة القائلة بأن ميزة التقدير البصري، المعتُبرة صفة ذكرية، لابد أنها مرتبطة بشكل أو بآخر بمستوى التستوسترون في الدم. وقد تعرّفنا في الفصل الثالث على الدور الرئيسي الذي يلعبه هذا الهورمون في تكوين المضغة الذكرية وفي وضع البرامج اللازمة لكي تنمو مهارة التصورّ المكاني الضرورية لعملية المطاردة والصيد. وبناء عليه فكلما كانت كمية التستوسترون في الجسم أعلى، كان تجاوب الدماغ أكثر ذكورة. فذكور الجرذان التي حقُنت بالهرمون الذكري بشكل إضافي أصبحت تجد طريقها في المتاهات أسرع من أقرانها، أما الإناث المحقونة به فقد تحسنّت لديها قدرة التعرّف على المكان (مع ملاحظة أن أثر الهورمونات الذكرية

---

1 . مسح للشخصيات متعددة الاطوار: وهو يتم من خلال استمارة فيها اسئلة تدور حول الشخصية، يطبّق على الأشخاص الطبيعيين والمرضى العقليين. ويتم بوساطة هذا الاختبار تحديد بناء الشخصية وخصائص الطباع. "المراجعة"

في الإناث ليس بنفس الفاعلية التي تظهر لدى الذكور)، ولدى الجنسين ازدادت العدوانية طرداً بإضافة الهرمونات الذكرية.

وفي الاختبار الذي يهدف لتحديد نسبة الذكورة والأنوثة في الدماغ، يحصّل الرجال ذوو المستوى العالي للتستوسترون ما بين [−50 و +50] نقطة ويمتازون بقدرتهم على قراءة الخرائط والتعرّف على المكان بشكل أسهل وبإتقانهم لألعاب الكومبيوتر وإصابة الهدف. وتنمو ذقونهم بشكل أسرع ويحبون ألعاب القنص والصيد ككرة القدم والبيليياردو، ويهتمون بسباق السيارات ويصفونّ سياراتهم بسرعة وبثقة. والتستوسترون كذلك هو الذي يعززّ المثابرة ويبعدالتعب؛ وقد أثبتت التجارب أن حقنه يؤثر ايجابياً في التحمّل عند القيام بأعمال متعبة كالسير في الغابات وسباق الجري الطويل، كما يساعد على التركيز لفترة أطول.

ومن المدهش أن الفتيات الشاذات جنسياً يتمتعن بكثير من الصفات المذكورة أعلاه. وقد بينّت «سوزان رزنيك Susan Resnik» من معهد بحوث المعمرين بالولايات المتحدة، أن الإناث اللواتي تلقيّن جرعات فوق الطبيعية من الهرمون الذكري أثناء حياتهن الرحمية، تفوقّن في قدرات التصورّ الفراغي والجلَد الخ ... عن زميلاتهن العاديّات.

لماذا تكره النساء صفّ السيارة

يقمع هرمون الاستروجين المهارات المكانية البصرية بعكس التستوستيرون؛ وبما أن النساء يمتلكن كميات زهيدة من الأخير، تكون مهاراتهن الفراغية ضعيفة. وكلّما كان توجه الدماغ نحو الأنوثة أكثر كانت هذه المهارة أضعف. لذلك نرى النساء بالغات الأنوثة غير ماهرات في صف السيارات ومتواضعات في قراءة الخرائط. ونذكر في هذا السياق النساء المصابات بتناذر «تورنر» (وهو عبارة عن تشوّه صبغي تكون فيه خلايا الأنثى ذات صيغة صبغية XO بدلاً من أن تكون XX، بمعنى أن لديها صبغي X واحد فقط) اللواتي يتصفن بسلوك أنثوي صارخ، لا يستطعن التعرّف إلى المكان

وبالكاد لديهن المهارة البصرية المكانية. لذلك انتبهوا!، ولا تعيروا سياراتكم تحت أي ظرف لفتاة لديها تناذر «تورنر Turner»[1]...

اما مستوى التستوسترون لدى الرجال الصينيين فيكون أقل منه عند الرجال البيض، الشيء الذي يفسّر قلّة نمو اللحى لديهم وندرة إصابتهم بالصلع. ومقارنة مع أقرانهم السود والبيض، نجد القلّة منهم محكومين بتهم العنف والعدوانية والاغتصاب، ويصفّون سياراتهم بشكل أسوأ من أقرانهم المذكورين، ولا يُفسَّر ذلك إلا بالمستوى الأخفض للهورمون الذكري لديهم.

علم الرياضيات والهورمونات

يحلّ الفتيان مسائلهم الرياضية بمساعدة مقدمة نصف الدماغ الأيمن لديهم. أما عند الفتيات فمركز التفكير المنطقي عندهن يقع في نصفي الدماغ الأيمن والأيسر على السواء، لذلك فقد أظهرت الاختبارات أن الفتيات يفعّلن نصف الدماغ الأيسر المسؤول عن الكلام عندما يردن حل المسائل الرياضية. وهذا هو السبب المنطقي للعد بصوت مرتفع عندهن ولتفوقهن في المحصلة على الفتيان بالعمليات الحسابية الأربع. وكذلك نذكر هنا موهبتهن في التعاون والالتزام بالدراسة التي تجعلهن متفوقات على الذكور بالحساب واختبارات الرياضيات.

ان دماغ الأنثى يتطور أسرع من دماغ الرجل، الشيء الذي يوضح جزئياً تعلّم البنات للحساب أسرع وأفضل من الصبية. ولكن بلوغ سن المراهقة يشكل حداً فاصلاً لبدء الفتيان بتجاوز الفتيات فيما يخص التفكير الرياضي، وهذا تأثير لا لبس فيه لهورمون التستوسترون. ونذكر هنا الابحاث التي أجرتها جامعة «هوبكنز Hopkins» في بوسطن بالولايات المتحدة على الصبيان والبنات من الموهوبين والموهوبات بين سنّي الحادية عشرة والثالثة عشرة قد أثبتت أن نتائج الفتيان أصبحت أفضل من نتائج

---

1. تناذر: مصطلح طبي عربي يشير إلى وجود عدة تظاهرات لمرض واحد. "المراجعة"

الفتيات بازدياد المسائل الرياضية صعوبة. ففي حل المسائل الصعبة كانت النسبة 2/ 1 نسبة الذكور للإناث؛ وفي المسائل ذات الصعوبة الأعلى كانت النسبة 4/ 1؛ أما في المسائل ذات الصعوبة العظمى فكانت النسبة 13/ 1.

كما وجدت الدكتورة «دورين كيمورا Doreen Kimura» الباحثة الكندية المختصة في مجال الاكتشافات الدماغية، أن المهارة الرياضية لدى الرجل لا تزيد بنسبة مثل إلى مثلين بتزايد نسبة التستوسترون في دمه بمقدار المثل أو المثلين. وهذا يعني أن هناك تركيزاً مثالياً لهذا الهورمون في الدم يحقق النتيجة القصوى، وغالباً ما يقع هذا المستوى في الدرجات تحت المتوسطة والمتوسطة... وبكلمة أخرى ليس من المفروض أن يمتلك غوريلا «كينغ كونغ» مقدرات ذهنية رياضية أكبر من رجل لحيته غير كثيفة. ومن المثير للدهشة ما نراه من نتائج الجرعة الإضافية من التستوسترون [أثناء الحياة الرحمية] المؤدية إلى تحسين الاداء الذهني الرياضي عند الأنثى مقارنة بالذكر، اذ تكون النساء اللواتي ينمو الشعر فوق شفتهن العليا مهندسات أقدر من زميلاتهن اللواتي يشبهن لعبة الباربي. وفي الخريف تكون مهارة الرجال في قراءة الخرائط على أفضل وجه نظراً لبلوغ التستوسترون في هذا الوقت بالذات مستواه الأعظمي.

ونلاحظ أن الأنظمة الدراسية تساند الرجال بشكل أو بآخر فيما يخص اختبارات الرياضيات لأن أداء الإناث في فترة الدورة الشهرية ينخفض بنسبة 14 % عن زميلاتهن اللواتي تجاوزن هذه الفترة كما بيّنت الدراسات. وبما أنه ليس للذكور توقيت بيولوجي نرى أنه من العدل أخذ ذلك بعين الاعتبار بالنسبة للإناث واختيار أوقات الفحوص الشفوية مثلاً عندما يكنّ في حالتهن الأفضل.

الرجل العصري والصيد

إن الرياضة في عصرنا هذا هي بديل الصيد عند الرجل، حيث تطوّرت غالبية الفعاليات الرياضية بعد عام 1800، أي بحلول القرن التاسع عشر. قبل هذا التاريخ

كان جزء كبير من سكان الأرض مازال معتمداً على الصيد بغرض توفير الغذاء أو الترفيه. وبحلول الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر، وما تبعها من تقنيات غذائية متطورة، لم يعد للصيد والقضاء على الحيوانات الصالحة للأكل ضرورة حياتية. وفجأة وجد الرجل نفسه متوقفاً عن وظيفة الصيد الذي بُرمج عليها لآلاف من السنين مضت، فكان الردّ على ذلك هو الرياضة التي ظهر 90 % من أنواعها في الفترة الواقعة بين الـ 1800 والـ 1900 أكملتها بعض أنواع الرياضيات التي ظهرت في القرن العشرين.

ونؤكد هنا أن لغالبية الألعاب الرياضية قاعدة تعتمد على الجري والقنص وإصابة الأهداف، مما يشكلّ مجالاً للأشخاص ذوي التستوسترون الاضافي، لتفريغ طاقاتهم. ونذكر هنا بأن الدراسات بينّت أن الفتيان الذين يمارسون الرياضة يظهرون ميولاً خفيفة للإجرام او لممارسة العنف، ومن جهة أخرى فإن الرجال المحكومين بجرائم لم يزاولوا الرياضة مطلقاً في حياتهم أو فيما ندر، أي أن الطاقات التي لا تُفرَّغ في الملاعب يمكن أن تجد تصريفاً لها في سلوك غير اجتماعي. هذا ويكاد يكون النمط العدواني لقيادة السيارات على الاتوسترادات والطرق السريعة مقتصراً على الرجال الذين يحولّون حاجتهم للتنافس إلى فسحات الشوارع؛ فإن وُجدت امرأة بالقرب منهم في الوقت نفسه والمكان نفسه سيكون حظها سيئاً. وقبل ان تنضموا إلى نادٍ رياضي، عليكم أن تبحثوا ملياً في أهداف هذا النادي ودوره وتطلّعاته وكيفية إدارته. فإن كان أعضاؤه يرون الرياضة من زاويتها العضلية [التنافسية] فقط ويعطون للجسم الدور الأوحد، ننصحكم بالتوجه إلى نادي صيد السمك والامتناع عن الاستمرار في كونكم عبيداً للبيولوجيا! . وهناك عدد كاف من المؤسسات الرياضية المهتمة باليوغا او بأنواع المصارعة على سبيل المثال، والتي تُعنى بتهيئة الجسم لممارسة نمط حياتي صحي وبتعليم الطرق التي يصل فيها المرء إلى الاسترخاء والتعرّف على قيم تصلح لأن يضعها نصب عينيه. لذلك ننصحكم بألا ترتادوا النوادي التي تمجّد الانتصار كغاية للرياضة.

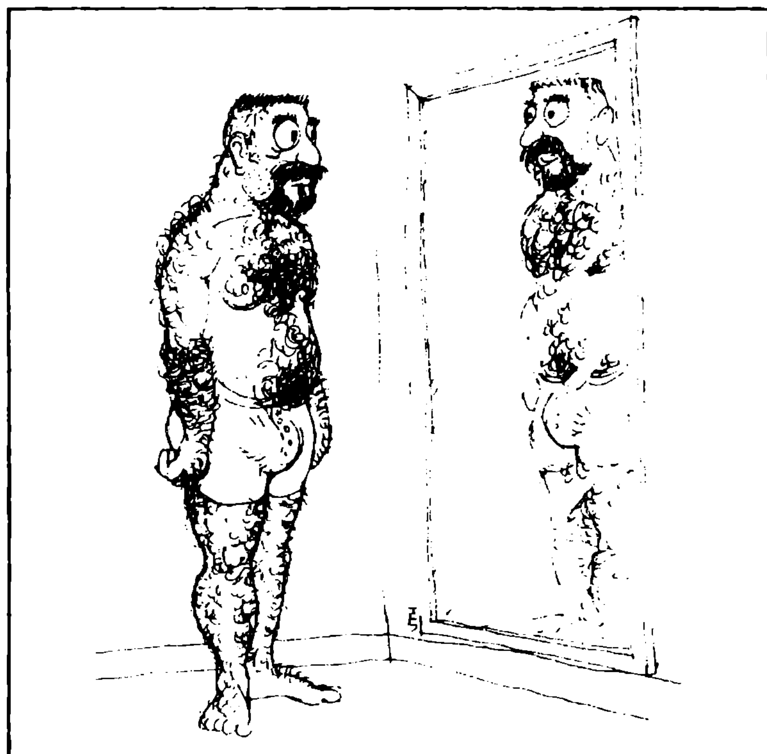
لماذا يصبح للرجال كروش وللنساء أرداف

إن الطبيعة تتدخّل بتوزيع الشحوم الإضافية بشكل تتكون فيه هذه الشحوم بعيدةً عن أجهزة الجسم الحساسة قدر الامكان، لكي تبقى هذه الأجهزة قادرة على القيام بوظائفها على أكمل وجه.

وهكذا نجد أن الدهون لا تتواجد أبداً في الدماغ والقلب والجهاز التناسلي وما حولهم، أو تتواجد بندرة. وعند النساء نجد جهازاً آخر مهماً للحياة: هو المبيض، لذلك لا تتجمع الدهون في بطون النساء المؤهّلات للإنجاب وفي المناطق المحيطة بها. أما الرجال فهم لا يملكون مبايض، فتتشكل لديهم «كروش» تختزن الشحوم الزائدة التي قد تصبح ظهورهم أيضاً أوكاراً لها. ولا يمتلكون أفخاذاً سمينة إلا نادراً نظراً لإعاقتها للجري وبالتالي للصيد بينما يتخزن الدهن الزائد لدى المرأة في الأفخاذ والمؤخرة وأعلى السواعد ويكون مصدراً للطاقة أثناء مرحلة الإرضاع. ولو كان للرجال مبايض لكنّا شاهدنا عندهم أفخاذاً ممتلئة وبطوناً مسطّحة. ونلاحظ لدى النساء اللواتي استؤصل لديهنّ الرحم أو المبيضان، تجمّع الدهون لديهن في منطقة البطن.

الفصل الثامن

الذكور يبقون ذكوراً - أم ماذا؟



«... وفي أحد الأيام بعد حصة البيولوجيا، فهم "إليوت" أخيراً ما توقعّه أقرانه في المدرسة منذ زمن بعيد: ان مستوى التستوسترون عنده لم يكن طبيعياً!»

ما الذي يجعل الرجل رجلاً والمرأة امرأة؟ هل يستطيع المرء فعلاً أن يختار مثلية الجنس Monosexual أو ثنائية الجنس Heterosexual ؟ وكيف يمكن لجسد ذكري أن يمتلك دماغاً أنثوياً وبالعكس؟ وهل يصبح المرء كما هو عليه (شاذاً أو عادياً) لأن أمه كانت عدوانية، أو لأن أباه كان يعمل ليلاً وذا طبع قاسٍ جامد الأحاسيس، أو لأنه كان مغرَماً بمعلمته في الصف الثالث الابتدائي؟. هل يكون كما هو عليه لأن له أخاً أو أختاً أكبر منه، أو لأنه نشأ في بيئة فقيرة أو لأنه يتيم، أو لأن عائلته لم تكن مترابطة متماسكة، أو لأن برجه هو برج الأسد مع تأثرٍ ببرج العقرب، أو أن روحه متقمَّصة من قبل روح قطة مثلاً؟

في هذا البحث سنحاول إلقاء الضوء على ما يحدث عندما تتلقى المضغة البشرية أثناء الحياة الرحمية كمية قليلة أو كمية كبيرة من الهورمونات الذكرية.

الشاذون جنسياً، رجالاً ونساء، والمخنثون[1]

لقد أظهرت الأبحاث أن التركيب الأساسي لدماغ المضغة البشرية هو أنثوي في البداية. وهذا يبدو لنا من امتلاك الذكور لبعض المظاهر الأنثوية النموذجية، كحلمتي الثدي غير الوظيفيتين ولغدد ثديية لا تعمل ولكن بإمكانها انتاج الحليب نظرياً. وقد سُجلت آلاف الحالات من افراز الحليب عند المساجين الذين يكون كبدهم قاصراً عن استقلاب وتخريب الهورمون المسبب لافراز الحليب، وذلك بسبب نقص تغذيتهم. وكما مرّ معنا سابقاً فإن المضغة الذكرية XY تستقبل ما بين الأسبوعين السادس والثامن من الحياة الرحمية كمية كبيرة من الأندروجين Androgen (أو طليعة الهورمون الذكري) يُصار بفعلها تكوّن الخصيتين؛ ثم يتعدّل الدماغ الأنثوي إلى دماغ ذكري بفعل جرعة ثانية من الهورمون الذكري، تعيد برمجته.

---

1. يقصد بالمخنّث الرجل الذي يبدو ظاهرياً كامرأة ويتصرّف كامرأة. وبحسب تعبير المؤلفَين هو جسد رجل مع دماغ امرأة كامل التكوين. "المترجم"

وعندما تأتي اللحظة الحرجة ولا يصل إلى المضغة الذكرية هورمونات ذكرية نكون أمام حالتين : إما أن يولد ذكرٌ ذو تركيب دماغي أقرب منه إلى الانثى من الذكر ، أو بكلمة آخرى ذكراً سيصبح على الغالب ، بعد سن البلوغ ، رجلاً شاذاً جنسياً . أو يولد ذكرٌ ذو أعضاء تناسلية ذكرية ودماغ أنثوي بشكل كامل ، وهذا سيتطوّر فيما بعد إلى إنسانٍ مخنث ؛ أي أنه سيكون إنساناً ينتمي بيولوجياً إلى جنس الرجال وذهنياً وسلوكياً إلى جنس الإناث . وفقط أحياناً ، تنمو المضغة من الناحية المورثية إلى ذكر يمتلك أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية في آن واحد[1] .

وقد وصفت عالمة الوراثة "آن موار Anne Moir" في كتابها الثوري «الجنس في الدماغ Brainsex» حالات ذكور من الناحية الجينية ، ولكنهم ظهروا عند ولادتهم بمظهر الإناث وعوملوا كبنات ، وعندما وصلوا إلى سن البلوغ بدأ يظهر لهم عضو ذكري وخصيتان . هذه الحالات الغريبة ظهرت في جمهورية الدومينيكان ، مما دعا إلى مراقبتها وإجراء دراسات على أهالي أولئك الأطفال الذين ذكروا فيها كيف عاملوا «بناتهم» على أنهم إناث في تربيتهن وماتلاها من نماذج سائدة في السلوك ، كلبس أثواب نسائية واللعب بالدمى ، وكيف تلقوا صدمة قوية عندما جلب سن البلوغ لبناتهم دفعة كبيرة من الهورمون الذكري وبدأت تظهر لهن أعضاء تناسلية ذكرية وأخذن هيئة رجل خارجية وبدأن يتقمّصن نماذج السلوك المعهودة للذكور . وهكذا نرى أن هذا الانقلاب قد جرى بالرغم من الشروط الاجتماعية غير المؤاتية وبالرغم من ضغط المحيط الذي مرّن أولئك الأطفال على سلوك نمط أنثوي .

وكخلاصة ، فإن استمرار أغلبية تلك البنات بحياتهن المستقبلية كرجال طبيعيين ، لهو برهان واضح على أن تأثير التربية والبيئة الاجتماعية عليهن كان زهيداً ، وكانت البيولوجيا هي الحد الفاصل في تقرير لمن ستكون الغلبة السلوكية : للأنثى أم للذكر .

---

1 . تدعى هذه الحالة باللغة العربية «مولود خنثى» . "المراجعة"

الشذوذ الجنسي هو جزء من تاريخ البشر

لم يكن الشذوذ الجنسي الذكري لدى قدماء الإغريق مسموحاً فقط بل ومرموقاً. وكانت صورة الجمال المثلى لديهم فتىً نضراً ممشوق القوام، خلّدت في رسومهم ومنحوتاتهم. وقد كتب شعراؤهم أشعاراً في محبوبيهم الأصغر منهم سناً. وقد اعتقد الاغريق بأن الشذوذ الجنسي عند الرجال يخدم هدفاً نبيلاً وهو تشجيع النشء ليصبحوا أعضاء ذوي قيمة في المجتمع. وقد ذَكر تاريخهم رجالاً يافعين شاذين جنسياً وشجعاناً، أبلوا بلاء حسناً في الحرب وناضلوا مع أحبائهم جنباً إلى جنب مملوئين بالعاطفة.

في العصر الروماني القديم وُصف يوليوس قيصر على أنه «رجل كلّ امرأة وامرأةُ كل رجل»

وعندما بدأت المسيحية بلعن العلاقات مثلية الجنس وأعطت للناس عظةً عن الغضب الالهي بقصة «سادوم[1]»، أصبح الشذوذ الجنسي يمارَس بشكل سرّي وبقي حتى فترة قريبة يُخبأ عن الأعين. وفي انكلترا، أنكر العصر الفيكتوري الشذوذ الجنسي كلياً واعتبره عملاً من الشيطان يستوجب العقاب الشديد. وحتى يومنا هذا، ونحن في مطلع القرن الـ 21، يعتبر غالبية أبناء هذا الجيل أن الشذوذ الجنسي[2] ما هو إلا ظاهرة أو موضة أو حالة مرَضية.

وفي الواقع فإن الشذوذ الجنسي لدى الرجال وُجد منذ أن وُجدت المضغة الذكرية التي لم تتلقَ الكمية الكافية من الهورمون الذكري أثناء الحياة الرحمية، بغض النظر عن الأسباب. وعند الأسلاف الحيوانية، كان السلوك الأحادي الجنس يخدم ترابط

1. المقصود هنا قوم لوط. «المترجم»

2. الشذوذ الجنسي Homosexuality هو العلاقة الجنسية بين فردين من جنس واحد. وهو بلا شك شذوذ عن القاعدة مما يبرّر استمرار استعمال هذا التعبير العربي جنباً إلى جنب مع مصطلح «المثلية الجنسية». «المترجم»

المجموعة، اذ يخضع الحيوان الأضعف للحيوان الأكثر قوة: وهذا ما نراه لدى ذكور البقر والديوك والكلاب. اما الشذوذ الجنسي لدى النساء، ويدعى Lesbianism، فقد وردت تسميته منذ عام 612 ق. م. نسبة إلى جزيرة Lesbios الإغريقية. ومنذ القدم في التاريخ، لم يُنظر إلى الشذوذ الأنثوي نظرة احتقار، كما عومل الشذوذ الذكري عامةً، فقد نُظر إليه على أنه جزء من حياة المرأة الخاصة، بينما اعتُبِرَ الشذوذ الذكري انحرافاً.

هل هذا تكوين بيولوجي أم اختيار شخصي؟

عام 1991 استضاف التلفزيون الانكليزي كاتب هذه السطور «آلان بيز Alain Pease» مؤلف كتاب «لغة الجسد body language» وعالمة الجينات «آن موار Anne Moir» ليعرضا كتابيهما «لغة الكلام» والذي صدر عن دار النشر «Marper Collin» وكتاب «الجنس في الدماغ Brainsex» والذي نشرته دار كتب «Mandarin». وكشفت موار النتائج التي توصلّت إليها بأبحاثها، وهي أن الإنسان لا يختار الشذوذ الجنسي وإنما يكون الشذوذ موجوداً فيه جينياً. ومن جهة يولد الشذوذ غالباً مع الإنسان، ومن جهة أخرى فقد أوضحت أن للبيئة الاجتماعية التي نولد فيها دوراً ضئيلاً في التأثير على السلوك الجنسي وليس كما كان يُعتقد. واكتشف العلماء أن جهود الأهل في قمع الميول الشاذة لدى أطفالهم مراهقين أو بالغين، لا تأتي عملياً بأية نتيجة. وبما أن تأثير الهورمون الجنسي الذكري زيادةً أو نقصاناً على الدماغ يلعب الدور الحاسم في تحديد الشذوذ نرى أن غالبية الشاذين هم من الرجال.

> لا توجد براهين كافية على أن التربية تلعب دوراً في جعل الطفل عندما يكبر شاذاً جنسياً.

ومقابل كل امرأة شاذة «Lesbian» أي جسم امرأة وعقل رجل، هناك من 8 – 10 رجال شاذين. فإذا ما تبنّت حركات الشاذين والشاذات تلك المعلومات الواردة أعلاه،

ودرستها في المدارس كانت حياة الشاذين والشاذات والمخنثين أسهل بكثير، ولكان تقبّل الناس لهم كمصابين بشذوذ جيني أفضل من تقبلّهم لهم كأشخاص اختاروا اختياراً مرفوضاً على الصعيد الاجتماعي. هل يمكن للمرء أن يحكم مسبقاً على الإنسان الأعسر أو على شخص ولد بشعر أحمر أو عيون زرقاء أو على مصاب بالوهن العضلي Legastheniker؟ أو شخص وُلد بدماغ أنثوي وجسد رجل؟ . إن أغلب الشاذين يعتقدون أن شذوذهم هو خيارهم الحر فينظمون أنفسهم في نوادي عامة، مثل الكثير من الأقليات الأخرى، ويستعرضون فيها هذا الخيار مما يجلب لهم ألماً ومتاعب كثيرة ويترك عند كثير من الناس انطباعاً سيئاً.

وترينا الاحصائيات نتائج حزينة: أكثر من 30 % من المراهقين المنتحرين يكونون شاذين، ومخنث من أصل كل ثلاثة ينتحر أيضاً[1]. والدراسة التي أجريت على أولئك المراهقين بيّنت أنهم قد عاشوا وترعرعوا ضمن عائلات ومجتمعات ترفض وتكره الشذوذ الجنسي أو ضمن بيئة دينية اعتبرت أن هؤلاء ضحايا وحاولت انقاذهم بالدعاء أو بالعلاج.

لماذا يعتبر الأب في أغلب الأحيان مذنباً

كثيراً ما يُعدّ الأب مذنباً إذا ما تطوّر الصبي إلى فتى شاذ، حيث يدّعي أفراد العائلة بأن الأب كان يقسو على ابنه أو ينتقده كثيراً كونه لم يمارس في طفولته ومراهقته هوايات كان يُفترض أن يمارسها، أو لأنه لم ينجح في أدائها. ونظرية الأشخاص الذين يضعون اللوم على الأب تقول إن الفتى لابد أنه في وقتٍ ما سيقف في وجه أبيه وسيصبح شاذاً كنوع من التحدي؛ ولكن هذه النظرية تفتقد إلى البرهان، وعلى الأرجح سيكون لهذا الصبي اهتمامات أنثوية أكثر من اهتمامه بلعبة كرة القدم أو سباق الدراجات النارية

1. إذا لم نأخذ فتره المراهقة تحديداً ينتحر مخنّث واحد من أصل كل خمسة مخنّثين كما سنعرف لاحقاً. "المترجم"

والسيارات وأنواع المصارعة. وهنا سيشعر الأب طبعاً بخيبة أمل متواصلة عندما لا يحقق ابنه توقعاته بأن يصبح رجلاً حقيقياً. ورأيُنا نحن هو أن الميول الأنثوية عند الابن هي بالأحرى التي تستفز الأب ليصبح عنده ردود فعل انتقادية مبالَغ بها أو حتى عدوانية، وليس العكس.

كرنفال الشاذين جنسياً في سيدني

إن الحدث الأعظم في العالم الخاص بالشاذين جنسياً هو كرنفال اللواطيين والسحاقيات، الذي يستقطب حوالي المليون شاذ من العالم كلّه ويُعدّ تمجيداً للشذوذ، إذ يشعر الشاذون من خلاله بالفخر لاضطلاعهم بهذا الحدث الضخم حسب رأيهم، وتتابعه ملايين أخرى عبر شاشات التلفزيون، والمشاهدون ليسوا في الحقيقة إلا فضوليين ومتطفلين يتندّرون ملء أفواههم بأخبار هذا العرض المجنون. وقد أُجري استفتاء بين مشاهدي هذه العروض على التلفزيون فكانوا يفيدون بأنهم تسلّوا على حساب أولئك المختلفين وبأنه تأكد لديهم رأي الكثيرين من الناس بالشاذين جنسياً، وهو رأي -توقّعوه مسبقاً- يقول إن الشاذين ما هم إلا مجموعة صغيرة تضم بين جنباتها مهرجين منحرفين ينقصهم العقل. ولو لبسوا في عرضهم هذا عباءات سوداء تغطيهم من الرأس حتى القدم - كما تلبس المسلمات-[1] لما لاقى كرنفالهم هذا الاهتمام، ولما تابعه الكثيرون الذين يتابعون الآن القوافل التي تلبس ثياباً فاقعة الألوان والتي تقطع شوارع سيدني. ولو فعل الناس العاديون الشيء نفسه، لما هبط عدد مشاهديهم فحسب وإنما لقامت الشرطة باعتقالهم لقيامهم بأعمال مُخلّة بالآداب العامة.

ويجب أن يعلم الناس أن الشذوذ عند غالبية اللواطيين والسحاقيات، إن لم يكن عند جميعهم، ولادي، كأن يولد طفل بشعر أحمر أو نمش على الوجه. والحالتان الأخيرتان هما تركيبة جينية تماثل إمكانية حدوثها، إمكانية حصول الشذوذ الجنسي.

---

1. يعرف القارئ العربي أن لباس مئات الملايين من المسلمات ليس واحداً بنوعيته ولونه. «المترجم»

لهذا على الرأي العام أن يقبل الشذوذ، من هذا المنطلق، ويدع للشاذين حرية شعورهم والعيش بكرامتهم، ويعاملهم باحترام أكبر ليجنّبهم الرفض والسخرية. عندئذ ستزول الشقة الكبيرة بين الرأي العام والشواذ التي يسببها الجهل عند الطرفين.

هل يمكن تغيير الميل الجنسي عند الإنسان؟

إن المنحى الجنسي لا يتم اختياره لا عند الشاذين ولا عند العاديين. ويتفق جميع العلماء والباحثين في مجال الجنس أنه لا يمكن تغييره وأنه يتحدد بغالبيته في الحياة الرحمية، وبأن التوجه الجنسي الشاذ في سن الخامسة [1] حقيقة واقعة لا يمكن تغييرها بشكل من الأشكال. وقد حاول الناس عبر مئات السنين ايجاد طرائق مختلفة للضغط على المنحى الشذوذي بهدف تغييره كاستئصال الثديين، استئصال الخصيتين، استئصال الرحم، استئصال الفص الجبهي [2]، المعالجة النفسية واجراء الصدمات الكهربائية، المعالجات الدوائية، وحتى الأدعية والروحانيات وجلسات طرد الشياطين. ولكن كل هذه المحاولات لم تجدِ نفعاً، اللهم إلا في جعل الناس الذين يجمعون بين الميل الجنسي العادي والميل الجنسي الشاذ، أن يتحولّوا، في أحسن الحالات، إلى الميل الأول أو أن بعض الشواذ قد امتنعوا عن ممارسة الجنس إما خوفاً أو شعوراً بالذنب، وكانت نهاية الكثيرين من هؤلاء هي الانتحار.

لقد أثبت العلماء أن الشذوذ الجنسي هو توجه جيني ليس للمرء أي تأثير فيه، وانه ليس طريقة في الحياة يمكن اختيارها.

إن نسبة الأشخاص ذوي المنحى الجنسي العادي تعادل 90 % من معدل البشر ككل. وإذا ما فكر هؤلاء بممارسة المثلية الجنسية فسيشعرون بصعوبة بالغة، لأنه لا

1. سن الخامسة هو منعطف قوي في نمو الانسان. "المترجم"
2. الفص الجبهي: هو الفص الدماغي المسؤول عن مقومات الشخصية. "المراجعة"

يمكن للمرء عملياً أن يتعامل مع مشاعر غير موجودة لديه أصلاً. وإن كانت المثلية الجنسية اختياراً فعلاً، كما يدّعي الكثيرون، فلماذا يختار شخص ذو ذكاء عادي أو متوسط طريقة في الحياة تجلب عليه العدائية والأحكام المسبقة والتمييز في المعاملة (أو الاحتقار)؟. ان الهورمونات هي المسؤولة عن المثلية الجنسية، لا الخيارات الشخصية الواعية.

توأم البويضة الواحدة الشاذ جنسياً

لقد أجريت أبحاث واسعة على توائم البيضة الواحدة، وفُصل التوأمان بعضهما عن بعض ووُضع كل منهما في عائلة مختلفة وفي بيئة اجتماعية مختلفة، بهدف الإجابة عن السؤال التالي: هل تكون صفات الشخصية محكومة بالمورِّثات أم بالبيئة الاجتماعية؟. أظهرت النتائج أن كثيراً من معالم الشخصية يأتي من الوراثة، كالعصاب والتوحّد والاكتئاب وبالعكس، حب السيطرة والظهور المبالغ به والميل لممارسة الرياضة وتوقيت البدء بالممارسة الجنسية. فلو انطلقنا من أن 5 % من الذكور يختارون الشذوذ الجنسي فيجب أن نتوقّع أنه من أصل 100 توأم أحادي البيضة والذين أصبحوا في كبرهم شاذين جنسياً ومنذ ولادتهم فُصل أحدهما عن الآخر، أن تكون نسبتهم أيضاً 5 % إذا كان الكلام حول الأحادية الجنسية اختياراً. ولكن الحقيقة أن فِرق الأبحاث التي تناولت هذا السؤال بالدراسة ونخصّ منها دراسة الدكتور «ريتشارد بيلارد Richard Pillard» من جامعة بوسطن، والمحلل النفسي «مايكل بيلي Machael Bailey» من جامعة شمال اميركا، اللذين تناولا الميل الجنسي عند الأشقاء الذين ينشأون في أسرة واحدة، خلُصت إلى النتائج التالية: إن امكانية تطورّ كلا الأخوين إلى المثلية الجنسية [في حال ظهورها عند واحد منهما] تبلغ:

22 % عند التوأمين من بيضتين مختلفتين

10 % عند الإخوة غير التوائم أو الإخوة بالتبني

52 % عند التوأمين من بويضة واحدة واللذين يحملان المورّثة نفسها.

ومن ناحية أخرى فإن الأبحاث الجماعية التي أجريت على توائم البويضة الواحدة، والذين تم إبعادهم بعضهم عن بعض منذ الولادة، أفادت بأنه لو تطوّر أحد التوأمين إلى الشذوذ الجنسي فإن التوأم الآخر سيتطور أيضاً إلى الشذوذ بنسبة 50 % [بينما كانت النسبة في المثال السابق عند التوائم التي بقيت في كنف أسرة واحدة 52 %]. وهناك نسبة إضافية تبلغ من 10 إلى 20 % محتملة في حالة الأشخاص الذين يرفضون الافصاح عن منحاه الجنسي إما بدافع الخوف أو الخجل، وكان رأي الباحثين هنا بأن هؤلاء الأشخاص يفضلون أن ينظر المجتمع إليهم كناس عاديين أو كأشخاص يجمعون الميلين الجنسيين العادي والشاذ [1]. وهذا يعني بأنه إذا كان أحد التوائم شاذاً فإن نسبة كون شقيقه شاذاً أيضاً تبلغ من 60-70 %، الشيء الذي يؤكد أن الشذوذ الجنسي ينشأ في الحياة الرحمية، وليس للبيئة الاجتماعية تأثيرٌ - أولها تأثير طفيف - في تحديد المنحى الجنسي للفرد.

السبب كامن في المورِّثات

اذا ما انطلقنا من النظرية القائلة بأن الشذوذ ينشأ في الحياة الرحمية، فيجب أن نتوقّع أن يكون الشقيق الذي يحمل مورّثات الشاذ جنسياً نفسها، شاذاً هو الآخر ليس بنسبة 60-70 % وإنما بنسبة مئة بالمئة، فأين ذهبت بقية هذه النسبة؟

للمورّثات خاصية «الفاعلية»، ويُقصد بها إمكانية ظهور العامل الوراثي. فإذا ما تم تفعيل هذا المورّث gene سيصبح عندئذٍ قاهراً. وكمثال على ذلك لنأخذ مرض «داء الرقص لهنتنغتون[2]»: إن وُجدت المورّثة المسؤولة عنه فإن نسبة ظهور المرض لدى حامل هذه المورّثة ستكون 100 %، بخلاف داء السكري فئة آ الذي إن وجدت المورثة

1. Bisexual الناس الذين يجمعون المنحيين الجنسيين العادي والشاذ. "المراجعة"

2. داء الرقص لهنتنغتون Chorea Hentington هو مرض عصبي تنكّسي يصيب النويات القاعدية في الدماغ ويتظاهر بحركات رقصية مستمرة للجسم. "المراجعة"

المسؤولة عنه فستبقى نسبة ظهور الإصابة فيه 30 % فقط . وهذا يعني بصريح العبارة أنه لو حملت توائم البيضة الواحدة مورثتي داء الرقص والسكري آمعاً، فإن احتمال إصابة كلا الشقيقين بالمرض الاول 100 % وبالمرض الثاني 30 % فقط . وان احتمال ظهور الشذوذ الجنسي لدى حاملي مورّثة اللواط تبلّغ 50 إلى 70 % . وهنا الجواب على الاستفسار المذكور أعلاه : لماذا لا يصبح كل التوائم وحيدي البويضة لواطيين ولو حملوا مورّثة الشذوذ؟ إذاً، تبلغ نسبة الذكور الذين يحملون المورّث المذكور 10 % يصبح نصفهم تقريباً شاذاً بحسب خاصية الفاعلية المورثية والبالغه بحدود 50 إلى 70 % .

وتظهر الأبحاث المجراة في المخبر على الجرذان والقردة أن هذه الظاهرة موجودة عند عدة أجناس غير بشرية . وبالرغم من عدم قانونيتها وأخلاقيتها فقد أجريت في روسيا تجارب لتغيير الجنس البشري ونجحت بحسب معلوماتنا .

مورثات الشذوذ الجنسي الذكري

لقد قام العالم «دين هامر Dean Hamer» من المركز القومي للسرطان في الولايات المتحدة الامريكية، بمقارنة سلاسل الـ DNA لأربعين زوجاً من الأخوة اللواطيين فلاحظ ان 33 منهم يمتلكون العلامة الوراثية نفسها على الصبغي X في الموقع X 928 ، وهو المكان الذي يعتبر الموقع المورّثي للشذوذ . وعندما فحص سلاسل الـ DNA لدى 36 زوجاً من الأخوات السحاقيات لم يستطع تحديد المؤشر الوراثي السابق الذكر .

فالنتيجة التي أوصلتنا اليها هذه الدراسة هي أن الشذوذ بغالبيته أمر ذكري ومرتبط بالوراثة بشكلٍ أكيد، وأن احتمال جعل هذه المورثه راجحة يتعلق، وعلى الأغلب، بنقصان كمية هرمون التستوسترون الوارد إلى المضغة البشرية ما بين الأسبوع السادس والثامن بعد الإلقاح . وهناك عوامل أخرى منها البيئة الاجتماعية تلعب دوراً أقل في تفعيل المورّث المذكور وخاصة في السنين الأولى من الحياة، وبحسب القاعدة قبل بلوغ سن الخامسة .

أسَر الشاذين جنسياً

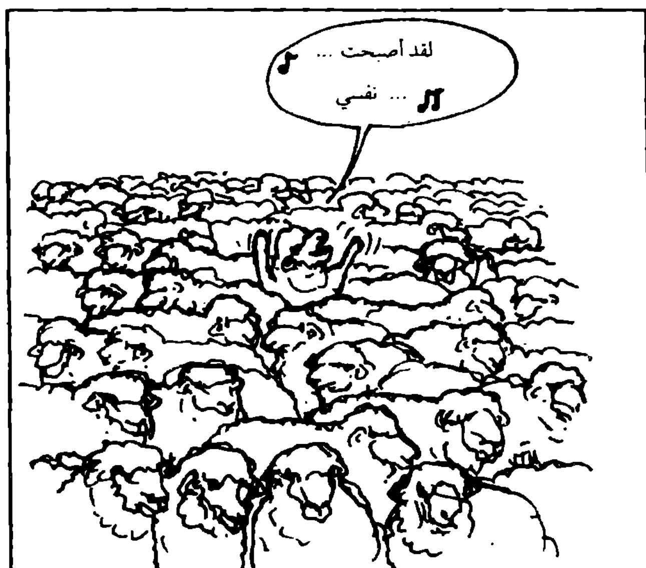
وهناك دراسة أخرى قام بها المركز القومي للسرطان على بعض العائلات التي يظهر لديها الشذوذ الجنسي بشكل كثيف. وفحصت السلاسل الوراثيه لـ 114 ذكراً لواطياً من الأفراد الذكور لتلك الأسر، فتبيّن أن احتمال الشذوذ لدى اخوة وأعمام وأولاد عم أو أهالي هؤلاء الرجال (الـ114 المشمولين بالدراسة) تبلغ 3 أمثال الاحتمال الوسطي؛ وأن غالبية هؤلاء الرجال الشاذين انحدروا من عائلة الأم ونادراً من عائلة الأب. وهذا مؤشر أكيد على أن الشذوذ متعلق بأسباب وراثية، كما أن له مورّثة خاصة به مرتبطة بالصبغي X الذي تحمل منه الأنثى زوجين (والذكر واحد). وهذا يبرهن على أن الشذوذ الذكري أو اللواط يمكن توريثه.

تجارب

تفضّل مختبرات الأبحاث إجراء فحوصها على الجرذان لسببين: الأول لأنها تملك كالإنسان مورّثات وهرمونات وجملة عصبية مركزية، والثاني لأن أدمغتها لا تتطوّر في الحياة الرحمية، كما لدى الإنسان، وانما بعد الولادة، بحيث يمكن للعلماء ان يطّلعوا على مراحل ذلك التطور. فعندما يتم خصي ذكور الجرذان يظنون بأنهم أصبحوا إناثاً ويتبعون سلوكاً اجتماعياً راعياً «للعش». وعندما يتم حقن الإناث بهرمون التستوستيرون عند ولادتهن، يحسبنَ بأنهن ذكور ويصبحنَ عدوانيات ويحاولن امتطاء الإناث الأخريات لإخصابهن. ففي عالم الطيور مثلاً، فإن أنثى الكناري لا تستطيع الغناء كالذكر، ولكن إذا ما حقنت بعد ولادتها مباشرة بهورمون التستوستيرون فإنها ستستطيع الغناء لأن الهورمون الذكري يؤثر في التوصيلات الدماغية لديها وبالتالي في زيادة مهارتها [الصوتية]. وإذا ما أردنا التأثير في الاتجاه الجنسي للدماغ علينا أن نتدخل في الوقت المناسب، أي في المرحلة المضغية. وقد ثبت أن التدخّل لدى الجرذان والحمير والطيور ما بعد البلوغ لم يحرز النتائج نفسها، لأن مرحلة المضغة هي التي تحدّد بنية الدماغ، والتي هي عند الإنسان ما بين الأسبوع السادس والثامن بعد حدوث الإلقاح

كما ذكرنا سابقاً. كما أن أدمغة الجرذان المسنّة لا تتغير إلا بشكل مشروط، كذلك لا تتغيّر أدمغه البشر بدءاً من سن معينة إلا قليلاً.

من خلال زيارة لنا إلى روسيا تعرّفنا على أستاذ جامعي في الجراحة الدماغية أسرّ لنا بوجود تجارب في الخفاء على دماغ الإنسان الحي بدأت منذ وقت غير طويل، وبأن نتائج تلك التجارب تتطابق مع تلك المجراة على الجرذان. وقد قام بتحويل الذكور إلى إناث وبالعكس بحقنهم أثناء الحياة الرحمية بالهورمون الذكري. وكان من نتائج هذا التدخّل على بنية الدماغ خلق شواذ ومخنثّين. وقد روى لنا البروفسور نفسه عن الحالات التي لم يعطوا فيها جرعات كافية من الهورمون، أو أنهم أعطوها في الوقت غير المناسب، فأدى ذلك لولادة مخلوق يمتلك أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية في وقت واحد. وهذا الحدث الوراثي يظهر من وقت لآخر بشكل طبيعي في جمهورية الدومينيكان، كما ذكرنا سابقاً؛ وقد شرح لنا كيف يمكن للمولود أن يظهر بمظهر الأنثى ثم يتحول أثناء المراهقة فجأة إلى ذكر.



هذه التجارب تلقي الضوء على مقدرة العلم في تغيير الجنس البشري، ولو كان الناس لا يحبون الحديث عن ذلك، وذلك بالتأثير في الدماغ اثناء الحياة الرحمية بحقن الحامل بالهرمون الذكري في الوقت المناسب. وهذا التدخّل يلقي الضوء بحق على أسئلة أخلاقية متعلّقة بالإنسان وقيَمه.

كيف يتكونّ الجنين الشاذ جنسياً

إن كانت المضغة ذكرية ولم تَنَل الكمية الكافية من هورمون التستوسترون في الأسابيع المبكّرة من الحمل، فستصبح إمكانية ولادة ذكر شبيه بالفتيات، أو ذكر يصبح شاذاً، أكبر بكثير لأن دماغه سيكون موجهاً بالهورمونات الأنثوية. وتشير دراسة أجريت في ألمانيا في السبعينيات الى أن احتمال إنجاب أطفال شاذين عند الأمهات اللواتي كن واقعات تحت ضغط نفسي في المراحل المبكرة لحملهن، كان أكثر بست مرات منه عند الأمهات اللواتي لا يعانين من ضغط نفسي.

وفي قسم علم الاجتماع التابع لجامعة «Minot» الرسمية في ولاية داكوتا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية، خلُصت الدراسات التي قام بها البروفسور «لي أليس Lee Ellis» إلى أن الحوامل الواقعات تحت الضغط النفسي ينجبن عادة ذكوراً شاذين. وعندما تكون المضغة أنثوية ينجبن إناثاً ذوات سلوك أنثوي مبالغ به وقدرتهن على التصورّ الفراغي سيئة جداً، وبكلمة أخرى سيصبحن أمهات رؤومات، حنونات وراعيات لكن ليس لديهن القدرة على صف السيارة ولا القدرة على تعرّف المكان.

وقد برهن الباحث «برين غليديو Brian Gladue» من الجامعة نفسها على أن الذكور العاديين أقدر من الذكور الشاذين بالنسبة للمهارات المكانية البصرية، وكذلك السحاقيات أقدر من الفتيات العاديات بالنسبة للمهارة نفسها، فما سبب ذلك؟. السبب بكل بساطة هو حصول دماغهم أثناء نموّه على كمية كبيرة من الهورمون الذكري. لكن ما الذي يعيق افراز التستوسترون؟. الموانع كثيرة، منها المرض وتأثير بعض الأدوية

والشدة النفسية كالخوف على فقدان وظيفتكم أو اضطراركم لرهن ممتلكاتكم أو تشاجركم مع شريككم أو جيرانكم أو حزنكم على موت قريب أو صديق عزيز. فإذا كنت سيدتي ضمن ظروف كتلك وكنتِ حاملاً ما بين الأسبوع السادس والثامن، فان احتمال إنجابك لصبي شاذ جنسياً أو لأنثى تتحلى بصفات أنثوية شديدة تصبح كبيرة جداً. ففي الصين القديمة لم يكن يسمح لزوجة القيصر، أثناء حملها، أن ترى أو تسمع أموراً غير محببة وكانت تُمنع من التفوّه بكلمات بذيئة أو مهينة أو التفكير بأمور سلبية، وتُحجب عن رؤية المرضى والتعامل مع الأشخاص المكتئبين. ومن المعلوم منذ زمن بعيد أن الكحول والنيكوتين مضرآن بصحة الجنين، وعلى العكس فإن التغذية الجيدة والابتعاد عن الضغط النفسي أثناء الحمل مفيدان للجنين. ومنذ فترة قصيرة أفادت أبحاث الدكتورة «Vivette Glover» من مستشفى تشيلسي .Chelsea hosp بلندن أن الأطفال المولودين لأمهات واقعات تحت ضغط نفسي أثناء الحمل غير محصّنين في المستقبل ضد حالات التوتر النفسي.

فإن كنت تريدين سيدتي أن تحملي وتنجبي طفلاً سليماً عليكِ أن تخلدي لفترة راحة وتبتعدي عن الضغوط.

كيف تصبح البنت شاذة جنسياً

عندما تكون المضغة في بطن الحامل أنثوية وراثياً أي XX ويكون الدماغ مشبعاً بالهورمونات الذكرية، ستكون النتيجة جسماً أنثوياً مع توصيلات دماغية ذكرية، وستولد أنثى لها شقاوة الصبيان وستظهر أثناء اللعب مع زميلاتها أكثر عدوانية وحدّة.

وستكون إمكانية الشعرانية لدى هذه الأنثى أثناء المراهقة أكبر من غيرها. كما ستكون مهاراتها البصرية المكانية مميزة (ودقيقة في تسديد الكرات). وعندما تصبح بالغة راشدة ستصبح طريقتها ذكورية وسيكون الاحتمال كبيراً في أن تصبح سحاقية. إن الإمداد غير المخطط له بالهورمونات الذكرية للمرأة الحامل ممكن الحدوث عن طريق

أدوية معينة تحتوي على نسبة كبيرة من هورمونات الذكورة كبعض مانعات الحمل وأدوية مرض السكري وهلمّ جراً.

وقد أجريت دراسة بين عامي 1950-1960 على حوامل مريضات بالسكري، فتبيّن أن مولودات تلك النساء ملنَ في سن المراهقة إلى السحاقية بشكل لافت للنظر. والسبب هو أن أمهاتهن كنَّ يتناولن أدوية السكري أثناء الفترة الحرجة من تشكل المضغة، وبذلك تلقَّين كمية أكبر من اللازم من هورمون الذكورة، أثرّت في شكل الدماغ.

وهناك دراسة أخرى أفادت أن الحوامل اللواتي تناولن في الفترة الحرجة نفسها هورمونات أنثوية، كالاستروجين مثلاً، بدافع تسهيل الحمل أنجبن ذكوراً شواذ باحتمال خمسة إلى عشرة أمثال الاحتمال العادي. وفقط عندما بلغ هؤلاء الذكور سن البلوغ وغُمر جسمهم بكمية كبيرة من التستوسترون، توضح مظهر المراهق (الخارجي) من الناحية الجنسية.

وكصدى لهذه الدراسة، أجريت دراسات علمية أخرى في «معهد كينسي kinsey institute» بالولايات المتحدة أظهرت ان الامهات اللواتي تناولنَ هورمونات ذكرية أثناء حملهن ولَدْن بنات أظهرنَ في صغرهنّ حيوية مفرطة واتّسَمنَ بثقة زائدة وبمظهر قوي ومارسنَ بكثرة أنواع الرياضات العنيفة كالملاكمة وكرة القدم. وعلى العكس تنجب النساء اللواتي تناولن هورمونات أنثوية أثناء حملهن بنات يتسمنَ بأنوثة مفرطة أو ذكوراً أرقّ وأنعم من أقرانهم وأكثر تبعية وأقل ممارسة للرياضة.

الدماغ المخنث

منذ طفولتهم الباكرة، يشعر المخنثون بأنهم متواجدون في الجسد الخطأ. ان المنطقة الدماغية المسؤولة عن السلوك الجنسي تدعى «ما تحت المهاد» أو ما تحت السرير البصري، وهي تكون لدى الرجال أكبر حجماً مما هي لدى النساء. وكان فريق عمل الباحث «سواب ديك Swaab Dick» من المعهد الهولندي للابحاث الدماغية قد برهن في عام

1995 بأن منطقة «تحت المهاد Hypothalamus»[1] لدى المخنثين تعادل بحجمها المنطقة ذاتها لدى النساء، أو هي أصغر قليلاً في بعض الأحيان. وهذا برهان آخر على أن السلوك الجنسي لشخص ما هو عبارة عن علاقة تبادلية بين الدماغ في مرحلة التطور وبين الهورمونات الجنسية التي يتلقاها.

هذه النظرية قد ذُكرت للمرة الاولى من قبل العالم الألماني الدكتور «غونتر دورنر Günther Dorner» حيث أثبت بأن حقن منطقة ما تحت السرير البصري لدى الذكور الشاذين بالهرمونات الجنسية الأنثوية يبدي ردود فعل مطابقة تماماً لحقن منطقة تحت السرير البصري عند النساء. لنعد إلى الدكتور «Swaab» الذي أخبرنا بما يلي: استطعنا أن نثبت للمرة الاولى بأنه في جسد المخنّث الذكر يسكن دماغ أنثى، يعني دماغ امرأة مسجون في جسد رجل. وينتاب المخنثين شعور منذ الطفولة الباكرة بأنهم متواجدون في الجسد الخطأ. وفي المصحات النفسية يوضع المخنثون في قسم خاص بهم يدعى «قسم الأشخاص الذين لديهم مشكلة في تحديد الهوية الجنسية». ويخضع 20 % منهم لعمليات جراحية لتغيير الجنس، حيث تُستأصل الخصيتان ويشطر القضيب في منتصفه ويُحافَظ على الجلد ويُصنَّع منه رحم افتراضي ويُحوگ مجرى البول. وأحياناً يستعمل رأس القضيب كبديل للبظر حيث يحتفظ بوظيفته في بلوغ النشوة.

وتشير الإحصائيات إلى واقعة مأساوية وهي أن نسبة الانتحار لدى المخنثين أعلى بخمس مرآت مما هي عند الناس العاديين؛ أي واحد من كل خمسة مخنثين ينهي حياته بيده.

---

1. Hypothalamus ما تحت المهاد هو الاسم الحديث لمنطقة في الدماغ كانت تدعى سابقاً منطقة «تحت السرير البصري» وهي جزء من الجهاز المسؤول عن تنظيم الحرارة والسكّر والشوارد والتوازن المائي الشاردي عند الإنسان وكذلك العواطف الغريزية البدائية (كالخوف والغضب مثلاً ومن ضمنها الجنس الغريزي البحت). *المراجعة*

يعرف الباحثون بأنه يمكن تغيير الجنس عند الجرذان[1] والحمير بالتدخل في الحياة الرحمية لديهم. وهناك البعض ممن يدّعون بأن ميولنا إلى أشياء ونفورنا من أشياء أخرى هي مسألة عزيمة وخيار واعٍ وان كل البشر لديهم المقدرة نفسها على قراءة الخرائط وصف السيارات، ولكن العلماء ينبهّون إلى عدم توافق هذه الآراء مع الواقع. فالمرء لا يحتاج الى ان يكون عالماً ليعرف بأن الأرانب لا تطير والبط يمشي بصعوبة والرجل عندما يستغرق في قراءة جريدة يصبح أصمّ مؤقتاً. إن الوعي الصحيح للاختلافات الموجودة بين الذكر والأنثى وارتباطها ببنية دماغ كلٍّ منهما ليجعلنا أكثر قبولاً وأكثر تفهماً لأقدارنا وميولنا وقراراتنا.

إن ذكاء الإنسان وذهنه قد تطوّرا بشكل يجعله متميّزاً عن كل الأجناس الحيوانية الأخرى، وأقدر على ضبط أحاسيسه ومراجعة قراراته بشكل يستطيع معه أن يعيش حياة أكثر وعياً. إن الحيوانات الأخرى لا تفكّر وإنما تقوم فقط بردود أفعال على الظروف الموجودة فيها مما يجعلها تتقبّل أن تحيا عبدةً للبيولوجيا؛ في حين تبدو التصرّفات التي يقوم بها الإنسان وتحكمها البيولوجيا، تبدو له - بعد حدوثها - تصرفّاتٍ غبيةً. إنه يستطيع أن يوجّه حياته بشكل أوعى من كل الحيوانات ولكنه لا يستطيع الانسلاخ يوماً عن البيولوجيا. والمشكلة الكبرى بالنسبه لغالبية الناس انهم لا يستطيعون تقبّل فكرة كون الإنسان حيواناً حتى ولو كان يمتلك دماغاً ذكياً، فيصبحون ضحايا للبيولوجيا إن لم يقبلوا الواقع الذي ذكرناه آنفاً.

---

1. ورد سابقاً بأن ما يميز الجرذان من حيث استخدامها في مثل هذه التجارب هو شبهها بالإنسان لامتلاكها مورثات وهورمونات وجملة عصبية مركزية من ناحية، واختلافها عنه بكون دماغها يتطور بشكل ملحوظ ما بعد الحياة الرحمية من ناحية أخرى. "المترجم"

لماذا يظهر الشاذون جنسياً من رجال ونساء بمظهر الشبق

إن منطقة ما تحت المهاد هي المركز الدماغي المسؤول عن السلوك الجنسي وهي تتأثر بهورمون التستوستيرون. هذه المنطقة لدى الرجال ليست فقط أكبر، وإنما بالإضافة إلى ذلك تبلغ كمية التستوستيرون عندهم وسطياً من 10 إلى 20 مثلاً أكثر مما هي عليه لدى النساء؛ لذلك نرى لدى الذكور استعداداً دائماً لممارسة الجنس بعكس الإناث.

ويمكن تقريباً مقارنة قوة الغريزة الجنسية عند الرجال الشاذين بمثيلتها عند أقرانهم العاديين، ولا يصح مقارنتها بالغريزة عند النساء إلا عند قلّة قليلة من الشاذين. أما الغريزة الجنسية عند السحاقيات فتكون أكثر مما هي عند النساء العاديات نظراً لارتفاع مستوى الهورمون الذكري لديهن.

لماذا يصعب تمييز بعض الرجال الشاذين

لتبسيط هذا الموضوع ننبّه إلى أن الشذوذ الجنسي يتم عبر موقعين أساسين: موقع الجماع وموقع السلوك موقع الجماع يقع ضمن موقع الجنس في منطقة ما تحت المهاد بالدماغ، وهو الذي يحدّد لنا لأي جنس نميل؛ فإن كان هذا الموقع عند الرجل مشبع بالهورمونات الذكرية، فإنّه يتأثر بجاذبية وفتنة المرأة. أما إن لم يكن مشبعاً بشكل كافٍ فإن هذا الرجل سيتأثر بالمؤثرات التي ينشرها الرجال. أما موقع السلوك في الدماغ فقد لايستقبل الكمية الكافية من الهورمون الذكري ليكتسب النموذج السلوكي الذكري وما يلحق به من مهارات معينة في ما يخص لغة الكلام ولغة الجسد، فيصبح هنا تصرّف الرجل أنثوياً.

ويبقى السؤال المطروح هنا: لماذا يتلقّى كل من المركزين المذكورين كميات هورمونية مختلفة قلةً وكثرة؟ يبقى هذا السؤال أحجيةً دون جواب ولكنه يوضح ما يلي: ليس إلزامياً أن يصبح جميع الرجال الذين لديهم سلوك أنثوي شاذين جنسياً، وليس بالضرورة أن يكون السلوك الجنسي لجميع الرجال شديدي الذكورة عادياً.

اذا ما تلقّى دماغ مضغة أنثوية سهواً كميات إضافية من الهورمون الذكري، فإن مركز الجماع لهذه المضغة يتحولّ إلى المنحى الذكري؛ هذا يعني أن المرأة عندما تصبح بالغة ستشعر بالانجذاب إلى النساء. وعندما يتجه مركز السلوك إلى المنحى الذكري أيضاً تصبح تصرفاتها كذلك ذكورية من حيث طريقة التعبير ولغة الجسد.

ولكن عندما لا يتأثر مركز السلوك بالهورمون الذكري يبقى تصرّف المرأة أنثوياً بالرغم من أنها تشعر بالميل الجنسي للنساء.

وبالرغم من أن المرء يشعر بوضوح بالمرأة التي تتصف بالسلوك الذكوري ويتفهّمها، لكن الكثيرين لا يقبلون فكرة المرأة ذات المظهر الأنثوي البحت والتي لا تستطيع شيئاً أمام غريزتها الجنسية. لذلك فهم يتهمونها بأنها اختارت الشذوذ بمحض إرادتها لأنها لا تظهر بمظهر السحاقية، أي أن الأنوثة تبدو عليها بشكل واضح وتتحلّى بكامل زينتها. ونسمع من هؤلاء الرجال عادة هذه الجملة المعهودة: «سأجعلها ترجع إلى الطريق السليم».

هؤلاء النسوة لا يتمكنَّ من السيطرة على اتجاهاتهن الجنسية، كما لا تستطيعه النساء ذات المظهر الرجولي. كما ولا يستطيع اللواطيون ذوو المظهر الذكوري السيطرة على ميلهم الجنسي تماماً كاللواطيين ذوي المظهر الأنثوي.

ويجب أن نذكر أن البحث العلمي في مجال السحاق لم يصل إلى المستوى الذي وصلت إليه الأبحاث في مجال اللواط، ولكن أغلبية العلماء متفقون بأن الشاذات يملنَ جنسياً إلى النساء بغض النظر عن سلوكهن الفعلي ذكرياً كان أم أنثويا[1].

---

1. لم يتعرض الكاتبان لملاحظة قد تستحق التوقّف عندها والتي تتلخّص في الظاهرة التالية: غالباً ما نراقب في العلاقة الجنسية المثلية وجود قطبين مختلفين يعيدان الى الأذهان أو "يصوران" ما نراه في العلاقة الجنسية ما بين الرجل والمرأة من فرق واضح. وقد يكون فيما سيرد لاحقاً عن انجذاب الأضداد جسمانياً بعضهما لبعض تفسيراً لهذه الظاهرة. "المترجم"

الفصل التاسع

الرجال، النساء والجنس



« ... أريد وضوحاً وصدقاً وعلاقة أكون فيها المرأة الوحيدة.

أنا لا أعطي أهمية للرجال الذين يتلاعبون!»

تعارف "نورمان" و "ستيلاً" خلال حفلة لدى صديقٍ مشترك. ومنذ اللحظة الأولى شعرا بشرارة الحب تجمعهما، وباشرا عملياً منذ تلك اللحظة بإقامة علاقة (جنسية) حارة وملتهبة. لقد هاما أحدهما بالآخر هياماً شديداً لا يفتر، يمارسان الحب في كل زاوية من المنزل. لقد أحس "نورمان" بأن ممارسة الحب مع "ستيلا" أمر رائع، فقرر أنها هي المرأة المناسبة للارتباط بها. أما هي فقد وجدت بأن العلاقة بينهما بالغة الجمال، وفكرت بأنها يجب أن تكون قد أحبته. وشعر كلاهما بأنهما سيبقيان متلاحمين دائماً وأبداً.

مرّ على لقائهما سنتان وما زال الجنس بينهما حاراً ومشتعلاً، هي تمارس الجنس بحرارة ولكن يكفيها إيقاعه إن كان مرتين في الأسبوع، وهو ما كان يرضى إلاّ إذا مارسه يومياً.

وهكذا ودّع "نورمان" حياة العزوبية وكيّف نفسه لتلائم "ستيلاً" حسب زعمه. أما هي فأصبحت تتجنّب ممارسة الجنس معه كلّما ألحّ هو على ذلك، علماً بأنهما اقتصرا على ممارسته ضمن غرفة النوم فقط. وبدءا يتشاجران على أمور صغيرة، وبدأت الملاطفة والمداعبة بينهما تختفي يوماً بعد يوم، وهكذا حتى أصبح واحدهما لا يرى إلا الجوانب السلبية في الآخر. وأخيراً بدأ كل منهما يذهب إلى سريره في وقت مختلف عن الآخر، ويتجنّب الآخر كلما سمحت له الظروف بذلك. ولم يبقَ من حياتهما الجنسية إلاّ الكلمات اللطيفة التي كانا يتبادلانها في بداية علاقتهما.

وكلما فُتح موضوع الجنس كانت هي تعترض، ويشعر هو بأنه ممسوس جنسياً.

وفي أحد الأيام الكئيبة، ذهب أحدهما إلى حفلة عند صديقٍ مشترك وتعرّف إلى شريكةٍ جديدة (او إلى شريك جديد). وانطلقت مباشرة الشرارة بين الاثنين وبدءا بإقامة علاقة جنسية حارة وملتهبة. لقد هاما أحدهما بالآخر ولم يشبع أحدهما من الآخر...

كيف نشأ الجنس

لقد بدأت الحياة منذ حوالي 3,5 مليار سنة بخلية واحدة، انقسمت فيما بعد لتعطي وحيدة خلية مماثلة. وعاشت وحيدة الخلية مئات ملايين السنين دون أن تتغيّر تغيّراً يذكر، بغض النظر عن الفرصة والمصادفة اللتين شهدتا تحولات فجائية قابلة للتوريث، ناجمة عن اكتساب مهارات جديدة. وهكذا مشت الحياة في طريقها بكل هدوء وتؤدة ولكن، وقبل 800 مليون سنة تعلّمت وحيدة الخلية بطريق المصادفة خدعة مثيرة وهي كيف تنقل المورثات اصطفائياً إلى خلايا أخرى، أي أن تعطي الخلية الأهل قدراتها الايجابية ومميزاتها للخلية الطفل كي يتحلّى بها ويصبح أقوى وأقدر على البقاء من أهله. ومن الآن فصاعداً لن تحتاج الحياة إلى ملايين السنين كي تنتظر مصادفة سعيدة أخرى تكتسب فيها الخلية صفات جديدة أكثر رقياً، وتصبح أقوى في القدرة على البقاء.

لقد كان هذا نجاحاً هائلاً في تطوّر الحياة كانت من ثماره أن نَمَت الخلية بسرعة كبيرة إلى أشكال حياتية جديدة أفضل وأعقد من سابقاتها.

في البداية ظهرت الكائنات الحية الطرية والشفافة. وقبل 600 مليون عام ظهرت للمرة الأولى حيوانات ذات عظام: قواقع وأصداف. ثم وقبل 300 مليون عام بدأت أنواع الأسماك الأولى بالتنفس، وغادرت الحياة من بعدها إلى اليابسة مستعمرةً إياها ومشكلةً قمة ازدهار تجارة المورثات.

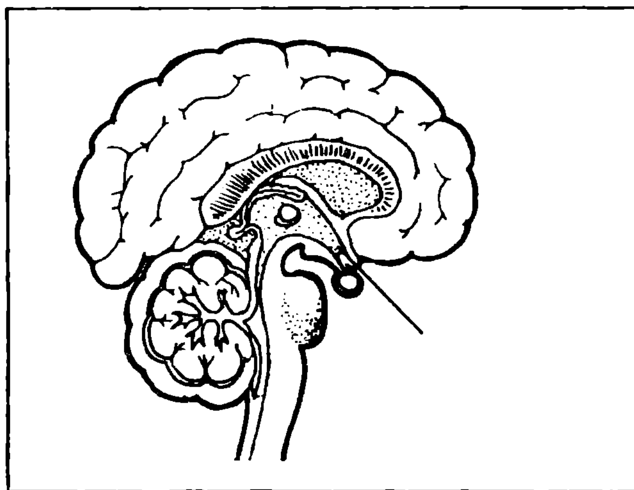
هنا أصبح ايقاع ممارسة الجنس مهماً. إذ أن دور الأهل ينتهي عندما تولد الخلية الجديدة بمورثاتها الأقوى لسببين: أولهما أن وجود الخلية الأهل يصبح غير مجد بوجود الخلية الطفل وثانيهما أن الخلية الأهل عندما تختفي يُقطع الطريق أمام إعادة اتّحادها مع الخلية الجديدة مرجعةً سلّم التطوّر الوراثي إلى الوراء. إذاً فالخلية الطفل بما تمتلكه من مورثات أقوى ستحافظ على البقاء باتّحادها بخلية طفل مماثلة لها. ومن هنا جاء هدف الجنس، وهو اتحاد كائنين لإيجاد كائن ثالث يتمتع بحصيلة مورثية أكثر قدرة على البقاء.

وفي تاريخ البشرية لم يرَ المرء لوقت طويل رابطاً عائلياً ما بين الجنس والأطفال، وما زالت هذه الظاهرة موجودة حتى يومنا هذا لدى بعض الشعوب البدائية.

أين هو مركز الجنس في الدماغ

يقع كما ذكرنا في منطقة تحت المهاد ويبلغ حجمه حجم الكرزة ويزن 4,5 غرام وهو المسؤول عن توجيه الأحاسيس وسرعة القلب ودرجة ضغط الدم. وهو أكبر حجماً لدى الرجال العاديين مما هو لدى النساء والمخنثين والشاذين.

وفي هذه المنطقة تنشأ الرغبة الجنسية عبر إفراز الهرمونات الجنسية وخاصة التستوسترون. وإذا علمنا أن مستوى التستوسترون لدى الرجال يبلغ من 10 إلى 20 مثلاً أكثر مما هو عند النساء، وأن مركز تحت المهاد أكبر لدى الرجال، نستطيع أن نفهم لماذا تكون الرغبة الجنسية عند الرجل على ما هي عليه من القوة، ولماذا بإمكانه ممارسة الجماع في كل مكان وكل وقت. ويجب أن نذكر هنا أن المجتمع، وعلى مرور أجيالٍ، شجّع الممارسة الجنسية عند الرجال ولعَنَ النساء اللواتي يبدين شبقاً جنسياً ويمارسنَ



مركز الجنس في الدماغ (منطقة تحت المهاد)

الجنس. وليس من المستغرب في الواقع أن يكون الفرق في السلوك الجنسي لدى الرجال والنساء سبباً دائماً للتوتر في علاقتهما المشتركة.

لماذا لا يستطيع الرجال المقاومة

إن للغريزة الجنسية الذكرية الانفعالية والجاهزة وظيفة محددة وواضحة وهي المحافظة على بقاء الجنس البشري. وكما لدى ذكور الثدييات، يجب أن يتحلّى ذكر الإنسان بصفات تضمن نجاحه بأداء تلك الوظيفة. يجب مثلاً أن تكون غريزته مباشرة وموجّهة ولا تتخلّى عن هدفها بسهولة، بمعنى آخر عليه أن يستطيع ممارسة الجنس تحت كافة الظروف حتى لو كان مهدداً من أعداء محتملين، أو في أي مكان تسنح له فيه الفرصة.

> على الرجل أن يكون دائماً جاهزاً للممارسة بأقصر وقت، والوصول إلى أعلى نشوة ممكنة متجنباً خطر المهاجمة أثناء القيام بذلك من قبل الحيوانات المفترسة ومتجنباً الأسْر من قبل الأعداء.

من جهة ثانية عليه أن ينشر بذوره على أوسع رقعة ممكنة وبأكبر عدد ممكن من المرآت، حتى أن معهد "كينسي Kinsey" في الولايات المتحدة -الذي يحتل مركزاً رائداً في العالم بدراساته حول الحياة الجنسية- جنح إلى الاعتقاد بأن كافة الرجال تقريباً، سيكونون شبقين إذا لم يتوقف المجتمع عن لجمهم، وقد تصل نسبتهم إلى 80 % كما في المجتمعات البدائية. ولكن الأحادية الزوجية أصبحت واقعاً، والغريزة الجنسية الذكرية أصبح لها، منذ ذلك الوقت، جوانب سلبية تشكّل أحد أهم أسباب الصعوبات ضمن العلاقات الزوجية.

لماذا تكون النساء مخلصات

إن مركز الجنس في الدماغ أصغر بكثير لدى المرأة منه عند الرجل، كما أن كمية الهورمون الذكري التي تجري في دمائها، واللازمة لتفعيل هذا المركز تكون أقل بكثير،

لذلك تغدو الغريزة الجنسية الأنثوية أقل بكثير وتكون المرأة أقل عنفاً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا لم تجعل الطبيعة النساء بالذات شبقات حفاظاً على الجنس البشري؟. إن السبب يكمن في المدة الطويلة نسبياً التي تحتاجها المرأة للحمل ومن ثم لتربية الطفل حتى يشتد عوده.

فعند بعض الأنواع الحيوانية كالأرانب مثلاً، تحمل الأنثى مدة ستة أسابيع فقط، وتستطيع صغارها أن تعتمد على نفسها في الغذاء والجري والاختباء بعد أسبوعين فقط!. لذلك نرى أنه ليس للأرنب الأب دورٌ في حماية أطفاله وتغذيتهم. أما صغار الفِيَلة وبعض أنواع الغزلان، فإنها تستطيع أن تواكب القطيع بعد فترة قصيرة من ولادتها. حتى أن ابن عمنا الشمپانزي يستطيع أن يعتمد على نفسه، إذا ما فقد أهله، بدءاً من الشهر السادس. أما المرأة فإنها تكون متعبة جسدياً في أكثر أوقات الحمل، وتحتاج لخمس سنوات على الأقل حتى يصل فيها طفلها إلى مرحلة الاعتماد على النفس وتحصيل الغذاء وحماية الذات. لهذا السبب نرى أن الأنثى تقوم بتحليل دقيق لشخصية الرجل الذي سيكون أباً محتَمَلاً لأطفالها، كي تأخذ فكرة واضحة عن قدراته في حمايتهم وتغذيتهم وردّ الأعداء عنهم.

يعتقد بعض الرجال بأن دور الأب ينحصر فقط في الإخصاب

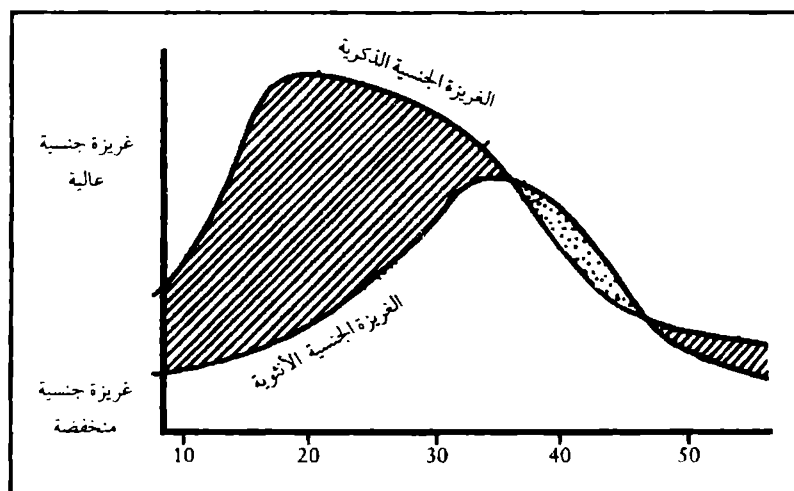
الدماغ الأنثوي مبرمج للبحث عن الرجل الذي يستطيع تحمّل المسؤولية والبقاء طويلاً بجانب المرأة ليساعدها في تربية أطفالها. وهذا نرى انعكاسه في صفات الرجل الذي يُعجب المرأة، بغض النظر عن وجود الأطفال، والذي تريد أن تقيم معه علاقة طويلة الأمد.

الرجال أفران غاز والنساء أفران كهرباء

إن الغريزة الجنسية عند الرجل تشبه الفرن الغازي. فهو يشتعل بسرعة، ويصل لذروته خلال ثوان قليلة، ويعود بالسرعة نفسها إلى نقطة البدء عندما يصبح الطعام

جاهزاً. اما الغريزة الجنسية عند النساء فتشبه الفرن الكهربائي ؛ يسخن بشكل تدريجي حتى يصبح حارقاً ويحتاج لفترة طويلة ريثما يبرد.

ويوضح الرسم البياني التالي قوة الغريزة الجنسية عند كل من المرأة والرجل في كل مرحلة من مراحل العمر وبشكل وسطي. ولا نأخذ هنا بعين الاعتبار العوامل التي يمكن أن تقوّي أو تضعف الغريزة الجنسية كالولادات والوفيات والصيام والتقاعد الخ... الهدف فقط هو بيان الفروقات في قوة الغريزة الجنسية بشكل عام عند كلٍّ منهما، ولذلك جاء الرسم مبسّطاً.



الغريزة الجنسية الذكرية والأنثوية

(المصدر: مركز "بيز Pease" الدولي للأبحاث: المملكة المتحدة)

من المخطط أعلاه نرى أن الغريزة الجنسية لدى الرجل تنقص تدريجياً مع التقدّم بالسن بسبب انخفاض مستوى التستوسترون لديه. أما المرأة فتزداد غريزتها تدريجياً لتصل إلى ذروتها ما بين سن الـ36-38 سنة، وهذا يفسّر لنا رغبة المرأة بهذا العمر بعاشق

صغير السن، لأن لديه القدرة الجنسية التي ترغب فيها المرأة الناضجة؛ فالمخطط يظهر لنا أن مقدرة الشاب ابن التاسع عشر ربيعاً تتوافق مع حاجات امرأة تبلغ من العمر ما بين الثلاثين والأربعين؛ وأن الغريزة الجنسية لدى الرجل ابن الأربعين تتوافق مع حاجات فتاة بسن العشرين، وهو يفسّر لنا أيضاً رغبة الرجل الناضج بالارتباط بامرأة فتية، مع فرق سن واضح يبلغ عادة عشرين عاماً.

والادعاء القائل بأن الرجل يبلغ ذروة غريزته الجنسية في سن التاسعة عشرة ثم ينخفض بعدها، إنما هو شيء يتعلّق بمقدرته الجنسية فقط، لكن اهتمامه بالجنس يبقى ثابتاً حتى آخر يوم في حياته، بمعنى آخر: يهتم الرجل البالغ من العمر سبعين عاماً بالجنس مثل الرجل ابن الثلاثين عاماً، لكن قدرته الجنسية تنخفض باطّراد. أما بالنسبة للنساء، فالفتاة في سن العشرين تهتم بالجنس بقوة دون أن تأخذ المبادرة في ذلك، حيث يكون الحب والجنس مرتبطين لديها في هذه السن بعلاقة تبادلية. لكن عندما تبلغ الثلاثين يبقى لديها الاهتمام نفسه بالجنس، ولكنها تأخذ زمام المبادرة بشكل أقوى.

لماذا يكون موضوع الجنس محلّ خلاف

لا تنسوا أننا نتكلّم في هذا السياق، عن الرغبة الجنسية بشكل عام عند كل الرجال من جهة وعند كل النساء من جهة أخرى، ولا شك بأن هناك حالات خاصة لا ينطبق عليها ما ذكرناه. ولكننا نريد في هذا البحث أن نتكلّم عن النماذج التي تنتمي إليها غالبية الناس فيما يتعلق بغرائزهم الجنسية. يمكن اذاً ان نصادف نساء يمتلكن غرائز مشتعلة ورجالاً لديهم غرائز هامدة ولكن هؤلاء جميعاً يشكلون أقليات ولا يمثلون الغالبية. وبشكل عام يمكننا أن نقول بأن للرجال عادة غرائز جنسية قوية وللنساء غرائز أقل قوة. وتفيد دراسة لمعهد "كينيسي Kinsey" بأن 37 % من الرجال يفكرون بالجنس كل ثلاثين دقيقة مقابل 11 % من النساء. ويكون مستوى التستوسترون لديهم عالياً بشكل كافٍ لتفعيلها ولذلك يكون الرجل مستعداً دائماً لممارسة الجنس.

فيما يخص ممارسة الجنس، تحتاج المرأة إلى سبب ويحتاج الرجل إلى مكانٍ مناسب.

وإذا عدنا مرة أخرى إلى الرسم البياني، نعرف مراحل عدم التوافق الجنسي بين المرأة والرجل والتي تشير إليها المناطق المخططة. وإلى أن تصبح المرأة في سن الأربعين، تبدأ بالشكوى من أن زوجها يضغط عليها بالطلب المستمر للجنس، مما يؤدي إلى شعور بالإحباط لدى الطرفين. وتقول المرأة في هذه الحالة بأن الرجل "يستغلّها" فقط. أما عندما تبلغ سن الأربعين، فتصبح رغباتها الجنسية متوافقة مع الرجل في مثل سنّها حتى إنها تتفوق عليه غالباً. وسبب هذا التغيير عند المرأة هو توجهها لساعتها البيولوجية التي تستحثها على إنجاب طفل قبل قدوم سن اليأس. وهنا يصاب الرجل بالارتباك عندما يشعر بأن امرأته أصبحت تمسك فجأة بزمام الأمور، وتنقلب الآية ليصبح الرجل يشتكي من أن امرأته هي التي تصدرّ إليه الأوامر وتعلّمه بما يجب عليه القيام به في حياتهما الجنسية.

وننصح هنا من كل قلبنا بقراءة كتاب "جودة الحب وروعة الجنس Good Loving, Great sex" للدكتورة "روزي كينغ Dr. Rosie King" وكتاب "المريخ والزهرة وإله الحب Mars, Venus und Eros" للدكتور "جون غراي Dr. John Gray". في كلا الكتابين نتعرّف إلى طرائق واستراتيجيات رائعة لتجنّب الاختلافات الجنسية الحاصلة بين الجنسين. وأغلب الشركاء والشريكات لا يلتفتون في علاقاتهم إلى تلك الاختلافات، فينتظر كل منهم أن يفهم الآخر رغباته الجنسية، بينما تلعب الطبيعة لعبتها الخاصة بها. وقد يكون من باب الموضة أن يدّعي الرجال والنساء العصريون بأن اهتماماتهم الجنسية متماثلة، ويزعم الأزواج والزوجات بأنهم يمارسون حياتهم الجنسية بشكل مثالي ولكن هذا ليس واقع ما يحصل فعلياً في الحياة.

إن الغريزة الجنسية هي حصيلة مباشرة للكوكتيل الهورموني، على خلاف ما يكتبه الشعراء ويفكر به الرومانسيون، ويكون فيها التستوسترون هو المسؤول الأول عما نسميّه بالرغبة الجنسية. وكما بيّنا في الفصل السابع فإن الحب هو حصيلة ردود أفعال

كيماوية وكهربائية. والذين يعتقدون بأن الحب يحصل فقط في "الرأس" مصيبون نوعاً ما. وبينما تساعد بعض العوامل النفسية، كالثقة والتقارب والارتياح، في إفراز الكوكتيل الهورموني من قبل الدماغ الأنثوي، يستطيع الدماغ الذكري إفرازه في كل وقت وكل مكان.

الغريزة الجنسية والضغط النفسي

إن الرغبة الجنسية لدى المرأة محكومة بالظروف والأحداث المحيطة بها. فمثلاً عندما تشعر المرأة بالخوف لفقد وظيفتها، أو عندما تقوم بمشروع مهم، أو تتزعج لارتفاع الأقساط المترتبة عليها، أو تنشغل بمرض أطفالها، أو تعود من الشارع مبتلة من المطر، أو أن كلبها ضاع منها، عندئذ يكون الجنس هو آخر ما تفكر به، وتتشوّق فقط للذهاب إلى سريرها والاستغراق في النوم. أما إذا حصل هذا كله لرجل فسيكون الجنس عنده كالحبّة المهدئة للأعصاب، وسيكون طريقة لتفريغ كل التوتّر المتراكم عليه عبر النهار[1].

وإليكم ما يحصل في نهاية اليوم: هو يتقرّب منها، وهي تعيّره بالغباء وانعدام المشاعر. وهو يصفها بالبرود الجنسي فتكون جائزته أن يقضي ليلته على أريكة غرفة الجلوس؛ هل تعرّفتم إلى حالة كهذه ذات يوم؟

ومن الأشياء المثيرة للاهتمام هي أن الرجال يقيّمون نجاح علاقتهم بمدى الخدمات المقدّمة لهم حالياً: هل حضّرت لهم شريكتهم الإفطار اليوم، هل كوت قميصهم، هل مسحت على رأسهم مطيّبة خاطرهم؟

أما النساء فيربطن نجاح علاقتهن بالأحداث التي جرت بينهما في الماضي القريب: هل كان في الأشهر الماضية مهتماً بها، هل كان يحادثها بشكل كافٍ وهل كان مهتماً بالبيت؟ غالبية الرجال لا يفهمون هذا الاختلاف: لقد كان في ذلك اليوم الذي تقرّب

1. يكتب المؤلفان في فترة لاحقة ما يلي: «إن ممارسة الجنس لدى الرجل عبارة عن تفريغ للتوتر النفسي المتراكم لديه، ويصل إليه ببلوغه الذروة الجنسية». "المترجم"

فيه منها وردّته على أعقابه جنتلماناً بكل معنى الكلمة، ولكنها ما زالت منزعجة منه لأنه أهان أمّها قبل أسبوعين.

تواتر الممارسة الجنسية

لقد جرى في استراليا استفتاء ما بين عامي 1997-1998 عن متوسط تواتر الممارسة الجنسية بين الشريكين، وتم اختيار الأشخاص بالصدفة ودون تسجيل أسمائهم، لذلك نقول بأن احتمال صحة النتائج الواردة كبير، وهي كالتالي:

العمر	تواتر الممارسة الجنسية
بين 20-30 عاماً	144 مرة/ سنة
40-30	122 مرة/ سنة
50-40	78 مرة/ سنة
60-50	63 مرة/ سنة
70-60	61 مرة/ سنة

ونذكر بأن هذه الأرقام تعبّر عن قيمة وسطية؛ فهناك رجال بسن الخامسة والستين يمارسون الجنس كل يوم، وهناك شباب في سن العشرين لم يعاشروا امرأة في حياتهم بعد، ولكن هذا يُعتبر استثنائياً. ومن المثير للاهتمام أن 81 % من الشركاء يعتبرون أنفسهم سعيدين بحياتهم الجنسية -بغض النظر إن كانوا محقّين-، ولكن هذا يعني بشكل آخر أن المرأة تأخذ بعين الاعتبار الرغبات الأقوى للرجل. وبالمناسبة تبلغ في العالم الغربي نسبة الأشخاص الذين يعتبرون حياتهم الجنسية موفقة حوالي 60 %.

وفي دراسة أجريت في الولايات المتحدة أفادت بأن الرجال البيض، في كل أنحاء العالم يمارسون الجنس بتواتر متشابه، وأن النساء في الدول الجنوبية (امريكا اللاتينية مثلاً) يمارسن الجنس بتواتر أكبر من النسوة البيض والسود [اللواتي يتشابهن فيما بينهن بذلك]، وأيضاً أن النساء السود يبلغن النشوة الجنسية بنسبة تساوي ضعف ما يحدث

لدى النساء البيض، وأخيراً أن الرجال الآسيويين هم الأقل في ممارسة الجنس، الشيء الذي يتوافق مع كون التستوسترون في أجسامهم منخفضاً.

الجنس في الرأس

لقد قام فريق بحث عام 1997 باستجواب عشرة آلاف شخص بالغ بهدف ايجاد العلاقة بين الغريزة الجنسية ومستوى الذكاء لدى الشخص المستجوَب؛ ثم قامت مجلة «الإحصاء السكاني الامريكية American Demographics» بنشر نتائج تلك الدراسة والتي تلخّصت بوجود علاقة عكسية بين الممارسة الجنسية والمستوى الفكري للشخص؛ فالأشخاص الفكريون وخريجو الدراسات العليا يمارسون الجنس 52 مرة في السنة مقابل 61 مرة بالسنة لدى الأشخاص خريجي الكليات فقط، و69 مرة في السنة عند ذوي المستوى الدراسي المدرسي فقط أي الذين لم يكملوا دراساتهم في الجامعات. كما أن الرجال الذين يعملون 8 ساعات يومياً يمارسون الجنس 48 مرة في السنة، بينما الرجال الذين تبلغ ساعات عملهم الأسبوعي أكثر من 60 ساعة يمارسونه 82 مرة بالسنة. وهنا قد يكون سبب الاختلاف الكبير بين المجموعتين هو ارتفاع نسبة التستوسترون لدى الفئة الثانية. ويمارس هواة موسيقا الجاز الجنس أكثر من هواة موسيقا البوب بنسبة 43 % بينما تتراجع الممارسة لدى هواة الموسيقا الكلاسيكية إلى الحد الأدنى بالمقارنة معهم. إن إفراز التستوسترون يتم يومياً بشكل موجات تبلغ 5-7 دفعات باليوم، ويكون في مستواه الأعلى لدى شروق الشمس حيث يبلغ ضعف مستواه عن باقي ساعات النهار الأخرى (وذلك كي يحضر نفسه للبدءبالصيد). أما بعد عودته في المساء وأثناء جلوسه حول النار للاستراحة، ينخفض مستوى الهورمون الذكري بنسبة 30 % عن الصباح.

وأثناء إلقائنا [الكاتب والكاتبة] لإحدى المحاضرات المشتركة، أبلغنا أحد الحاضرين بالقصة التالية: «استيقظت في صباح أحد الأيام على نقر مكنسة في ظهري،

وعندما أدركت أن زوجتي هي التي تفعل ذلك سألتها : لماذا ؟ فأجابت : أردتك أن تعرف مرة شعوري عندما تنخزني أنتَ وأنا نائمة ! » .

لماذا يكون الجنس مفيداً للصحة

هناك براهين على كون الجنس مفيد للصحة ؛ فالممارس للجنس ثلاث مرات في الأسبوع يحرق 35,000 كيلو جول[1] في السنة ، اي ما يعادل ما يحرقه المرء أثناء الجري مسافة 130 كيلو متراً . وممارسة الجنس ترفع التستوسترون بشكل مؤقت مما يقوّي العظام والعضلات ويُمدّ الجسم بالكولسترول المفيد . وتقول الباحثة في مجال الجنس الدكتورة " بيفرلي وايبل Beverley Whipple " أن مادة الاندورفين[2] تفرز أثناء الجماع مما يخفف آلام الصداع والرضوض والتهابات المفاصل . وقبل بلوغ النشوة الجنسية مباشرة يفرز الجسم هورمون[3] DHEA ، الذي يحسّن الانتباه ويقوي المناعة ويرمم العظام ويمنع نشوء الأورام . وتفرز المرأة أثناء الجماع كميات كبيرة من هورمون الأوكستوسين الذي يخلق الرغبة في الملامسة والتقارب ، ويرتفع لديها مستوى هورمون الأستروجين بشكل ملحوظ . وفي كتاب الدكتور " هارولد بلومفيلد Dr. Harold Bloomfield " ، «قوة الخمسة The power of Five» نقرأ بدقة عن أهمية الأستروجين كمقو للعظام ومنظم للدورة الدموية . هذه الهورمونات تحمي العضلة القلبية وتحسّن الصحة العامة ، لذلك فإن ممارسة الجنس باستمرار تعني حياة أطول وضغطاً نفسياً أقل . وهنا لا يتّسع المجال لذكر المحاسن الأخرى للممارسة الجنسية .

---

1 . الكيلو جول وحدة العمل . " المراجعة "

2 . الاندورفين : ذكرنا سابقاً انها مادة تفرز بشكل طبيعي من النخاع الشوكي ، وهي مشابهة بتأثيرها للمورفين .

3 . DHEA : De hydro epi androsteron (دي هيدرو ايبي اندروسترون) . " المراجعة "

أحادية الشريك Monogamie وتعدديته Polygamie

تعني الأحادية أن يكون للرجل أو للمرأة شريك واحد أو شريكة واحدة. أما التعددية فتعني أن يكون للرجل أو للمرأة أكثر من شريك أو شريكة. وقد يكون القرآء قد وصلوا معنا حتى الآن، الى أن الجنس البشري ليس أحادي الشريك. ومن المؤكد أن 80 % من المجتمعات البشرية كانت متعددة الشريك (الى أن انتشرت الايديولوجيات اليهودية والمسيحية)، وذلك لأمور تتعلق بالحفاظ على الجنس البشري.

كثير من الرجال يعتبرون الأحادية الزوجية ضرباً من الخيال.

إن الأحادية تعني وجود أنثى واحدة لذكر واحد على مدى طويل، وهي العلاقة الطبيعية لدى عدة أجناس حيوانية كالثعالب والإوز والنسور مثلاً. في مثل هذه الحالات يكون حجم الذكر مماثلاً لحجم الأنثى من حيث القاعدة، ويتقاسمون واجباتهم كأهل بالتساوي. أما فيما يخص التعددية عند بعض أنواع الحيوان الأخرى فيكون الذكر غالباً أكبر حجماً وملوناً وأكثر عنفاً، ونادراً ما يساعد في تربية الأطفال ويحتاج إلى وقت أطول بكثير من الأنثى للبلوغ، بحيث تجنّب الطبيعة قيام الصراعات الذكورية بين ذكر ناضج وذكر غضّ لا تكون فيها للأخير فرص كافية للبقاء على قيد الحياة. ويتشابه الحيوان التعددي هذا في صفاته الجسمانية مع ذكر الإنسان، ولهذا لا نستغرب أن الزوج يجنح دائماً الى خيانة زوجته ويدافع دوماً عن هذه الفكرة.

لماذا يكون الرجال مفطورين على الشهوة الجنسية

كيف تتكيّف حياة الذكر التعددي، الذي صنعته الطبيعة الحيوانية، مع الزفاف والزواج؟ إن الشهوة الجنسية لدى الرجل مبرمجة في دماغه وتشكّل موروثاً لتاريخ تطوّره. وكان عدد الرجال، على مرّ التاريخ، في تضاؤل مستمر حيث كانت الحروب تقضي عليهم، لذلك كان من المنطقي أن يحاول الإنسان زيادة عدده. وبما أن عدد الذكور الذين يعودون من المعركة كان أقل من عددهم عندما تركوا منازلهم، أصبح

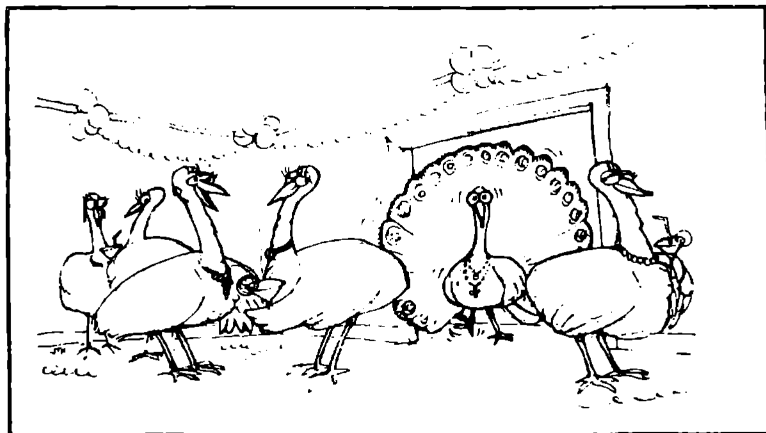
عدد الإناث أكثر وأصبح الرجال بضاعة نادرة وشاعت سياسة الحريم، أي أن الرجل بات يضاجع عدة أرامل كاستراتيجية للحفاظ على بقاء القبيلة. وهكذا أصبحت ولادة الذكر حدثاً مفرحاً، يساهم في حماية المجموعة المحتاجة دائماً للذكور، وأصبحت ولادة الأنثى أمراً مخيباً للآمال بسبب عدد الإناث الكبير وغير المتناسب ضمن القبيلة. هذا الوضع استمر لآلاف السنين، ومع ذلك ما زال الرجل العصري يمتلك منطقة تحت مهاد كبيرة، ويجري في دمائه كمية زائدة من الهورمون الذكري تجعل غريزته قادرة على تأمين الخصوبة التي تماشت مع تطوره البشري. في الحقيقة، ومن الناحية البيولوجية، لم تهيئ الطبيعة ذكر الإنسان وذكور بعض الأنواع الحيوانية الأخرى ليكونوا أحاديي الشريك بشكل مطلق. وكدليل على ذلك نذكر الصناعة الجنسية التي تطوّرت كثيراً ووُجِّهت بالدرجة الأولى للرجال، من دعارة وأفلام تعرية وأفلام جنسية. وكل ما هو محظور على المراهقين من مشاهد توجّه إلى الرجال، وذلك دليل على أن غالبية الرجال يمكنهم أن يعيشوا علاقة أحادية، ولكنهم يمارسون التعددية في خيالهم التي بُرمج عليها دماغهم.

ونريد أن نؤكد هنا أننا عندما نتكلّم عن ذلك، لا نريد أن نجد العذر للمنحى الشهواني الذي يتّبعه بعض الرجال، وإنما نريد أن نوضح للقرّاء المنحى البيولوجي للشهوة الجنسية الطبيعية. إن حياتنا اليوم مختلفة عن حياة أسلافنا، وكثيراً ما تعلَن الحرب على البيولوجيا إذا جاءت متعارضة مع المتطلبات والأمنيات المعاصرة.

إن البيولوجيا الإنسانية، في عصرنا هذا، في صراع مع نفسها

إن موضوع تقييم شيء ما على أنه غريزي أو طبيعي، لا يعني على أنه مناسب أو مفيد لنا. فدماغ البعوضة مثلاً مبرمج على الانجذاب لمصدر ضوئي ساطع، وبذلك تستطيع التعرّف على المكان في الليل بالاعتماد على ضوء القمر والنجوم. ولكن من سوء حظها أن عالمنا الحاضر يختلف عن العالم الذي تطوّرت فيه أصلاً، وصار يمكن

زرع أفخاخ ضوئية لها تستجرّها فتقع في الفخ وتموت [أجهزة قتل الناموس]. وكذا الحال بالنسبة للرجل العصري، فيمكن له أن يتجنّب الفخ الذي تنصبه له غرائزه بأن يكون لديه وعي لذلك وأن يسيطر على سلوكه الفطري.



« لا تستديري! هدية العناية الالهية لعالم الطواويس ظهرت وبانت! »

وهناك أيضاً نساء شبقات، ولكن بنسبة أقل وبدوافع مختلفة. فالتشعّبات الدماغية لدى أنثى الإنسان "راعية العش" تجعلها لا تثار جنسياً بمجرد اللعب على وتر الغريزة الحسيّة لديها، ومن دون أن تتحقق لديها مجموعة مقومات. فغالبية النساء لا يرغبن بعلاقة مؤقتة، أو على الأقل يفضلن علاقة فيها إمكانية ارتباط عاطفي قبل أن يشعرنَ برغبة في ممارسة الجنس. وقليلون هم الرجال الذين يعرفون بأن النساء يقبلنَ بطيب خاطر ممارسة الجنس لمدة ثلاثة أو ستة أشهر فقط مع الرجل الذي شعرت بوجود جسر عاطفي ما بينها وبينه. وباستثناء النساء الشبقات، تكون الرغبة الجنسية عند النساء على أشدها عندما تصبح البويضة جاهزة للالقاح، وهذا لا يستمر أكثر من بضعة ساعات إلى يومين. أما بالنسبة للرجال، فإن رُفعت عنهم عوائق ممارسة الجنس لسبب من

الأسباب، فإنهم سينطلقون بممارسة الجنس دونما تفكير وسيعملون على الإخصاب يميناً ويساراً في سبيل المحافظة على بقاء القبيلة!

وقد أفادت دراسة أجراها معهد الصحة الامريكي أن 82 % من الذكور بين عمري 16-19 سنة معجبون جداً بفكرة الاشتراك في حفلة إباحية تجمع نساء غريبات عنهم، مقابل 2 % فقط من الفتيات اللواتي يؤيدن تلك الفكرة والـ98 % الباقيات يعتبرن مجرّد تصورّ هذا الشيء مقرفاً.

تريد المرأة أن تمارس الجنس مع من تحبّ، ويريد الرجل أن يمارس الجنس بكثرة فحسب.

ظاهرة الديك

إن الديك هو طائر ذكري مغرق في الملذّات، لا ينفك يطلب الوصال مع الدجاجات؛ انه يستطيع أن يجامع ستين مرة في حفلة التزاوج الواحدة، ولكنه لا يستطيع الاقتراب من الدجاجة نفسها أكثر من خمس مرات في اليوم، حيث يعود خائباً في المرة السادسة فاقداً الاهتمام بها ولثقته بنفسه، ولكن حماسته الاولى تعود بكاملها إذا عُرِضَت عليه دجاجة أخرى: هذا ما يسمى بـ«ظاهرة الديك». وهكذا نجد أن الثور يفقد اهتمامه بالبقرة في المرة الثامنة وترجع له حماسته الاولى مع بقرة جديدة، ويمكننا أن نلاحظ قدراته العالية مع عاشر بقرة جديدة.

وبالنسبة للكبش، فإنه يخصّب الغنمة الواحدة ليس أكثر من خمس مرات، ثم يتركها ويذهب لغيرها بنفس الحيوية. ولو عُرِضت عليه الغنمة التي أخصبها من قبل مرة أخرى فإنه لن يقاربها مهما حاولنا تغيير مواصفاتها (مثلاً غيّرنا شكلها بوضع غطاء على رأسها، أو غيّرنا رائحتها برشها بعطور صناعية) شاعراً بمقالبنا وعارفاً بها. وهكذا نجد أن الطبيعة تحرص على ذرّ البذور الذكرية على أكبر رقعة ممكنة لكي تُحدث أقصى كمّ من الإخصاب وتحافظ على بقاء النوع.

في 99 % من الحالات لا يستطيع الرجال السيطرة على غرائزهم الجنسية ولا يستطيعون عزل تأثيرها عن سلوكهم الشخصي. ونلاحظ أن الرجال يطلقون التسميات على أعضائهم الذكرية، وربما كان هذا إشارة واضحة الى الازدواجية وفقدان السيطرة تحديداً.

ويمكن للشاب السليم المعافى أن يجامع المرأة خمس مرآت متتالية ليتوقّف عند المحاولة السادسة. وكالديك والثور يُظهر اهتمامه من جديد إذا صادف امرأة جديدة قابلة للتزاوج. ويخبرنا الدكتور "باتريك كارنس Patrick Carnes" من معهد النقاهة الجنسية في لوس أنجلوس أن نسبة الرجال المهووسين بالجنس تبلغ حتى 8 % مقابل 3 % للنساء، مما يعني أن قوة الشهوة الجنسية لدى الرجل أكبر.

لماذا يرغب الرجال في أن ترتدي النساء في خلوتهنّ معهم ثياب العاهرات

بناء على ما ذُكر سابقاً، يحتاج الدماغ الذكري إلى التبديل والتغيير. وكأكثرية ذكور الثدييات يُبَرمَج الرجل على انتقاء إناث صحيحة الجسم لإلقاحها في أول فرصة سانحة. ولذلك يحب الرجال التغيير ضمن علاقاتهم الأحادية، مثلاً إضافة ملابس داخلية متباينة ومثيرة. وبعكس ذكور الثدييات الأخرى، يستطيع الرجال أن يوهموا أنفسهم بأن لديهم حريماً كاملاً من نساء مختلفات، إذا ألبسوا امرأتهم الوحيدة ملابس داخلية متنوّعة. ويمكن القول إنهم يغضّون الطرف عن شخصيتها عندما يبدلّون مظهرها الخارجي. وغالبية النساء تعرف أن لتلك الألبسة تأثيراً في الرجال دون أن تعي قوة وسبب هذا التأثير. وفي كل عام، وقبل حلول أعياد الميلاد، نرى أفواج الرجال وهم يتهافتون إلى محلات بيع الألبسة الداخلية ليختاروا لشريكاتهم هدية العيد من هناك. وبعد شهر من ذلك التاريخ، وفي غالبية الأحوال، نجد نفس الشريكات وقد وقفنَ صفاً في المحلاّت نفسها لتبديل هديّتهن وهن يتحدّثن معاً قائلات: «هذا لا يناسب ذوقي! إنه يريدني أن أظهر بمظهر العاهرة!». وفي الحقيقة ما العاهرة إلاّ بائعة جنس

محترفة، تخضع للعرض والطلب في السوق، ومجهزة بالأدوات اللازمة لممارسة حرفتها (مثلاً الثياب الداخلية) كي تنجح في تسويق سلعتها. وقد بيّنت دراسة أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أن الرجال الذين ترتدي نساؤهم ألبسة داخلية مثيرة أكثر اخلاصاً من الرجال الذين ترتدي نساؤهم ألبسة داخلية محافظة. وهذا غيض من فيض عن إمكانيات التغيير والتبديل في الحياة الزوجية الأحادية الشريك، الشيء الذي يرضي الرجل التعددي بغريزته والذي تكلمنا عنه سابقاً.

أعجوبة الدقائق الثلاث عند الرجال

يحتاج الرجل سليم الجسم إلى دقيقتين ونصف الدقيقة كي يبلغ الذروة الجنسية، وتحتاج المرأة السليمة إلى ثلاث عشرة دقيقة. ولدى غالبية الثدييات يتم التزاوج بفترة وجيزة، لأن الذكر والأنثى يكونان أثناء عملية التزاوج غير قادرين على الدفاع عن أنفسهما، فيصبحان بذلك عرضة للخطر والمهاجمة من قبل الأعداء أو من قبل الوحوش المفترسة. عن طريق مثل هذه "السرعة" تسعى الطبيعة لتأمين استمرار النوع.

زجرته قائلة «أنت ذكر لا قيمة له»
أجاب: «كيف قيّمت ذلك في دقيقتين فقط؟».

يستطيع الرجال ممارسة الجنس، بعد تهيج طويل الأمد أو قصير، عدة مرات في اليوم الواحد مع الأخذ بعين الاعتبار السن والمزاج والوضع الصحي. وتعتبر قدرة الإنسان كبيرة بالمقارنة مع مقدرة الطاووس الافريقي الذي يحتاج إلى 10-20 ثانية كي يتم التزاوج عنده، إذ يقوم بحركات سريعة يبلغ عددها من أربعة إلى ثمانية في كل جماع. أما إذا أجرينا المقارنة مع مقدرة الجرذ البري الجنسية فسيظهر ذكر الإنسان هزيلاً، إذ يستطيع هذا الجرذ أن يقوم بفترة لا تتجاوز العشر ساعات بأربعمئة عملية إلقاح.

أما الرقم القياسي في عدد مرات التزاوج فيذهب في عالم الحيوان إلى نوع من أنواع الفئران التي تقوم في الساعة الواحدة بأكثر من مئة عملية إلقاح.

حجم الخصية والإخلاص لدى الرجل

نرى بشكل واعٍ أن هناك علاقة ما بين حجم الخصيتين والسلوك الذكري الحازم والشجاع. ولهذا تعبير جميل باللغة الانكليزية من خلال الجملة التالية: «لكي تقوم بهذا العمل تحتاج إلى خصيتين كبيرتين»، بمعنى أن هذا العمل يحتاج إلى شجاعة كبيرة. وينطبق الأمر نفسه على عالم الحيوان حيث يكون حجم الخصيتين، بالمقارنة مع حجم بقية الجسم، مؤشراً أساسياً على مستوى التستوسترون عند ذلك الحيوان. ولكن كبر حجم الخصيتين لا يتعلّق بالضرورة بكبر حجم الجسم: فالغوريلا مثلاً تزن أكثر من الشمبانزي، بينما خصيتا الشمبانزي تزنا أربعة أضعاف وزن خصيتي الغوريلا. وخصيتا عصفور الدوري -نسبة إلى حجمه- أكبر بثمانية أمثال من خصيتي النسر، ولهذا يُعتبر هذا العصفور من أكثر الطيور المغرّدة تكاثراً.

والمغزى من ذلك هو أن حجم الخصيتين النسبي يحدد درجة الاخلاص والالتزام بالأحادية الزوجية عند الذكر. ومن أسلاف الإنسان نجد أن ذكر الشمبانزي الإفريقي المسمى "بونوبو Bonobo" يمتلك أكبر خصيتين. وهو يمارس الجنس بشكل مستمر ومع كل أنثى تقع عليها عينه، بينما يقوم ذكر الغوريلا بعملية التزاوج مرة واحدة في السنة على الأكثر رغم أنه يسيطر على مجموعة خاصة به من الإناث. أما ذكر الإنسان، فله خصيتان متوسطتا الحجم، نسبة إلى بنيته ومقارنة بأسلافه من الحيوانات. وهذا يعني أن لديه إفرازاً من التستوسترون يكفي لكي يمارس سلوكاً جنسياً شبقاً من ناحية، ولكي يستطيع أن يلتزم بالقواعد الصارمة التي تواجهه بها البيئة الاجتماعية والدين والنساء بهدف هدايته إلى الأحادية الزوجية من ناحية أخرى.

وضمن هذا المجال نستطيع أن نتخيّل قادة سياسيين بخصيتين كبيرتين، أمثال "بيل كلينتون" و"جون كندي" و"صدام حسين"، رغم أنه لم تتح لنا الفرصة لنختبر ذلك عن قرب!.

تفرّج "راي" على فيلم عرسه عارضاً إياه بشكل عكسي: "لقد شاهد نفسه بسرور وهو يغادر الكنيسة كرجل حرّ!".

وهكذا نستنتج بأن الرغبة الجنسية لدى هؤلاء الرجال أكبر مما هي عند الرجال العاديين، وبحاجة إلى متنفَّس. فكيف يمكن للشعب أن يعهد بمناصب السلطة لأشخاص يمتلكون خصيتين كبيرتين ومستوى تستوسترون عالياً، ثم يطلب منهم أن يسلكوا جنسياً سلوك قطٍ مخصي؟، بينما في الواقع كانت رغبتهم الجنسية العالية هي التي ساعدتهم في الوصول إلى تلك المناصب؛ وستكون أيضاً، يا لسخرية القدر، سبباً في هبوط أسهمهم.

إذاً فلمشكلة عدم الإخلاص في العلاقة عند الرجال حلّ وحيد ناجح ومضمون وهو: الإخصاء!، وبهذا لن يصبح الرجل "أحادي الزوجية" فقط، إنما سيتخلّص إلى حد بعيد من مشكلة الحلاقة اليومية وستصبح له صلعة في رأسه وسيطول عمره. وقد أجريت دراسة على نزلاء المصحّات العصبية فأفادت بأن متوسط العمر للرجال المخصيين لديهم 68 سنة مقابل 56 سنة للرجال غير المخصيين. وهذا تواجهونه أيضاً عند القط الذي تربّونه عندكم في المنزل!

وبإمكاننا أن نتوقع الآن أن الأجيال القادمة من الرجال ستكون أقل فحولة، وأن حجم الخصيتين لديهم سيكون أصغر، وكذلك إنتاج الحيوانات المنوية سينقص باستمرار على مرور الزمن. وهذا برهان أيضاً على أن خصيتي أسلافنا من عالم القرود كالشمبانزي والغوريلا كانتا أكبر وإنتاجهم للمني[1] كان أكثر.

وفوق ذلك، نلاحظ اليوم أن إنتاج الحيوانات المنوية لدى الرجل العصري بلغ نصف ما كان ينتجه الرجال في فترة أربعينيات القرن العشرين، أي أنهم أقل فحولة من أجدادهم.

1. المني: السائل المنوي مع الحيوانات المنوية الموجودة فيه. "المراجعة"

الخصيتان قادرتان أيضاً على التفكير

لقد قام الدكتور " روبن بيكر Dr. Robin Baker " من معهد علم الأحياء بمانشستر في بريطانيا بأبحاث هامة كان مفادها بأن دماغ الرجل يستطيع، من خلال سلوك الأنثى أثناء الجماع، أن يعرف إن كانت هي في مرحلة الإخصاب أم لا؛ وعليه يقوم، بعد حسابات لا واعية، بإطلاق الكمية المناسبة من حيواناته المنوية وفي الوقت المناسب لكي يضمن أكبر احتمال لحدوث إلقاح. فإذا كان الشريكان على سبيل المثال يمارسان الجنس يومياً، وكان جسم الرجل يطلق مئة مليون حيوان منوي في كل معاشرة في الوقت الذي تتهيأ فيه المرأة للإلقاح، فسيرفع الجسم هذا العدد إلى ثلاثة ملايين إذا ما حصل انقطاع عن الممارسة دام ثلاثة أيام، والى خمسة ملايين إذا ما بلغ الانقطاع خمسة أيام حتى لو أنه ضاجع نساء أخريات خلال فترات الانقطاع وبشكل يومي. بمعنى آخر، فإن دماغ الذكر يقوم بحسابات بيولوجية تدفع جسمه إلى إطلاق كمية من الحيوانات المنوية اللازمة تماماً للإخصاب وإلى منافسة محتملة لذكر كان قد سبقه بحيث تتفوق حيواناته المنوية على مثيلاتها المحتمل وجودها سابقاً.

الرجال والصبابة

تتم إثارة الرجل عن طريق العين، وتتم إثارة المرأة عن طريق الأذن. فالدماغ الذكري مبرمج على التأثر بتكوّرات جسم الأنثى وهذا هو سبب التأثير الكبير لصور النساء المثيرة في الرجال. أما المرأة فهي تمتلك جهازاً حساساً أكثر تعقيداً، ولا يقتصر فقط على حاسة النظر؛ فهي تريد أن تسمع كلمات ناعمة، ولديها استعداد قوي لاستقبال المديح بحيث أن الكثيرات منهن يغلقن أعينهن عندما يهمس حبيبهن في آذانهن كلمات حلوة عابرة. فمسابقات تتويج ملكة جمال الكون تستقطب جمهوراً ضخماً من الرجال والنساء على حد سواء، إلا أن الاستفتاء الذي أجرته المحطات التلفزيونية أظهرت بأن عدد المشاهدين الذكور أكثر من عدد المشاهدات، والسبب هو أن الرجال يتأثرون أكثر بالأشكال الأنثوية ويستغلون هذه الفرصة المقبولة اجتماعياً لملاحقة النساء. أما مسابقة

اختيار ملك جمال الكون فلا يتابعها أحد تقريباً ونادراً ما تنقلها قنوات التلفزيون، لأنه لا الرجال ولا النساء يهتمون بالذكر كجسم فقط، وإنما الاهتمام بالذكر يكون بشكل رئيس بمدى مهاراته وقدراته الجسدية.

يتابع الرجال مسابقات ملكات الجمال بالدرجة الأولى أما ملوك الجمال فلا يجدون من يسأل عنهم.

عندما تمر امرأة ذات قوام جميل أمام رجل، فإنه يلتفت مباشرة إلى الخلف، لأنه لا يملك قدرة متميزة بالنظر الجانبي كما مرّ معنا سابقاً، فيستعرضها بنظره فاغراً فاه، ويسيل لعابه وتتوقف رموشه عن الحركة، وتعلّق الكثيرات من النساء على مثل هذه الحالة بقولهن: «ريالته قد شطّت».

وعندما يسير رجل مع امرأة في طريقهما، وتظهر على الرصيف الآخر فتاة ترتدي ثوباً قصيراً، تلاحظ المرأة طبعاً الفتاة أولاً -لأنها تمتلك مقدرة ممتازة على الرؤية الجانبية- وتقارن نفسها مع تلك المنافِسة المحتَمَلة وتعرف بشكل عام بأنها خاسرة. وعندما يلاحظ الرجل الفتاة أخيراً، تكون امرأته قد جهّزت له ردّة الفعل العنيفة التي تتناسب مع تجاوبه. ما يمرّ في رأس الأنثى هنا فكرتان سلبيتان: الأولى هي أن رجلها فضّل المرأة الأخرى عنها، وهي فكرة خاطئة حتماً، والثانية أنها أصبحت قليلة الجاذبية.

والحقيقة أن الرجال يميلون إلى الأشكال المدوّرة والسيقان الطويلة والقوام المثير بتأثير النظر، وتلتفت إليها أنظارهم. ولكن هذا لا يعني بالطبع أن هذا الرجل سيترك أنثاه مباشرة ليركض وراء الأخرى جاراً إياها إلى السرير، إنما تذكّره المرأة الأخرى بأنه رجل، ومهمته ضمن سلّم التطور البيولوجي هي اقتناص الفرص بهدف زيادة عدد أفراد قبيلته.

يفضل الرجال جمال المظهر في النساء على العقل، لأن أغلبهم يحسنون الرؤية أكثر من إتقانهم التفكير.

ولا يمكن هنا للرجل أن يفكّر بجدية في إنشاء علاقة طويلة الأمد مع تلك المرأة الغريبة. الشيء ذاته يحدث مع الرجل عندما يقلّب صفحات مجلة إثارة؛ فعندما يرى صورة امرأة عادية، لا يفكّر إن كانت إنساناً لطيفاً، أو أنها تتقن الطبخ أو العزف على آلة البيانو، كل ما يلفت انتباهه هو منحنياتها وبروزاتها ونسبها التشريحية لا أكثر. وكأنه ينظر في واجهة محل لبيع اللحوم المتنوعة. ونلفت النظر هنا إلى أننا لا نريد ايجاد أعذار للرجال الذين يُضبطون بنظراتهم الفظة وغير المهذبة، وإنما نحاول أن نشرح بأن الرجل الذي يُعتبر مجرماً بنظر شريكته إذا ما لاحق النساء بنظراته، ليس بالضرورة رجلاً لم يعد يحبّ شريكته، وإنما هو مظهر فقط لدور البيولوجيا الفعّال.

وجدير بالذكر أن نشير هنا إلى دراسات أفادت بأن النساء يلاحقن الرجال بنظراتهن أكثر بكثير من الرجال، وخاصة في الأمكنة العامة كالمسابح وشواطئ البحر.

كيف يجب على الرجال أن يسلكوا

عندما يلاحظ الرجل وجود امرأة جذابة، عليه ألا يُظهر الشهوة الجنسية وخاصة في مكان عام. وهنا عليه أن يقول لامرأته كلمات مديح من أفضل ما يمكن أن يُقال، مثلاً «صحيح أن سيقانها بالغة الجمال، ولكنني أراهن أنها لا تمتلك روح النكتة. على كل حال هي لا شيء بالمقارنة بكِ». فعندما يعلن ذلك صراحةً وخاصة بوجود صديقاتها، فليثق كل الثقة بأنها ستردّ له هذا الجميل في يوم من الأيام.

أما النساء فعليهن أن يفهمن أن البيولوجيا لا تترك خياراً للذكر، ولا بدّ له أن ينجذب إلى البروزات والتدويرات الأنثوية، ولكن هذا لا يشكل تهديداً لهنّ، وعليهنّ بالعكس، إذا لاحظن امرأة منافِسة، التعليق بمرح لإزالة التوتر قبل أن يحصل. وعلى الرجل أن يفهم أنه لا يمكن للمرأة أن تكون سعيدة إذا ما رأت رجلها يطارد النساء حاولاً عينيه.

نورد في الجدول اللاحق نتائج استجواب جرى لأكثر من 15,000 من الرجال والنساء بأعمار تمتد بين السابعة عشرة والستين، يُظهر الصفات -مرتبةً حسب الأولوية- التي تحبذها النساء عند الرجال والخصائص التي يعتقد الرجال بأن النساء تتوقعها فيهم من أجل بناء علاقةطويلة الأمد.

آ ماذا تنتظر النساء	ب ماذا يظن الرجال بأن النساء تنتظر
١- الشخصية	١- الشخصية
٢- المرح	٢- البناء الجسماني الجيد
٣- الحس المرهف	٣- المرح
٤- الذكاء	٤- الحس المرهف
٥- البناء الجسماني الجيد.	٥- المظهر الخارجي الجميل.

وسوف نعرض هنا نتائج دراسة امريكية -مع العلم أن غالبية الدراسات التي اطّلعنا عليها في الماضي تفتقر للأسس العلمية الجدية- أظهرت أنه لا يوجد لدى الرجال تصورّ واقعي عمّا تبحث النساء في الرجل. لقد ظنّ الرجال أن شرط البناء الجسماني الجيد هام للنساء، ولكن في الحقيقة أتى هذا الشرط في الدرجة الخامسة عند النساء. واعتقد 15 % من الرجال أن العضو الذكري الطويل هام بالنسبة للمرأة، بينما 2 % من النساء اللواتي استُجوِبن اعتبرن هذا هاماً. ولمثل هؤلاء الرجال الفضل في وجود مخازن ومجلات في مختلف انحاء العالم، تعرض أدوات لإطالة العضو الذكري بشكل اصطناعي.

ولنعد الآن إلى الاستجواب وإلى الخصائص التي يفضلها الرجال عند النساء من أجل إنشاء علاقة طويلة الأمد، وإلى الخصائص التي تظن النساء بأن الرجال يتظرونها منهنّ.

د	ج
ماذا تظن النساء بأن الرجال تتوقع منهن	ماذا ينتظر الرجال
١-المظهر الخارجي الجميل	١- الشخصية
٢- القوام الجميل	٢-المظهر الخارجي الجميل
٣- النهدان	٣- الذكاء
٤- الأرداف	٤- المرح
٥- الشخصية	٥- القوام الجميل

نلاحظ هنا أن المرأة أقل وعياً للصفات التي يبحث عنها الرجال، والسبب في ذلك هو سلوكه نفسه، عندما ترى نظراته تلاحق بشبق المنحنيات الأنثوية.

العمود «آ» يتضمن الخصائص التي تنتبه إليها المرأة في الرجل عندما تريد أن تقيم علاقة طويلة الأمد معه، وتبقى الخصائص نفسها حتى لو أرادت إقامة علاقة قصيرة الأمد معه. أما العمود «ج» فهو يتضمن الخصائص التي ينتبه إليها الرجل في المرأة عندما يريد أن ينشئ علاقة طويلة الأمد معها، ويصبح العمود «د» هو الذي يتضمن الصفات التي يبحث عنها عندما يريد أن يقيم علاقة قصيرة الأمد مع الأنثى.

لماذا يريد الرجال الجنس فقط

الرجال يريدون الجنس والنساء يردن الحب. هذا شيء معروف منذ آلاف السنين. ولكن لماذا الأمر هكذا؟ وماذا يمكن أن نفعل ضد هذا الأمر؟ نادراً ما كان هذا الموضوع مجالاً للنقاش بين الرجال والنساء، إنما كان دائماً مصدراً لعدم الرضى والخلاف بينهما. عندما تُسأل امرأة عن الرجل الذي تتمناه ستجيب عادة بأنها تريده عريض المنكبين، مفتول الساعدين والساقين، رشيق القوام وكلها صفات ضرورية لقنص الحيوانات الكبيرة أو لمصارعتها. وتتابع بأنها تريده أن يكون محباً، لطيفاً، محدثاً جيداً ومتنبهاً لمتطلباتها وكلها صفات أنثوية. وللأسف الشديد، هذا الجمع بين الجسد الذكري

والصفات الأنثوية، لا نجده إلاّ عند الرجال الشاذين أو ذوي المسحة الأنثوية.

وعلى الرجل أن يبذل جهداً ليعجب المرأة ككل لأن هذا لا يحصل إذا ما اعتمد فقط على مواهبه الطبيعية كصياد؛ دماغه مبرمج على حل المشاكل التي تعترض مهمته في مطاردة الفريسة والدفاع عن نفسه ضد الأعداء؛ وفي نهاية النهار يريد أن يرتاح أمام النار ويمارس الجنس بسرعة ليحافظ على عدد أعضاء القبيلة.

ولكي تشعر المرأة برغبة في ممارسة الجنس يجب أن تشعر بقيمة نفسها وبأنها محبوبة ومثيرة للإعجاب. وهنا تكمن المشكلة المجهولة من قبل غالبية الجنسين وهي أن الرجل يحتاج للجنس من أجل أن يفتح الباب عل أحاسيسه المسجونة، والمرأة تحتاج للأحاسيس قبل أن تشعر بأي رغبة في ممارسة الجنس. فالذكر بُرمج على القيام بالصيد بغض النظر عن حالة الطقس: صقيع، حرّ لاهب، سيل من الأمطار، رطوبة مزعجة، وأصبح جلده قاسياً بحيث أن أموراً مثل الجرح أو الحرق أو البرد لا تعيقه عن أداء واجبه. ومن الناحية التاريخية كان عالم الذكور مليئاً بالصراعات والموت، ولم يكن للحديث أو الأحاسيس أو حاجات الآخرين أي اعتبار كما لو كان الوقت المستقطَع للكلام أو التعبير عن المشاعر عائقاً في وجه الاستمرار بتأدية الواجب وإبقاء العيون مفتوحةعلى المخاطر التي يمكن أن تتعرّض لها القبيلة من الخارج. فعلى المرأة اليوم أن تعي بأن الرجل المعاصر ما زال يدين بسلوكه إلى الرجل البدائي وأن عليها أن تفكرّ بالاستراتيجات التي تجعلها قادرة على التعامل مع هذه الحقيقة. وتتعلّم الإناث من أمّهاتهنّ أن الرجال لا يريدون منهنّ إلاّ شيئاًواحداً فقط هو: الجنس. وهذا غير صحيح بشكل مطلق: فالرجال يريدون الحب أيضاً ولكنهم لا يصلون إليه إلاّ من خلال الجنس.

إن الأولويات الجنسية لدى الرجال والنساء مختلفة تماماً بحيث أن الاتهامات المتبادلة بينهما لا تجدي نفعاً. فلا هو يستطيع أن يخرج من جلده ولا هي، ولا هو أن ينكر طبيعته ولا هي. ولنتذكر بأن الأضداد تتجاذب. فقط في العلاقات الجنسية الشاذة تتقارب متطلبات الشريكين فيما بينها، وتقلّ المشاجرات الناجمة عن علاقة الحب بالجنس.

إن القول «إن الحب عند الرجال يأتي عن طريق المعدة» صحيحٌ تماماً. فالجنس المحسوس والممارَس عند الرجل هو الطريقة لإظهار الوجه الأكثر رقة وأنوثة من شخصيته. عندئذ سيصغي لغناء الطيور، وسيلاحظ ألوان الأشجار البهيّة وروائح الأزهار العطرة وسيصبح عاطفياً عندما يستمع لأغنية رومانسية. وقبل أن يمارس الجنس كان قد لاحظ العصافير فقط لأنه وجد وسخها على زجاج سيارته! وليعلم الرجل أيضاً أن وجه شخصيته الذي تراه المرأة بعد ممارسة الجنس هو وجه محبب إليها بشكل خاص ويجذبها إليه بقوة. فالجهد الذي يجب أن يُبذَل لإنجاح العلاقة تبادلي: على الرجل، وبقليل من التمرين، أن يُظهر العلامات التي تتكشف عنها شخصيته بعد الجنس، قبل الشروع به ليستطيع التقرّب من المرأة عاطفياً وليهيئها لمعاشرته. من ناحية أخرى على المرأة أن تفهم بأن عطاءها الجنسي الجيد يكشف النقاب عن الوجه الآخر للرجل فيصبح واضحاً لها وله على حد السواء. في بداية كل علاقة جديدة تجري الأمور في الحب والجنس على ما يرام: هي تعطيه الجنس بكثرة وهو يقدم لها الحب بقوة وكل منهما يقود إلى الآخر. وبعد مرور بضع سنوات تنحصر اهتمامات الرجل الأساسية تدريجياً بالصيد والقنص، وتنحصر اهتمامات المرأة الأساسية برعاية "العش" فتبدو الأمور وكأن الحب والجنس يختفيان. إن الرجال والنساء هم المسؤولون عن نجاح حياتهم الجنسية، وغالباً ما يرمي أحد الطرفين المسؤولية على الطرف الآخر إذا شعر أحدهما بأن الأمور لم تعد على ما كانت عليه. على الرجال أن يفهموا بأن المرأة بحاجة للملاطفة والانتباه والتقدير ولفترة طويلة لكي تستطيع إشعال فرنها الكهربائي. وعلى النساء أن يأخذن بعين الاعتبار أن الرجل أقرب للتعبير عن مشاعره بعد ممارسة جنس جيّدة [ذات قيمة عاطفية] مما يستطيعه قبل المعاشرة. أي، كما أشرنا سابقاً، عليه أن يبدي، قبل أن يشرع بالتقرّب من المرأة، المشاعر العاطفية واللينة التي يشعر بها بعد الممارسة؛ وعليها أن تساعده في ذلك.

الكلمة الأخيرة هنا هي للجنس: إن كان صحيحاً في السرير فإن العلاقة بكاملها ستتحسّن بشكل تلقائي.

كيف تكون المرأة دائماً وفي كل مكان مسرورة:

يجب أن تُدلّل، تُمتدَح، تُداعَب، تُدلَّك، تُساعَد، تُساند. على المرء أن يلبي لها احتياجاتها، يشعر معها، يثني عليها، يطعمها، يطيّب خاطرها، يثيرها، يحترم مزاجها، يهدئها، يهتم بها، يمسح شعرها، يواسيها، يضمّها، ينسى وزنها إذا ما زاد، يغنّجها، يثير فضولها، يسكّن ثورتها، يتصل بها بالهاتف، يفهم عليها "عالطّاير"، يقبّلها، يتلمّسها، يغفر لها، يشتري لها الحاجات، يسرف عليها، يلفت انتباهها إليه، يحمل لها أغراضها، يعجبها، يدهشها، يعتني بها، يثق بها، يدافع عنها، يكسوها، بغض النظر عن مبالغاتها، يقدّسها، يعترف بإيجابياتها، يدلّعها، يعانقها، يموت من أجلها، يحلم بها، يغيظها، يرضيها، يجذبها بقوة، يتفهمها، يعتبرها مثلاً أعلى، يعبد التراب الذي تمشي عليه.

كيف يكون الرجل دائماً وفي كل مكان مسروراً:

اظهري عارية!

ماذا يتوقع الرجال من الجنس

إن ممارسة الجنس لدى الرجل، بكل بساطة، عبارة عن تفريغ للتوتر النفسي المتراكم يصله الرجل عن طريق بلوغ الذروة الجنسية. فبعد ممارسته للجنس ينقص وزنه وكأنه قد تخلّى عن بعض من جسده (ويقال بأن عقله عندها أصبح فارغاً!) وعليه عندها أن يرتاح لكي تعود إليه قواه. وكثير من الرجال يثقل عليهم النوم مباشرة بعد ممارستهم للجنس، الشيء الذي يُغضب المرأة ظناً منها أن تصرفه هذا عبارة عن حب للذات وعدم اهتمام بها وبحاجاتها. والرجال يُعبّرون من خلال أجسادهم أثناء ممارسة الجنس عن مشاعر لا يستطيعون التعبير عنها بالكلام، ويلجؤون إليه بهدف تهدئة أحاسيسهم المحتدّة

والتي قد تتأتى عن هموم العمل أو عن متاعب مالية أو مشاكل بالعلاقات الشخصية. في مثل هذه الحالات تشعر النسوة بنفسها «مستَخدَمَة»، ولا تفهم بأن الرجل لديه الآن مشكلة لا يعرف كيف يتعامل معها.

يعيش الرجل بخياله وكأنه يمارس الجنس مع امرأتين معاً. وتفعل النساء الشيء نفسه: إذ يتصوّرن نفسهن مع رجلين، يستطعن التكلّم مع أحدهما عندما يكون الآخر في "سابع نزمة".

وبالنسبة للرجل، لا يوجد إلاّ القليل من المصاعب التي لا يمكن حلّها عن طريق ممارسة الجنس الجيدة. وقد أظهرت الدراسات أن الرجال الذين تراكمت رغباتهم الجنسية بشكل غير طبيعي، أصبحت لديهم صعوبة بالسمع والتفكير وقيادة السيارة وتشغيل الآليات المعقدة والاحساس بالوقت بحيث أن الدقائق الثلاث تترك انطباعاً لديهم وكأنها خمسة عشر دقيقة. فإن تمنّت المرأة على رجلها رأياً سديداً عليها أن تنتظر إلى ما بعد ممارسة الجنس حيث يعود ذهنه صافياً.

ماذا تتوقع النساء من الجنس

يكون الجنس عند الرجل ناجحاً إذا أدى الى إنهاء التوتر عنده. على العكس عند المرأة: فهي بحاجة إلى بناء التوتر بشكل بطيء وخلال فترة طويلة، بشرط أن يكون شريكها منتبهاً لها ومستمعاً اليها؛ هو يريد التفريغ وهي تريد الامتلاء بالمشاعر. فعندما يعي الرجل هذا الفارق بينهما يصبح عشيقاً ممتازاً. فغالبية النساء تحتاج لثلاثين دقيقة على الأقل لكي يتهيأن للمجامعة بينما يحتاج الرجال إلى ثلاثين ثانية، ويكفي حتى أن يتصوروا الوصول للأنثى، لكي يكون هذا تحضيراً كافياً لهم.

وبسبب التصعيد الهورموني لدى المرأة تصبح بعد المعاشرة "مسلطنة" بحيث تستطيع أن تقتلع شجرة وتريد الآن أن تلاطف وتداعب وتتكلّم. أما الرجل -فإن لم

يكن قد نام فعلاً- ينسلّ تاركاً السرير ليقوم بتنفيذ عمل ما، كأن يغيّر لمبة محروقة أو يحضّر القهوة أو يدخن سيكارة. ويكمن السبب في أن بلوغه الذروة الجنسية يشعره بأنه فقد رقابته على نفسه بشكل آني، وهو يريد دائماً وأبداً أن يكون مسيطراً على الوضع، لذلك فذهابه للمباشرة بتنفيذ عمل ما، يعيد إليه رقابته على نفسه من جديد.

لماذا لا يستطيع الرجال الكلام أثناء الممارسة الجنسية

الرجل لا يستطيع أن يقوم بعدة مهام في آن واحد. فعندما يكون مثاراً يستصعب الحديث والإنصات والقيادة، ولهذا نراه لا يستطيع الكلام إلا نادراً، أثناء الجماع. وأحياناً على المرأة أن تنتبه إلى تنفّس الرجل لكي تعرف إلى أي درجة من التهيّج قد وصل. ويحب الرجال أن تروي لهم المرأة عن الأمور التي ستقوم بها لإثارته، مهما كانت مبتذلة، ولكن قبل الممارسة وليس أثناءها! إذاً، يرتبك الرجل عندما تبدأ المرأة بالحديث فجأة أثناء المجامعة، وقد يعيق ذلك الانتصاب لديه، إذ أن عملية المجامعة تفعّل لديه نصف الدماغ الأيمن، كما يظهر لنا تصوير الدماغ، فينشغل تماماً بما يقوم به بحيث يصبح عملياً، أصمّ فعلاً.

> إذا أراد الرجل أن يتكلم أثناء الممارسة الجنسية، عليه أن يفعّل نصف دماغه الأيسر، بينما تسير عند المرأة المحادثة والممارسة معاً، جنباً إلى جنب.

إن للكلام عند المرأة، أهمية مطلقة، تحتاجه لتتهيأ للمعاشرة؛ إن أحجم الرجل عن الكلام أثناء الممارسة معها، تشعر وكأنه غير مهتم بها. لهذا عليه أن يسعى لمحادثتها بلطف، وباستمرار إن أمكن، إن أراد أن يرضيها. وبالمقابل عليها هي أن تتجنّب الكلام أثناء المعاشرة وتقتصر على "التأوهات" وتعرف مدى أهمية ردود الأفعال الايجابية هذه على شخصه ليبقى ضمن الجو الذي سيوصله إلى غايته. وقد يشعر الرجل أحياناً بضرورة الردّ على المرأة عندما تبدأ بالكلام، وتصبح هذه اللحظات الجميلة "كفقاعة الصابون" التي لا تلبث أن تتلاشى.

إن تأثير الهورمونات الجنسية التي تُفرز بتحريض من الشهوة والرغبة الجنسية، ليس لها تأثير على المرأة بنفس القوة التي تؤثر فيها على الرجل. فأثناء الجماع تستمر المرأة باستقبال المؤثرات الصوتية والمتغيّرات التي تحدث في المحيط، بينما يكون الرجل غائباً تماماً عن ذلك مركزاً هدفه، غير عابئٍ بشيء. وهنا تستفيق غريزة "راعية العش" لديها؛ إنها تراقب الأصوات المحيطة بها لتتأكد تماماً من خلو المكان ممّن يمكن أن يسرقوا نسلها. فإن أراد الرجل أن يثير توتراً حاداً أو مشكلة من الدرجة الاولى بينه وبين امرأته عليه أن يحثّها على ممارسة الجنس معه في أماكن مفتوحة أو ذات جدران رقيقة أو فيها ابواب غير قابلة للاغلاق. لقد خاض مثل هذه التجربة عدد لا حصر له من الرجال. وهذا يفسّر أيضاً الخوف الفطري من النوم في العراء لدى النساء، والذي يشكّل من ناحية أخرى جزءاً من خيالهن السرّي أو الفانتازيا لديهن.

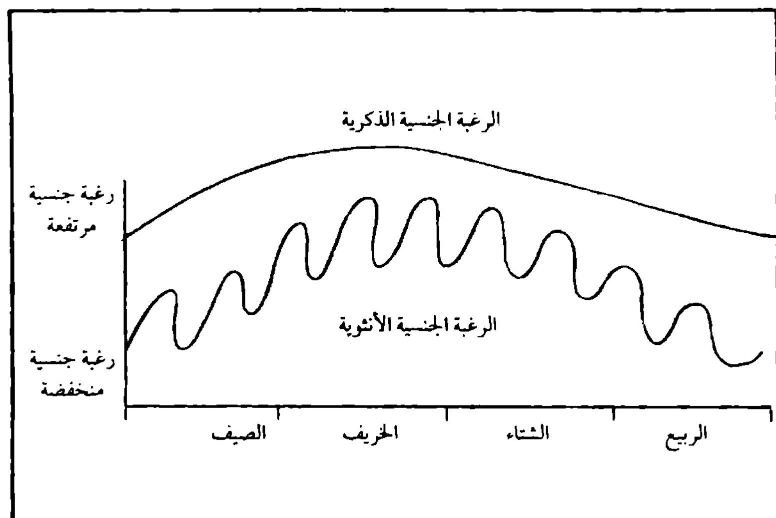
الهدف هو بلوغ النشوة

هل سمعتم مرة رجلاً يقول العبارات التالية: «هي تستخدمني فقط لتشبع شهوتها ثم تبتعد عني. كم أكره أن أكون موضوعاً جنسياً فقط لا غير؟».

إن هدف المعاشرة عند الرجال هو بلوغ الذروة الجنسية، ومع الأسف يعتقدون بأن النساء لديهن الهدف نفسه. فالرجل لا يفهم كيف يمكن للمرأة أن تشعر بالرضى إذا لم تبلغ الذروة الجنسية! إنه شيء لا يستطيع أن يتصورّه وبالتالي يقيس على نفسه ويعتبر أن وصول امرأته إلى ذروتها هو الدليل الوحيد على نجاحه كعشيق، الشيء الذي يشكّل مانعاً لوصول المرأة إلى ذروتها اذ يضعها رجلها تحت ضغط غير طبيعي باعتقاده هذا. فالمرأة تحتاج إلى التقرّب والعطف وإثارة المشاعر لكي تتمتّع بالممارسة، ويكون بلوغ الذروة الجنسية لديها شيئاً إضافياً وليس هدفاً. اذاً فالرجل "يجب" أن يصل إلى الذروة، اما المرأة فلا. وقياساً على اعتقاده الخاطئ هذا واعتباره أن متطلباتها هي مرآة لمتطلباته، يبذل جهوداً قياسية بغية إرضائها. لننظر إلى الرسم البياني التالي والذي يظهر تغيرات الرغبة الجنسية عند المرأة خلال أشهر السنة. فالمنحنيات المرتفعة تدل على الوقت الذي

ترغب فيه المرأة غالباً بالوصول إلى النشوة، وهي الفترة التي تكون فيها البويضة جاهزة للاخصاب، والمنحنيات المنخفضة تدل على الأوقات التي تفضل فيها المرأة المداعبة والملاطفة البعيدة عن المجامعة.

والتصورّ الآخر الواسع الانتشار بين الرجال هو أن يتخيل الرجل امرأة غريبة ورقيقة، تقبل عليه وتعلن له عن هيامها وتخبره بأن سحره لا يقاوم، ويقوم هو بتحقيق جميع رغباتها!



الرغبة الجنسية عند الذكور والاناث

المصدر: مركز "بيز Pease" الدولي للدراسات، بريطانيا

ويعتبر نجاحه كعاشق بمدى نجاحه في إسعادها وتحقيق رغباتها، لذلك يبقى متنبهاً إلى ردات فعلها حتى يأخذ فكرة عن مدى كفاءته كعشيق.

الرجال لا يمثلون بلوغهم للذروة الجنسية. لا يوجد رجل واحد يرغب في اصطناع اللذة عمداً.

إن قلة من الرجال يستطيعون أن يتابعوا الأفكار الحميمية والمشاعر التي تعتري المرأة عند ممارستها الجنس، وهذا يعتبر سبباً إضافياً لاعتبار الرجل أن وصولها للذروة هو أمرٌ بالغ الأهمية وأنه قام بمهمته بشكل لائق وحصل على نتائج مرضية. ولا يفهم أكثرية الرجال أن حتمية بلوغ النشوة هو مقياس ذكوري وليس بالضرورة أنثوي، ويُعتبر عند المرأة أمراً إيجابياً إضافياً وليس مقياساً تقيس به نجاح معاشرتها.

ماذا يثيرنا جنسياً

لقد هيأنا لائحة بالأشياء التي يعتبرها كل من الجنسين مثيرة. وقد يدهش المرء من سوء التفاهم الذي يمارسه كل منهما على الآخر نتيجة قلة معرفة الحاجات الجنسية لديه. ويدل الترتيب الذي وضعت به الأشياء على الأوليات لدى كل من الدماغ الأنثوي والذكري على حدة: فالرجال يعتمدون على النظر ويطلبون الجنس، والنساء يعتمدن على السمع والملاطفة الرومانسية.

كيف يثار الرجال	كيف تُثار النساء
١ - الصور الاباحية	١ - الرومانسية
٢ - الجسد الأنثوي العاري	٢ - الاستعداد لتحمّل المسؤولية
٣ - التنوّع الجنسي	٣ - التواصل
٤ - الثياب الداخلية النسائية	٤ - الحميمية
٥ - استعداد المرأة للمجامعة	٥ - الملاطفة بدون ممارسة الجنس

إن الوظيفة البيولوجية للرجل هي إيجاد النساء صحيحات الجسم لإخصابهن، والوظيفة البيولوجية للمرأة هي إنجاب الأطفال والبحث عن شريك يبقى عندها حتى يكبر أطفالها ويشتد عودهم. وما زال الرجال والنساء، حتى يومنا هذا، محكومين بتلك الغرائز المغرقة في القدم، بالرغم من أن عالمنا المعاصر لا يحتاج إلى السلوك الذكوري الحيوي السابق الذكر لكي يحافظ على بقائه.

وعلى خلفية هذا السلوك يمكننا أن نفهم الجاذبية الكبيرة التي يتركها عند المرأة رجل مستعد لتحمّل المسؤوليات. والرومانسية التي تحدثنا كثيراً عنها ما هي إلا تعبير مبطن لديها عن وعد مقدّم لها منه، بأنه سيقوم بتربية أطفالهما المشتركين. وسنبحث هذا في فصل قادم.

والمرأة التي تنتقد الرجل الذي يلحق غريزته ويُثار عن طريق النظر ليست أفضل من الرجل الذي ينتقد المرأة التي تود الحديث معه وقضاء أمسية لطيفة برفقته في أحد المطاعم.

لماذا تلصق بالرجال أرذل الصفات

إن الأشياء التي تثير الرجال تُعتبر، خاصة من قبل النساء، أموراً قذرة ومقززة ومنحرفة وتحت المستوى. وعادة تُثار النساء من أمور لا تحرك الرجال مطلقاً (انظروا اللائحة السابقة) والعكس صحيح.

وعادة يمجّد المجتمع، عن طريق الأفلام والكتب والدعايات، كل ما يثير المرأة، ويلعن كل ما يثير الرجل واصفاً إياه بالسوقية والإباحية. ومن الناحية البيولوجية يحتاج كل من الرجل والمرأة إلى عوامل معينة لكي يثارا جنسياً، بغض النظر عن التقييم الاجتماعي لتلك العوامل. فالاستنكار الاجتماعي يدفع الرجال إلى إخفاء المجلات الإباحية "playboy" عن الأنظار وإلى إنكار وجود خيال جنسي عندهم. وهكذا تبقى كثير من الحاجات الجنسية لدى الرجال غير محققة، ويتملّك الكثير منهم الشعور بالذنب أو يجرّون خلفهم الإحباط والضيق؛ فإذا ما وعت النساء ووعى الرجال أصول حاجاتهم ومتعهم فسيكونون أقدر على الفهم والقبول من دون غضب أو اكتئاب أو شعور بالذنب. وليس فرضاً على أحد أن يعمل شيئاً بالإكراه، ولكن الكلام الصريح عن الحاجات من قبل الطرفين يجعل العلاقة مليئة أكثر بالمحبة. ويجب على الرجل أن يعرف أنه من الصعب على المرأة أن تلبس حمّالات جوارب على جسم عاري وتتجول متبخترة في غرفة خافتة الأضواء، والأسهل بالنسبة له ولها أن يهيئها للمباشرة، ويتمتع

معها بالخروج معاً إلى مطعم لتناول العشاء بشكل رومانسي، أو أن ينظم معها قضاء عطلة نهاية الأسبوع بشكل جميل.

أسطورة المنشطات الجنسية النسائية

حتى الآن، لم يوجد برهان علمي واحد على فاعلية تلك الأدوية المنشطة التي تملأ الأسواق والتي تلقى إقبالاً جماهيرياً نسائياً كبيراً. ومفعولها يقتصر على ظاهرة "البلاسيبو placebo"، أي أنها تعطي مفعولاً إيجابياً فقط إذا كان المرء مؤمناً بها تماماً. وقد يكون لبعض تلك المنشطات مفعولاً مثبطاً، خاصة إذا سببت ألماً في الكليتين أو حكة جلدية أو أدت إلى ظهور البثور على الجسم. إن المنشطات الجنسية النسائية الوحيدة ذات المفعول الأكيد، هي تلك التي ذكرناها في الجدول السابق وهي العوامل المثيرة للمرأة عند الرجل.

الرجال والتصاوير الإباحية

يرغب الرجال بمتابعة الأفلام الإباحية بعكس النساء؛ إذ أنها تحرك الغريزة الجنسية الطبيعية عندهم بعرضها لأجسادٍ أنثوية وطرق ممارسة ومتعة جنسية. اما النساء فيفهمن ذلك على أنه عرض سخيف لرجال ذكوريين قليلي الحس، يظهرون تفوقهم على النساء ويتباهون به. وحتى الآن، لم توجد براهين تدلّ على علاقة التصاوير الإباحية بالإجرام الجنسي، ولكن من المؤكد أنها تترك تأثيراً نفسياً سلبياً لدى النساء والرجال، سببه قبل كل شيء الممثلون الرجال الذين حبَتهم الطبيعة بأجسادٍ خرافية ومقدرات جنسية قياسية. والصور كذلك تؤثر بقوة على التعهدات التي يأخذها الذكر على نفسه والتي تتوقعها منه الأنثى بالمقابل.

بالإضافة لذلك فإن الأفلام الاباحية تريد أن تُفهِمَنا أن الرغبة الجنسية عند النساء لا تقلّ عنها عند الرجال، إن لم تكن أكبر، وبأن المعايير الفيزيائية والبصرية للإثارة الجنسية تؤثر فيهن تماماً كالرجال. في حين أن تلك الأفلام تؤثر سلباً وبقوة على النساء

حيث يظهرن فيها وكأنهن جائعات جوعاً شديداً للجنس، الشيء الذي يجرح كبرياءهن.

وفي استفتاء جرى للشباب بين عمر 18-23 سنة ظهر بأن 50 % من الشبان يعتبرون أن حياتهم الجنسية أقل نجاحاً مما يشاهدونه في الأفلام وللمجلات، بينما 62 % من الفتيات يشعرن بأن حياتهن الجنسية ليست أقل نجاحاً مما يشاهدنَ، إن لم تكن أفضل. ويبدو أن الرجال يقعون أكثر تحت ضغط المقدرات الجنسية العالية، وأنهم أكثر حرصاً في النجاح بتحقيق ما يتوقعونه جنسياً من أنفسهم.

هل هناك نساء شبقات

لو زارتنا يوماً كائنات غير أرضية، وأخذت نموذجاً من الأفلام والكتب والمجلات الخاصة بالرجال والنساء، لوصلت بعد فترة قصيرة إلى النتيجة التالية: وهي أن إناث الإنسان ما هنّ إلا كائنات شبقة، لا يعرفن إلا النشوة ولا يكتفين منها، وأن شهوتهن الجنسية لا يمكن إشباعها، وهن يضاجعنَ كل رجلٍ وفي كل مكان. هذه الصورة هي التي تعطيها الألبومات والأفلام الإباحية، وهي التي تحاول وسائل الإعلام تسويقها وإيهام المرأة المعاصرة بأخذها مثلاً أعلى.

ولكن الحقيقة هي أن المرأة الشبقة، التي لا تشبع من الجنس، ما هي إلا رسم من خيال الرجل ولا تبلغ نسبة وجودها في الواقع أكثر من 1 %. ولنعلم أن المرأة اليوم تستصعب حتى أن يطلب منها الرجل التعري أمامه. وكل هذه الأحاديث المختلَقة تستهدف الرجال والنساء العصريين، الذين كان أجدادهم وأهلوهم لا يصدّقون أن للمرأة شهوة جنسية كما للرجل تماماً. لذلك يحصل لدى الكثيرات من النساء المعاصرات انطباع بأنهن غير طبيعيات وباردات جنسياً، لأنهن لا يصلنَ إلى المستوى النموذجي الذي تسوّقه وسائل الاعلام. أما الرجال فإنهم يصابون بالإحباط ويغضبون عندما لا يواجهون المرأة التي تطلب الجنس باستمرار، وتشبه المرأة التي يُعلن عنها عالم

اليوم. وليس من المستغرَب أن تترك العناوين الرنانة انطباعاً عند الرجال والنساء على السواء بأن الإناث لا يفكّرن إلاّ بالجنس فقط، ومنها: «تعلّمي بلوغ النشوة في خمسة أيام»، «كيف تجلبين عشيقاً إلى سريرك»، «الجنس والتانترا»[1]، «ساعات الهنا»، «حصلتُ على 300 عشيق في ثلاث سنوات»، «كيف تجعلينه مُثاراً طوال الليل» ...

لقد نجحت الحركات النسائية بجعل النساء يتصرفن بحرية أكثر تجاه شعورهن الجنسي، ولكنها من حيث المبدأ لم تجعل غريزتهن أكثر تأججاً.

منذ آلاف السنين، لم يتغير شيءٌ بشأن الغريزة الجنسية عند المرأة، وكل ما هنالك أن المرء أصبح يتحدث عنها بشكل مكشوف؛ والرغبة الجنسية عند امرأة اليوم لم تختلف، على الارجح، عنها عند أمها أو جدتّها، ما عدا أن النساء في الماضي كن يقمعنَ تلك الرغبة وطبعاً لا يتحدثّن عنها. ولا شك أن الإحباط الجنسي عند النساء كان أكبر قبل دخول حبوب منع الحمل الأسواق، ولكن ليس بالدرجة التي تريد وسائل الإعلام وصفها.

هل نترك النور مضاء، أم نطفئه

كما رأينا سابقاً، يتأثر الرجال جنسياً بالنظر، فهم يريدون مشاهدة التعرّي والتدويرات والأشكال والأفلام الإباحية. وتشير إحصائية لمعهد "كينيسي Kinsey" بأن 76 % من الرجال يفضلون إبقاء النور مضاءً أثناء الممارسة وتوافقهم هذا الرأي فقط 36 % من النساء. فبشكل عام، لا يشكّل العري عامل إثارة بالنسبة للمرأة إلاّ إذا كان

1 . التانترا: نصوص سانسكريتية وضعت في الهند في القرون الوسطى، تتصف بتأثرها بتصورات العصر الأمومي وبتقديس رموز الخصوبة، لكنها تحتوي على مؤشرات لبداية الفكر المادي. والتانترا أصبحت موضة في اوروبا الغربية حيث بُسّطت وجُرّدت من جذورها كرموز ثقافية غير اوروبية. "المترجم"

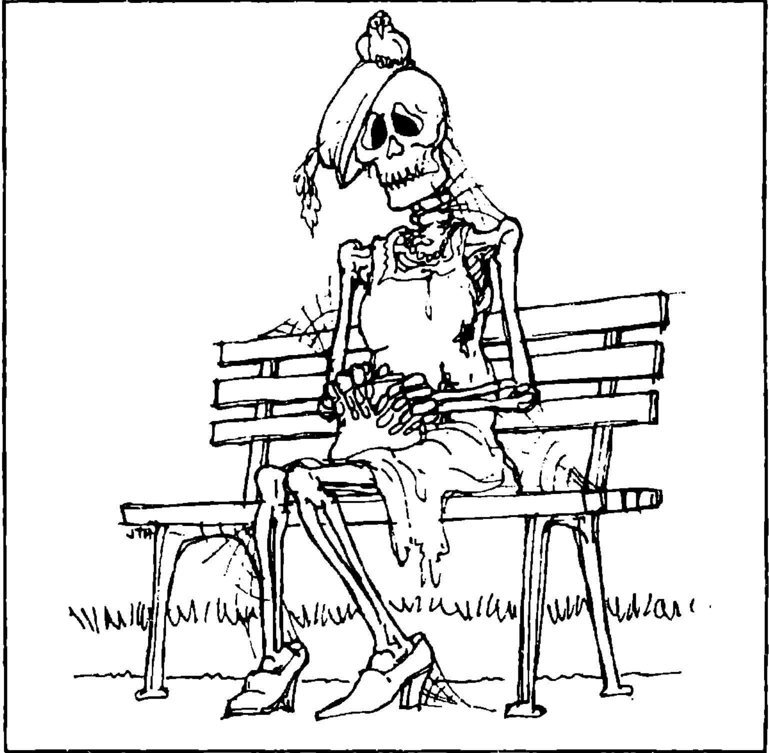
مشتركاً بين رجل وامرأة بوضع رومانسي مثير للخيال. فالمرأة عندما ترى رجلاً عارياً تبدأ عادة بالضحك، بينما يشعر الرجل الذي يرى امرأة عارية بالاثارة والتهيّج. هي تنتبه إلى الكلمات والمشاعر وتفضل أن يكون الضوء خافتاً او مطفأً، أو تغلق عينيها لتستطيع التمتع بالجنس على الشكل الأمثل بفضل أعضائها البالغة الحساسية لأنها تثار بالمداعبة والملامسة اللطيفة والكلمات الرقيقة. وتحاول المجلات النسائية أن تقنعنا بأن صور الذكور العاريين تستطيع أن تثير المرأة، إذ تختفي صورهم المطبوعة من السوق بالسرعة التي تأتي بها. ولكن في الحقيقة زاد قراء مثل تلك المجلات بفعل الصور المذكورة بسبب إقبال الشاذين جنسياً على شرائها.

تفضل النساء إطفاء النور أثناء ممارسة الجنس ويفضل الرجال إبقاءه مضاءً. وعلى سبيل الفكاهة يُقال بأن الرجل يحتاج للنور كي يستطيع أخيراً أن ينظر إلى وجه شريكته في السرير، وبأن المرأة لا تحتاج للنور حتى لا تضطر إلى رؤيته سعيداً لمجرد حصوله على الجنس.

وقد باءت جميع محاولات إغراء المرأة بشراء تلك الصور الإباحية بالفشل. لكن هناك، وفي السنوات القليلة الماضية، ارتفاع ملحوظ في مبيع الرزنامات التي تحتوي على صور فنية لرجال نصف عاريين. وتفوق هذه مبيعات الرزنامات التي تحتوي على صور نسائية عارية لأن الزبائن التي تقبل على شرائها تنضوي تحت ثلاث فئات: المراهقات اللواتي يشترين صوراً لنجمهن أو مغنيهن المفضل، والنساء اللواتي يهدين صديقاتهن مثل تلك الروزنامات على سبيل المزاح والسخرية، والرجال الشاذين جنسياً.

الفصل العاشر

الزواج، الحب، والرومانسية



بانتظار رجل الأحلام

منذ الزمن القديم كانت العلاقة الثنائية بين الرجل والمرأة هي أساس العيش المشترك ضمن المجتمع البشري، حيث كان الرجل يحتفظ بأنثاه المفضلة إلى جانبه ويضم إليها عدة إناث أخرى إذا ما استطاع، إضافة إلى العلاقات الجانبية التي كان يقوم بها لا على التعيين وفي كل فرصة سانحة.

وعلاقة الزواج التي نراها في يومنا هذا، هي اختراع للمثل العليا اليهودية وهدفها واضح؛ هو زيادة عدد المؤمنين. فعندما يكسب المرء ذكراً وأنثى بالغين، يقبلان المثول للقواعد الدينية الحازمة، والتي تخضع بدورها إلى إله أعلى واحد، سيكون واثقاً من أن أولادهم سيتربون ضمن معتقدات الأهل. وكل نشاط إنساني يتطلّب طقوساً معقدة واجتماعات علنية واسعة لا يتوافق، من حيث القاعدة، مع البيولوجيا الإنسانية، إذ يحرّض البشر على عمل أشياء لم يكونوا ليقوموا بها لو تركوا على طبيعتهم. وهناك نوع من الطيور يدعى «Agapornis roseicollis» لا يحتاج الزواج عنده إلى طقوس معقدة، ولكن الذكر والأنثى يعيشان مدى الحياة معبّرين عن الحالة البيولوجية الطبيعية عند نوعهم. ومن جهة أخرى، قد يكون مدعاة للضحك إذا طلبنا من حيوان ذكري تعددي كالتيس مثلاً، أن يعقد قرانه على إحدى الغنمات، ويبقى معها مدى الحياة. ولا نريد أن نقول هنا إن الزواج في مجتمعنا المعاصر لا معنى له، فنحن المؤلفان متزوجان، ولكن من المهم أن نتابع كيف نشأت علاقة الزواج تاريخياً، وما مدى علاقتها مع البيولوجيا.

والسؤال هنا: ماذا يقدم الزواج للرجل من أفضليات؟ إذا أردنا الإجابة مستندين الى خلفية التطور البشري فسيكون الرد: ولا واحدة! . إن الرجل كالديك الذي يشعر بدافع غريزي للإخصاب ونشر مورّثاته على أكبر عدد من الإناث وإلى أبعد مسافة، بالرغم من أن غالبية الرجال يتزوجون، والمطلّق منهم يتزوج مرة أخرى أو يعيش ضمن علاقة مشتركة شبيهة بالزواج. وهنا نلاحظ تأثير المجتمع القوي الذي يشجع الرجل على اتباع سلوك حياتي أحادي العلاقة، رغم أنه، استناداً إلى البيولوجيا، تعددي ويتبع شهوته.

الجنس هو الثمن الذي تدفعه النساء في سبيل الزواج، والزواج هو الثمن الذي يدفعه الرجال في سبيل الجنس.

وعندما يُسأل الرجل عن المحاسن التي جلبها له الزواج فسيتمتم غالباً ببضع كلمات تتحدث عن «العش» الدافيء والطعام الذي يقدّم بانتظام ثلاث مرات يومياً وعن القمصان المكوية والمعلقة بعناية في الخزانة. من حيث المبدأ يبحث الرجل عن خليط من الأم ومدبّرة المنزل. وعن هؤلاء تكلّم «سيغموند فرويد» عندما قال بأنهم يبنون العلاقة مع نسائهم كعلاقة الأم-الابن. وتجدر الإشارة هنا إلى أن 22 % فقط من الرجال يعتبرون شريكتهم أعز صديق لهم؛ إذ يكون عادةً أعز أصدقائهم رجلاً مثلَهم يفهمون طريقة تفكيره الذكرية على الوجه الأمثل. وحينما تُسأل النساء عن أعز صديق لها تجيب 86 % منهن بأنه امرأةٌ، بمعنى آخر شخصٌ يفهم التركيبة الدماغية الأنثوية [وهذا يعني أن 14 % من النساء فقط يعتبرن شريكهن أعز صديق لديهن].

وعندما يخطو الرجال نحو الزواج، يظن الكثير منهم أن حاجاتهم الجنسية قد تأمنت، ولكن توقعهم هذا لا يتطابق مع ما تنتظره النساء من الزواج.

لقد بيّنت الإحصائيات بأن الرجال المتزوجين - والذين يقع عمرهم ما بين سن الـ 25 والـ 50 سنة يمارسون الحب وسطياً ثلاث مرات في الأسبوع، أما الرجال غير المتزوجين فيمارسونه مرة واحدة فقط في الأسبوع. وفي أواخر العام 1997 أجريت دراسة سُئل فيها رجال غير متزوجين ومتزوجين عن نسبة ممارستهم للجنس فتبين أن 21 % من غير المتزوجين لم يمارسوا الجنس منذ بداية ذلك العام مقابل 3 % فقط للمتزوجين. وكما ذكرنا سابقاً فالجنس له تأثير إيجابي على الصحة العامة، لذلك نرى أن الأرامل وغير المتزوجين من الرجال يموتون بسن أصغر من أقرانهم المتزوجين.

لماذا للأحادية الزوجية أهمية عند النساء

بالرغم من أن مقولة الزواج في المجتمعات الغربية أصبحت قانونياً كالنمر بلا

أسنان، فإن غالبية النساء تسعى إلى الزواج، وتبلغ نسبة النساء 91 % في العالم الغربي اللواتي يرتبطن بعلاقة زواج في وقتٍ ما: فهي بالنسبة لهنّ، شكل من أشكال الإعلان أمام كل الناس بأن هناك رجلاً ما انتقاها هي بالذات وأراد أن يرتبط معها بعلاقة أحادية. هذا الشعور بالتميّز لدى المرأة يؤثر بشدة في العمليات الكيماوية الحاصلة في دماغها، ويجعل احتمال بلوغها الذروة الجنسية أكبر بكثير، كما بيّنت الدراسات.

ويعتقد الجيل القديم أن شباب اليوم لا يرون في الزواج إلا مؤسسة قد أكل عليها الدهر وشرب. لقد أُجري بحث عام 1998 سُئل فيه 2344 شاباً وشابة بين عمري الـ 18-23 سنة وأفادت النتائج بأن 84 % من الشابات مستعدات للالتزام بعلاقة الزواج في يوم من الأيام مقابل 70 % للشباب... فقط 5 % من الرجال و 2 % من الشابات يعتبرون الزواج موضة قديمة. و92 % من الجنسين يعتبرون أن الصداقة أهم من العلاقة الجنسية. 86 % من النساء يجدن أن تصورّ إتمام بقية العمر مع شريك واحد شيء مغرٍ، مقابل 75 % للرجال؛ فقط 35 % من الشركاء يجدون أن العلاقات الحديثة أحسن من علاقات أهلهم. أما الإخلاص، فيقع عند النساء في أعلى قائمة الأولويات، وقد دلّت النتائج أن 44 % من الفتيات تحت سن الثلاثين مستعدات لترك رجالهن إذا ما خانوهن مقابل 32 % للنساء بين سن 30-40 سنة و 28 % للنساء بين الأربعين والخمسين و 11 % فقط للنساء فوق سن الستين. وهذا يدلّ على أن المرأة الأصغر سناً تكون أكثر حزماً فيما يخص الإخلاص الجسدي والأحادية الزوجية، أي أن مسألة الإخلاص والخيانة تتناسب عكساً مع عمر المرأة. وهذا أيضاً موضوع اختلاف جذري بين الرجل والمرأة لا يعرفه إلا قلّة من الرجال؛ ففي الوقت الذي يعتقد فيه أكثرية الرجال أن علاقة عابرة من هنا أو هناك لن تقضي على ارتباطهم، لكونهم يستطيعون الفصل بين الحب والجنس، يكون الحب والجنس بالنسبة للنساء شيء متداخل تماماً. فالعلاقة العابرة بالنسبة للمرأة تشكّل سبباً كافياً لقطع العلاقة إذ تعتبرها خيانة عظمى.

يتخوّف الرجل المتزوج، الذي اختار طريق العلاقة الطويلة، من أن زواجه سيفوّت عليه فرص ممارسة الجنس والمتعة التي ينعم بها أقرانه غير المتزوجين. ويبدأ بتخيّل حفلات ماجنة ومغامرات جنسية ومسابح تحوم حولها نساء عاريات جميلات كعارضات الأزياء، ويتحسّر على فرص من هذا النوع تضيع منه، بغض النظر إذا كانت متوافرة له عندما كان عازباً. وينسى تماماً الأمسيات التي كان يجلس فيها وحيداً في بيته أمام علبة فاصولياء باردة، والإخفاقات المهينة التي حصلت له مع النساء أمام أعين أصدقائه، والأوقات الطويلة العصيبة التي قضاها بدون ممارسة الجنس. فالرجل يعتبر المسؤوليات الزوجية مرادفاً لتعبير «تفويت الفرص»! وهو لا يستطيع خلاف ذلك.

> يحب الرجال انتظار شريكتهم المثالية. ولكن الشيء الوحيد الذي يحصل عادةً، هو أنهم دائماً يتقدمون بالسن.

أين مركز الحب في الدماغ

لقد كانت عالمة التطوّر الدكتورة «هيلين فيشر Dr. Helen Fisher» من جامعة «روتغرز Rutgers University» في نيوجرسي، واحدة من الأوائل الذين استطاعوا تحديد موقع الحب[1] في الدماغ على ضوء تصوير الدماغ الوظيفي. وعلى الرغم من أن أبحاثها لا زالت في بداياتها إلا أنها استطاعت تمييز ثلاثة أنواع من الأحاسيس تُعتبر مكونات أساسية للحب لا يمكن الحفاظ على الأنواع من دونها وهي: الرغبة، الهوى، والانتماء. ولكل من هذه الأحاسيس الثلاثة مركز معين في الدماغ يتأثر بتفاعلات كيماوية خاصة تفعّله عندما يشعر الإنسان بانجذاب معين. فإذا ما تحققت غاية الحفاظ على البقاء بوساطة الإلقاح ضمن فترة معينة، فإن نظام الحب هذا سيتوقف أوتوماتيكياً.

---

1. سنأتي على شرح كلمة "حب" بشكل أكثر تفصيلاً فيما بعد، أي كل المعاني والمراحل التي نشملها بمصطلح حب. "المترجم"

وقد تحدّثنا بالتفصيل عن الرغبة الجنسية في الفصل السابق والتي تعني الجاذبية الجسمية وغير الكلامية. أما المرحلة الثانية فتخبرنا عنها فيشر: «الهوى أو الهيام هو المرحلة التي يدخل فيها شخص معيّن في دماغ المرء ولا يستطيع أن يخرجه منه، وهذا الدماغ لا يستقبل من الشخص المذكور إلا الجوانب الإيجابية ويغض النظر عن الجوانب السلبية في شخصيته. الهوى هو محاولة الدماغ إقامة ارتباط مع شريك محتمل، وهو شعور قوي جداً تنجم عنه غبطة منقطعة النظير. وعندما يعود «الهاوي» خائباً، يمكن أن تحدث لديه حالة من الضياع تقرب من الجنون وقد توصله، في الحالات الشديدة، إلى درجة القتل. هذه المرحلة [الهوى] تؤدي إلى إفراز وسائط كيماوية مختلفة ومتعددة ترفع المزاج: فالدوبامين[1] يشعر الإنسان بالارتياح، والفينيل إيتلامين يرفع درجة إثارته، والسيروتونين يعطيه شعوراً بالاستقرار العاطفي، والنورادرينالين يشعره بأنه قادر على فعل أي شيء. فالشخص المهووس جنسياً هو شخص أصبح مدمناً على هذا الخليط الهورموني وعليه أن يتخلّص منه خلال فترة الهوى لكي يبقى في قمة السعادة. هذه المرحلة هي مرحلة مؤقتة تمتد في المتوسط بين 3-12 شهراً، وتصنفها الأكثرية خطأً بأنها هي «الحب». وفي الواقع ما هي إلا حيلة طبيعية يُراد منها ضمان وجود الرجل والمرأة معاً لفترة كافية لإنجاب النسل. والخطر الذي يكمن في هذه المرحلة هو الاعتقاد الخاطئ للشخصين الهاويين بأن رغباتهما الجنسية متوافقة فيما بينهما بشكل ممتاز، الشيء الذي يبدو فقط في الظاهر لأنهما واقعان في مرحلة خاصة تمتاز بكثافة الممارسة الجنسية. أما الاختلافات الموجودة فعلياً فلا تظهر إلا عند انتهاء مرحلة الهوى وبدء مرحلة الانتماء.

الهيام هو الخدعة البيولوجية للطبيعة التي تريد أن تتأكد من بقاء المرأة والرجل معاً وقتاً طويلاً كافياً لإنجاب النسل.

1. Dopamine, Noradrenaline, Phenylethylamine , Serotonine كلها مركبات تدعى الوسائط الكيماوية. "المراجعة"

وعندما تنتهي مرحلة الهوى ويحلّ محلّها الواقع، تنقطع العلاقة بين المرأة والرجل أو تنتقل إلى مرحلتها الثالثة وهي الشعور بالانتماء. هنا يكون مفهوم العلاقة تعاونياً ويستمر المدة التي تكفي لتنشئة الأطفال. فعندما يفهم المرء وجود تلك المراحل الثلاثة يستطيع التعامل مع مرحلة الهوى بشكل أبسط ويتمكن من تهيئة نفسه لاختلاطات قادمة في المستقبل. وأخيراً فإن الدكتورة «فيشر» مستمرة في أبحاثها ولديها ثقة كبيرة بأنها ستتمكن من تحديد المواقع المختلفة للمراحل الثلاث في دماغي الذكر والأنثى على حد سواء وبشكل دقيق بوساطة التقنيات المتطورة للتصوير المحسّب للدماغ.

الحب: لماذا يكون الرجل أحياناً أكثر عمىً من المرأة

يقول المثل «الحب أعمى» وهذا صحيح خاصة إذا ما طبّقناه على الرجال الذين يكونون مُشبعين، في الحالة العادية، بهرمون التستوستيرون ومن خلاله يستطيعون الانتقال بسهولة من مرحلة الرغبة إلى مرحلة الوقوع في الحب. وفي فترة الهيام يسيطر على سلوكهم المستوى العالي للتستوستيرون فينسلبون تماماً ويصبحون غير قادرين على معرفة «أين فوق وأين تحت»! . ويمكن أن تكون الصحوة من تلك الأحلام، التي يتحكم بها التستوستيرون قاسية وعبارة عن وهم؛ فالمرأة التي وجدها في الليلة الماضية مثيرة، تفقد نصف جاذبيتها عنده مع دخول أول شعاع شمس إلى الغرفة حتى أنه في كثير من الأحيان لا تعود تبدو له شديدة الذكاء كما كان قد رآها ليلة الأمس.

أما في دماغ المرأة، فمركز الشعور ومركز العقل لديها مرتبطان فيما بينهما بشكل متناسق، كما أن إمكانية الانسلاب التستوستيروني لديها معدومة، لذلك نراها تستطيع أن تقيّم بشكل أفضل إذا ما كان الرجل المعني شريكاً جيداً لها أم لا. ولذلك نرى أيضاً أن إنهاء العلاقات يأتي من طرف النساء بينما الرجل لا يعي ماذا حصل. وفي هذه الحالات [وهي الغالبة في المجتمع الغربي] وبينما تطرد المرأة الرجل من حياتها، تحاول الكثيرات أن يكون وداعهن لطيفاً ويكتبن رسائل الفراق لشريكهن السابق مواسياتٍ إياه ومؤكداتٍ له أن حبّهن له سيستمر دائماً وأبداً رغم ما حصل.

لماذا يصعب على الرجال قول: «أحبك»

إن النطق بكلمة «أحبكَ» لا يشكل صعوبة عند المرأة، لأن عالمها عالم أحاسيس ومشاعر وتواصل وكلمات حسب تركيبتها الدماغية. وتعرف المرأة عادة أنها تحب الرجل الذي يحميها ويشتهيها ويعجب بها ويشاركها مرحلة الهوى. أما الرجل فيكون أقل ثقة بفهمه لمعنى «الحب» حيث يخلط بين الرغبة والهيام من جهة والحب من جهة أخرى. كل ما يعرفه هو أنه منجذب إلى تلك الأنثى... هل هذا هو الحب؟. إن دماغه ضبابي مغطى بغمائم التستوسترون بحيث لا يستطيع، مع هيجانه الدائم، أن يفكر بشكل صاف. وغالباً ما تمر سنوات عند الرجال قبل أن يميّزوا أنهم كانوا في مرحلة الهوى، بينما تميّز النساء ذلك. فيتخوّفوا من الالتزام بحيث لا يرغبون أن يلزموا أنفسهم مدى الحياة. وتكون كلمة «أحبّك» عندهم بمثابة تنازل طويل الأمد عن الذهاب إلى المسابح والتمتع بالفاتنات العاريات.

> تميّز المرأة حالتها عندما لا يتعلّق الأمر بالحب. لهذا السبب غالباً هي من يضع للعلاقة حداً، وليس هو.

وعندما يستطيع الرجل تجاوز رهابه[1] والنطق بتلك الكلمة المصيرية «أحبّك» فيريد أن يعلن على الملأ وفي كل مكان قراره هذا. وقليل من الرجال من يلاحظون التغيّر الذي يطرأ على سلوك شريكتهم بعد ذلك الإعلان، وكيف تصبح إمكانية وصولها للذروة الجنسية أكبر.

لماذا يستطيع الرجل الفصل بين الحب والجنس

إذا كانت المرأة سعيدة في زواجها فنادراً ما تقع في علاقة عابرة، بينما ليس من النادر أن يقيم الرجل علاقات عابرة مع نساء أخريات ولو كان سعيداً في زواجه. 90 %

1. الرهاب: الخوف المرضي من شيء. "المراجعة"

من العلاقات بين الرجل و 80 % منها تنهيها النساء. والسبب هو شعور المرأة بأن تلك العلاقة الجنسية ستبقى دوماً على المستوى الجسدي، ولن تتطور مستقبلاً إلى ارتباط عاطفي مستمر، فتفضل أن تتراجع. بينما تسمح البنية الدماغية الذكرية بالفصل ما بين الجنس والحب بسبب ترتيبها المتخصص والذي يسمح له بالتعامل مع كل موضوع على حدة. إنه سعيد تماماً عندما يحقق رغباته الجسدية ويركز اهتمامه في هذا المنحى. أما فيما يتعلق «بالحب»[1] فلم يُعرف حتى الآن مكان تمركزه في الدماغ، ولكن من المعروف حتى الآن أن الأنثى تمتلك شبكة من التوصيلات الدماغية ما بين مركز الحب ومركز الجنس (منطقة ما تحت المهاد) ويجب أن يُفعَّل مركز الحب قبل أن يتمكن مركز الجنس من التنشط. أما الرجل فلا يمتلك مثل تلك التوصيلات، لذلك يبقى لديه الحب حباً، والجنس جنساً؛ وعندما يلتقي الاثنان في حالات نادرة، يُعتبر هذا ضربة حظ.

إن السؤال الأول الذي تطرحه الزوجة على زوجها غير المخلص «هل تحبّها؟»، وسيكون جوابه غالباً «لا، لقد كان الأمر جسدياً فقط، وليس عاطفياً» وهو غالباً جوابٌ صادقٌ، لأن الرجل يستطيع الفصل تماماً بين الحب والجنس. أما هي فتكوين دماغها المختلف تماماً عنه سيجعلها لا تستطيع قبول مثل هذه الحجة وستجد صعوبة في تصديقه لربطها الدائم بين الحب والجنس. وفي النهاية لا تجرح المرأة العلاقة الجسدية بين رجلها وامرأة أخرى بقدر الجرح الذي يسببه لها عدم الإخلاص العاطفي الذي يشكّل لديها شرخاً في عامل الثقة الذي يربط بينه وبينها. أما المرأة، فإذا ارتبطت بعلاقة جانبية، وادّعت بأن هذه العلاقة لا تعني لها شيئاً فهي غالباً تكذب، لأنها بتجاوزها حاجز ارتباطها وممارستها الجنس مع رجل آخر لا بدّ أنها بنت بينها و بينه جسراً عاطفياً.

---

1. الحب يعني هنا الارتباط العاطفي، وليس الكتاب في النهاية دراسة لمعنى الحب. وفي اللغة العربية مراتب للحب أثبتها الثعالبي في كتابه «فقه اللغة وسرّ العربية» وهي التالية: الهوى؛ الكَلَف؛ العشق؛ الشَّعَف (بالعين) واللوعة واللاعج؛ الشَّغَف؛ الجوى؛ التَّيم؛ التَّبْل؛ التدليه؛ الهُيوم. «المترجم»

لا يوجد لدى النساء فصل بين الحب والجنس، فكلاهما له المعنى نفسه.

عندما تمارس النساء «الحب» يمارس الرجال «الجنس»

هناك مثلٌ قديمٌ يقول: «بينما المرأة تمارس الحب، يمارس شريكها الجنس معها». هذا الكلام نسمعه كثيراً وفي جميع أنحاء العالم، ولكن معناه الحقيقي يبقى محيّراً. فالرجل يسمي «الجنس» باسمه بينما المرأة تتحفظ على تلك التسمية غالباً لأنها لا تشتمل لديها على كل الوقائع التي يحملها هذا التعبير. «ففعل الحب» عندها يعني أن تشعر بنفسها محبوبة، وتعطي أيضاً مشاعر الحب للآخر قبل أن تتطور لديها الرغبة بمعاشرته. فغالبية النساء ينظرن إلى الممارسة الجنسية على أنها فعل خال من الحب وغير ملزم، ودماغهن يجعلهن لا يجدن أنفسهن في كلمة «جماع». أما الرجل فعندما يتحدث عن الجنس فهو يعني الفعل الجسدي البحت دون أن ينفي بذلك حبه لشريكته. «ففعل الحب» عنده لا يسمى إلا جنساً على الأرجح، ويعتبر هذا المصطلح غبياً إذا تكلّم المرء عن الحب وكان لا يريد فعلاً إلا الجنس فقط، بغض النظر عن أن شريكته لا توافقه هذا الرأي. وعلى كلّ من الرجل والمرأة أن يفهم تعريف المصطلح الذي يستعمله الآخر ويقبله دون أن ينتقده، وبذلك يتجاوز الاثنان عثرات كثيرة تقف في وجه علاقتهما.

لماذا يكون الشريك المناسب جذاباً أيضاً

تشير دراسات معهد «كينسي» بأن إحساس الرجل بشريكته أثناء المعاشرة يتبع عمق مشاعره تجاهها، بمعنى آخر فإن جاذبيتها الجسدية له تتزايد كلما اشتدت قوة حبه لها بغض النظر عن مقوماتها الجسدية الفعلية وقوامها ورأي الآخرين بجمالها. وبالعكس، فالمرأة ذات الشكل الخارجي الجميل تسقط من عين شريكها عندما يضعف حبه لها ويفضل عليها امرأة ذات أفخاذ سمينة إذا ما عنت له شيئاً، لا بل تصبح بالنسبة له ذات قوام مثالي!

هذا كلّه يعني أن جاذبية المرأة الجسدية التي تحتل دوراً هاماً في ميله لها من النظرة الأولى، تصبح على المدى البعيد غير ذات معنى لصالح حنانها ومشاركتها. والدراسة التي ذكرناها في الفصل التاسع [ماذا نريد فعلاً على المدى البعيد] تؤيد هذه الفكرة.

وحقيقة الجاذبية من الوهلة الأولى لا تنطبق على المرأة. ونذكر في هذا السياق دراسة مثيرة أجريت في الحانات التي يتردد عليها الرجال العازبون لتصيّد النساء، تُظهر الفرق بين انطباع الرجل من الوهلة الأولى وانطباع المرأة. فإذا قيّم الرجل المرأة التي تعرّف عليها في الساعة السابعة مساءً على أساس أنها تستحق علامة 5/ 10، ستصبح علامتها في الساعة العاشرة والنصف مساءً 7/ 10 وفي منتصف الليل 8,5/ 10؛ ولمستوى الكحول في دمه تأثير واضح على تقييمه، ولإمكانية الحصول عليها تأثير أكبر. أما المرأة فإن أعطت الرجل علامة 5/ 10 في الساعة الخامسة بعد الظهر فستبقى العلامة نفسها في تمام منتصف الليل.

عندما تعطي المرأة للرجل تقييماً معيناً في بداية السهرة فسيبقى التقييم نفسه في نهايتها بغض النظر عن كمية الكحول التي تناولتها.

فتناول الكحول لا يرفع جاذبية الرجل عندها، بل على العكس قد تقل جاذبيته لديها أحياناً كلما استمرّت بشرب الكحول. إن تقييم النساء لجاهزية الرجل ليكون لها شريكاً لا يعتمد على مظهره الخارجي وإنما على مواصفات شخصية، وذلك بغض النظر عن تناولها للكحول أو عن فرصة الحصول على الذكر، بينما تزداد جاذبية المرأة عند الرجل كلما سمحت له بممارسة دوره كمخصبٍ محترف.

هل تنجذب الأضداد بعضها الى بعض؟

الدراسات التي أجريت عام 1962 أفادت بأن الإنسان يشعر بالانجذاب للإنسان الآخر الذي يشابهه في تقييمه للأمور ومواقفه من الحياة واهتماماته وطريقته في تقبّل

الأمور؛ أي الإنسان الذي نفهم عليه ويفهم علينا. وأشارت دراسات لاحقة أن الشريكين اللذين يمتلكان تصوّرات متشابهة عن الحياة لديهما فرصة أضمن للبقاء معاً على المدى البعيد. ولكن عندما تكون الاختلافات قليلة جداً بين الشريكين قد ندخل في وقت من الأوقات بمرحلة الملل. فغنى الاختلاف يُشعر بالحيوية عندما تتكامل الشخصيتان، ولكن دون أن يكون كبيراً فيشكّل عندها عائقاً في مسيرة حياتهما المشتركة.

فعلى سبيل المثال، يمكن للمرأة الاجتماعية بطبعها أن تنجذب للرجل الهادىء. والمرأة ذات الطبيعة القلقة قد تُعجب بالرجل الذي يتعامل مع الأشياء ببساطة دون أن يحمّلها أكثر مما تستحق.

الأضداد الجسدية تنجذب بعضها الى بعض

أظهرت الدراسات كلّها بأن المرء ينجذب أكثر إلى الجنس الآخر كلما كانت الخصائص الجسدية لكلّ منهما مختلفة اختلافاً جذرياً عن الآخر. فيختار الرجال النساء ذوات التدويرات في المناطق من الجسم التي تكون عند الرجال مستوية أو ذات زوايا حادة. بمعنى آخر يفضلون الأرداف عند المرأة والخصر النحيل والأفخاذ الطويلة والصدور المدورة والذقن الصغيرة والأنف الدقيق والبطن المستوي، وكلها صفات لا يمكن أن تتواجد عند الرجال.

أما النساء فتختار الرجال ذوي الأكتاف العريضة والمؤخرة الصغيرة والسواعد المفتولة والأرجل القوية والذقون العريضة والأنف الكبير وكلها صفات أيضاً لا يمكن أن تمتلكها النساء. وهاكم نتائج مثيرة للاهتمام أكدتها بعض الدراسات: إن الرجال الذين لا يتناولون الكحول يفضلون النساء ذوات الصدور الصغيرة. والرجال ذوو الأنوف الكبيرة يفضلون النساء ذوات الصدور المسطّحة. والنساء ذوات الصدور الكبيرة يفضّلن الرجال ذوي الأنوف الصغيرة. والرجال الذين يتمتعون بحب الظهور يفضلون النساء ذوات الصدور الكبيرة بشكل واضح.

السر يكمن في النسبة ما بين الخصر والأرداف

إذا ما استعرضنا أشكال النساء اللواتي فضّلها الرجال عبر مئات السنين وجدنا أنهم قد فُتنوا بكافة الأشكال بدءاً من النساء البدينات المعجعجات في لوحات القرن السادس عشر حتى عارضات الأزياء في السنوات القليلة الأخيرة، ذوات القوام الإبَري، الذي يشبه نبات الهليون أكثر من شبهه لقوام الأنثى. ونلاحظ أن المقياس المهم الوحيد الذي بقي ثابتاً على مر العصور هو النسبة ما بين الردفين والخصر. هذه النسبة تثير انتباه الرجل في كل عصر ومكان.

وقد ثبت بالبراهين العلمية أن الأنثى التي تبلغ نسبة محيط خصرها إلى محيط أردافها الـ 70 % تكون أوفر صحة وأكثر خصوبة من غيرها. وقد فحص الدكتور «ديفاندرا سينغ Dr. Devendra Singh» من جامعة كمبريدج عدة رجال مختلفين في جنسياتهم وانتهى إلى نتيجة مؤكدة، وهي أن الرجل لا بد أنه خزّن في الماضي هذه المعلومة ثمّ تعلّم فك شيفرتها ووصل إلى وجود علاقة بين خصوبة المرأة ونسبة محيط خصرها إلى محيط أردافها.

وهذا خبر جديد للنساء إذ بإمكانهن زيادة وزنهن بحدود خمسة إلى عشرة كيلوغرامات دون أن تؤثر تلك الزيادة في قوامهن المستدير المثير ما دامت النسبة بقيت تترجح بين الـ 67-80 %.

> تفضل النساء في كافة أنحاء العالم رجلاً ذا مؤخرة صغيرة وعضلية البنية، ولا تعي غالبيتهن أصل هذا الميل.

وتميل النساء إلى الرجل الذي يشبه قوامه الحرف اللاتيني (V). وهنا يبرز الصياد الماهر إلى الوجود، صياد العصور البدائية بأكتافه العريضة وسواعده المفتولة وخصره النحيف. كما تفضّل النساء في كل أنحاء العالم رجلاً ذا مؤخرة صغيرة ومكتنزة العضلات ولا تعي إلا القليلات منهن أصل هذا الميل. إن الإنسان هو الكائن البدائي

الرحيد الذي انتصبت مؤخرته وذلك بهدف الوقوف بشكل مستقيم، الشيء الذي يمكّنه في الوقت نفسه من القيام بالحركات الضرورية للإخصاب الناجح.

الرجال والرومانسية

ليس صحيحاً أن الرجال لا يمكن أن يكونوا رومانسيين ولكنهم لا يستطيعون إدراك الأهمية الكبيرة التي توليها النساء لموضوع الرومانسية، وهذا يبدو جلياً إذا ما استعرضنا نوعية الكتب الموجودة في الأسواق حيث نكتشف أن النساء تصرف الملايين عاماً بعد عام في شراء روايات الحب... وتركّز المجلات النسائية على مواضيع الحب والرومانسية والعلاقات بين الناس والرياضة والتغذية واللباس لكي تصبح الحياة أكثر رومانسية. وقد أفادت دراسة أجريت في أوستراليا أن النساء اللواتي يقرأن الروايات العاطفية يمارسنَ الجنس أكثر من النساء الأخريات بنسبة الضعف. من ناحية أخرى نلاحظ أن الرجال يصرفون الملايين في شراء الكتب والمجلات التقنية التي تستفز مهاراتهم المكانية والبصرية في كافة المجالات بدءاً من الأجهزة الميكانيكية والكومبيوترات وانتهاءً بالأنشطة المتعلّقة بالقنص كصيد السمك والطيور وكرة القدم.

وليس من الغريب أن أكثرية الرجال لا يعرفون كيف يمارسون الرومانسية، لأنه لم يمر في تاريخهم مثلٌ أعلى كي يتعلموا منه ويحذوا حذوه، فآباؤهم أيضاً لم يعرفوا الرومانسية ولم تكن هذه بالنسبة إليهم مسألة قيد البحث. وفي إحدى ندواتنا التي أجريناها مؤخراً أخبرتنا إحدى النساء ما يلي: «طلبتُ منه أن يظهر لي وداً أكبر، فذهب فوراً ونظّف ولمّع السيارة!» وهذا دليل على أن هذا «العمل» بالنسبة له مؤشر على الود. وقد أخبرتنا أيضاً أن زوجها أهداها رافعة يدوية للسيارة في عيد ميلادها، ودعاها في عيد زواجهما العاشر إلى حضور مباراة رياضية حجز فيها مكانين في الصف الأول!

> لا تنسوا أبداً أن المرأة مخلوق رومانسي! فهي تحب الزهور والنبيذ والشوكولا.
> أظهروا لها أنكم تفكرون بهذه الأشياء أيضاً... من خلال التحدث عنها أحياناً.

في الحقيقة أصبح للرجال الأوروبيين سمعة جيدة بموضوع الرومانسية، ولكن أغلب رجال العالم لا يعرفون ماذا تعنيه هذه الكلمة. لقد اهتمت الأجيال السابقة من الرجال بتأمين قوتها وقوت عيالها، وبُرمج دماغها على النواحي التقنية وليس الجمالية. لذلك فبإمكان الرجل أن يحاول في هذا المنحى، كما قلنا، ولكنه لا يفهم مدى أهمية الرومانسية بالنسبة للمرأة عندما يفتح لها الباب، أو يقدّم لها الزهور، أو يرقص معها، أو يطبخ لها، أو يساعدها في أعمال المنزل. فهي تتوقع منه الرومانسية والحب عندما تقرر أن تنشئ علاقة جنسية معه، أما هو فيبدأ العلاقة غالباً بممارسة الجنس، ثم يترك أمر العلاقة الرومانسية للمستقبل.

بعض النصائح لجعل الرجال رومانسيين

إن الجو الرومانسي والحب يتوافقان مع روح المرأة بخلاف الرجل الذي عادةً لن يجد نفسه فيهما. فهو مستعد للجنس في كل زمان ومكان، أما هي فيتأثر استعدادها لمعاشرة الرجل كثيراً بمدى قدراته الرومانسية. لهذا سنورد ستة طرق مجرّبة ومضمونة النتائج، تساعد الرجل في محاولاته ليصبح رومانسياً. وقد أثبتت هذه الطرق نجاحها قبل 5000 سنة وحتى اليوم.

> كيف يعرف المرء أن الرجل مستعد لممارسة الجنس؟ إذا تأكّد بأنّه ما زال يتنفّس!

1- انتبهوا إلى المكان

إذا أيقن الرجل درجة حساسية المرأة تجاه محيطها وكيف تستشعر حواسُّها التغيّرات الخارجية، عليه أن يفكر إذاً بمواصفات المكان الذي سيلتقيها فيه. فالهرمون الأنثوي «الاستروجين» يرفع حساسية المرأة تجاه الإضاءة؛ لذلك فالإضاءة الخافتة توسع الحدقتين وتشكل عاملاً جذاباً للطرفين من جهة وتخفي تجاعيد الوجه والجسم من جهة ثانية. وبما أن أعصاب السمع عند المرأة أكثر حساسية منها عند الرجل فللموسيقا المناسبة دورٌ

بالغ الأهمية لديها. وكقاعدة فالنساء يفضلن ممارسة الجنس في الأماكن المغلقة، لذلك فإيجاد «مغارة نظيفة» وآمنة، بعيدة عن الضجة وعن أعين الأطفال هو شيء هام. وهذا يوضح لنا لماذا تمارس بعض النساء خيالهن الجنسي (فانتازيا) بالمعاشرة في الأماكن المكشوفة.

2- احرصوا على تأمين الغذاء

إن الغرائز الدفينة للأنثى تصحو عندما يقدّم لها الرجل الطعام، وعليه أن يفكر مستنداً الى ماضيه كصيّاد. ولهذا السبب نرى أن دعوته لها إلى الطعام خارج المنزل يشكل لديها حدثاً هاماً بغض النظر عن كونها جائعة أم لا. إن لعرضه هذا دلالة عندها تشير إلى أهميتها بالنسبة له ولحرصه على راحتها وشبعها. فتحضير الرجل الطعام للمرأة يوقظ لدى الطرفين مشاعر بدائية تخدم علاقتهما.

3- أشعلوا النار

منذ آلاف السنين كان الرجل يجمع الحطب ويوقد النار، وهذا يترك أثراً رومانسياً جميلاً عند المرأة حتى يومنا هذا. وحتى لو كان الموقد الحالي لا يحتاج إلى قدرات ذكورية هامة، يبقى من المهم أن يفعل الرجل ذلك بنفسه موفراً للمرأة جواً رومانسياً، يعطيها شعوراً بأنه يهتم بتحقيق حاجاتها.

4- أهدوا إليها الزهور

لا يعلم كثير من الرجال الأثر الكبير الذي تتركه باقة نضرة من الزهور عند المرأة، فهم يفكرون على النحو التالي: «لماذا على المرء أن يصرف المال لشراء أشياء تذبل وتُرمى في القمامة بعد بضعة أيام؟». وقد يفهمون، بحسب ذهنهم المنطقي محاسن شراء أصيص من الزهور الذي يعمّر فترة أطول إذا ما أُحسن الاعتناء به؛ أما المرأة فلها منظور آخر للموضوع: فهي تريد أن يقدم لها باقة من الزهور تذبل بعد بضعة أيام ليعيد شراء

باقة جديدة، وبذلك تكون لديه فرصة جديدة ليعبّر لها عن اهتمامه بتحقيق رغباتها. هكذا سيضرب هو على وتر الرومانسية لديها وستسعد هي بسماع رنين هذا الوتر.

5- رافقوها للرقص

ليس صحيحاً أن الرجال لا يودون الذهاب للرقص، ولكن أكثرهم لا يحسّون إيقاع الموسيقا بسبب عدم وجود مركز خاص للرقص في نصف دماغهم الأيمن. ويستطيع المرء أن يلاحظ العدد الضئيل للرجال ضمن نوادي الرقص والصعوبة التي يواجهونها في ضبط الإيقاع. لذلك فتعلّمه للرقص سيمنحه فرصة عظيمة للتقرّب من الإناث وسيجعله مفضلاً لديهن في كل حفلة. والرقص يُعتبر طقساً وُجد لكي يؤمن فرصةً لكل من الذكر والأنثى للتقارب الجسدي فيما بينهما، ويُعدّ إحدى مقدّمات التزاوج لدى الإنسان ولدى بعض الأجناس الحيوانية الأخرى.

6- اشتروا لها الشوكولا والشامبانيا

إن الجمع بين الشوكولا والشامبانيا يُعَدُّ منذ زمنٍ طويل ضرباً من الرومانسية، بالرغم من أن القليل من الناس يعرفون لماذا. إن الشمبانيا هي المشروب الكحولي الوحيد الذي يحتوي على مادة كيماوية ترفع نسبة التستوسترون في الدم. أما الشوكولا فتحتوي على مادة «الفينيل ايتيلامين Phenylethylamin» التي تنبّه مركز الحب في دماغ المرأة.

ومنذ فترة قصيرة اكتشفت «دانيل پيوميللا Danielle Piomella» من معهد علوم الأعصاب في «سان دييغو» بالولايات المتحدة مادة الـ «N- أسيل ايتانولامين N-Acylethanolamine» وهي موجودة في الشوكولا السوداء والكاكاو وليس في الشوكولا البيضاء أو القهوة، وهي تعمل على تفعيل مستقبلات المورفين الموجودة في الدماغ الأنثوي وتؤدي لظهور تأثيرات مشابهة لتأثيرات الماريجوانا على المرأة.

لماذا يتوقف الرجال عن معاملة شريكاتهم بدفء والاستمرار في التخاطب معهن

«قبل أن نتزوج، كان يُمسك بيدي ويُليّن ظهري ويتحدث معي لساعات وساعات. الآن لم يَعُد يمسك بيدي ولا يريد أن يتحادث معي، ولا يلامسني إلا عندما يريد أن يمارس الجنس معي». هل تبدو لكم هذه الشكوى مألوفة؟

> عندما يقرّر الرجل أن يتزوجها، يعرف عنها كل ما يجب أن يعرفه عن شريكته؛ لذلك لا يرى عندئذ معنى للتحدث معها لساعات طويلة.

في مرحلة الهوى يلامس الرجل شريكته أكثر من أي وقت لاحق ضمن علاقته معها، والسبب يكمن في أنه لا يطيق الانتظار حتى يعاشرها ليأخذ منها السماح بملامسة أعضائها الأنثوية. وبمجرّد ما تلمّح له بأنها أصبحت جاهزة، يرى أنه لا معنى لأن يلجأ إلى أساليبه القديمة الناجحة، ويركّز على وجبته الممتعة الحالية.

كذلك يتحدث الرجل مطولاً مع شريكته في مرحلة الهوى، إذ يريد جمع كافة المعلومات والوقائع والأخبار عنها، كما يريد أن يخبرها عن نفسه. وعندما يرتبطان بعلاقة الزواج لا يجد هناك ضرورة للحديث عن ذلك، بل يعتبره «ثرثرة». ولكن عندما يفهم الرجل أن دماغها مبرمج على التواصل عن طريق الكلام، وإن حساسية الجلد عندها تبلغ عشرة أضعاف حساسية الجلد لديه، فسيحاول أن يتعلّم النفوذ إلى تلك العوالم ويستنتج أن حياته معها ستصبح أفضل لا محالة.

لماذا يلجأ الرجال إلى المداعبة الجسدية الفظة بعكس النساء

عندما يُمسح على جلد المرأة بلطف ويُداعب أو يُلتصق به، يُفرز هرمون الاكسيتوسين Oxytocine – والذي يدعى أيضاً هرمون المداعبة – الذي يصعّد حساسية التلمّس والشعور بالانتماء وبذلك يؤثر بشكل أساسي في سلوك المرأة تجاه الرضّع والذكور. وعندما تبدأ المرأة بالإرضاع يلعب الهورمون نفسه دوره في دفع الحليب إلى الثديين.

وعندما تداعب المرأة الرجل بنعومة، إنما تفعل ذلك لتنبهه إلى طريقة المداعبة التي ترغب بها هي نفسها: فهي تحكّ رأسه وتمسح على وجهه وتلامس ظهره وتلعب بشعره. أما بالنسبة للرجال فلا تعجب غالبيتهم تلك الطريقة من المداعبة، وقد ينزعجون منها. وكما علمنا سابقاً، فإن جلد الرجل أقل حساسية بكثير من جلد المرأة، إذ أن وظيفته كصياد أوجبت عليه ألا يتردد بالاستمرار في مهمته بسبب الألم أو الجروح. لذلك نرى أن الرجال يحبون أن يُداعَبوا من مكان معين وباستمرار قدر الإمكان، الشيء الذي يصبح سبباً لتوترات جدية بين الشريكين في كثير من الأحيان: فعندما يريد أن يلامسها بشكل مثير يقبض على ثدييها أو يمرر يده بين ساقيها، أي على الشكل الذي يرغب به لنفسه. وهذه المداعبة الفظة هي آخر ما تقدّره المرأة وقد تكون سبباً للغضب والإحباط عند الطرفين. فإذا ما تعلّم كلاهما كيف يتقرّب أحدهما من الآخر وكيف يتفهّم كل منهما متطلّبات الآخر فسينعكس هذا إيجاباً على سير علاقتهما.

أحاسيس الربيع

لقد ضبطت الطبيعة الساعة البيولوجية بحيث تنجب الإناث صغارها في الوقت الدافئ من السنة، لأن إمكانية بقائهم على قيد الحياة تكون أكبر. وإذا كانت على سبيل المثال مدة الحمل عند أحد أنواع الحيوانات تبلغ ثلاثة أشهر، فإن أمّنا الطبيعة قد رتّبت الأمور بحيث تكون ذكور ذلك النوع في فصل الربيع في قمة نشاطها الجنسي، لتلد الإناث الصغار في الصيف.

وبما أن مدة الحمل عند أنثى الإنسان تبلغ تسعة أشهر فيكون مستوى التستوسترون عند ذكر الإنسان في أعلى مستواه في فصل الخريف. وما يقال عن أحاسيس الربيع ينطبق فقط على الأنواع الحيوانية التي تكون مدة حمل إناثها حوالي الثلاثة أشهر.

تمتلك الحيوانات ذات فترة الحمل القصيرة أحاسيس ربيعية

وقد أظهرت الدراسات أن مستوى التستوسترون عند رجال نصف الكرة الأرضية الشمالي يبلغ أقصى حدّه في شهر أيلول، وعند رجال نصف الكرة الأرضية الجنوبي في شهر آذار. وارتفاع المستوى المذكور يصعّد من مهارات الرجال المكانية البصرية ويجعلهم أكثر كفاية في قراءة المخططات.

كيف يمكن للمرء أن يفكر بشكل جنسي

إن الذهن البشري، في الواقع، ما هو إلا عبارة عن خليط من التفاعلات الكيماوية دائمة النشاط، إذ يمكن توجيه أفكار المرء بحيث يشعر بأنه مثار. ويستخدم كثير من المعالجين الجنسيين هذه التقنية والتي تعتمد على التركيز على الصفات الإيجابية للشريك واستعادة التجارب الجنسية المثيرة التي عاشاها معاً إلى الذاكرة. هنا يردّ الدماغ بإفراز المواد الكيماوية التي توجّه الشهوة الجنسية، ويردّ الجسم بإشارات جنسية واضحة للشبق. هذه العملية كلها تحدث دوماً في المرحلة الثانية للحب -أو مرحلة الهوى[1]- فلا يفكّر المرء خلالها بالذي يحبّ إلا بجوانبه الإيجابية وتكون عندها رغبته الجنسية في أوجها.

وبالمقابل، يمكن قتل المشاعر الجنسية الجياشة إذا لم يركّز المرء إلا على النواحي السلبية في الآخر. هنا يتثبط الإفراز الدماغي للمواد الكيماوية التي تؤثر في مسير الرغبة الجنسية.

كيف يمكن تأجيج مشاعر الهيام بالآخر

ليس بإمكان المرء أن يفكر بشكل جنسي فقط، وإنما يمكن له أن يسترجع بذهنه مرحلة الهوى أيضاً. فمثلاً استذكار عشاء على ضوء الشموع أو نزهة رومانسية على شاطئ البحر أو قضاء عطلة نهاية الأسبوع خارج المدينة تجدي نفعاً كبيراً في رفع المستوى الهورموني لدى الشريكين ويجعلهما يشعران وكأنهما في سابع سماء. ويخطئ حتماً

1. المرحلة الأولى هي مرحلة الرغبة كما تقدم. المترجم.

من يظن أن فترة الهيام ستستمر إلى الأبد، ولكن بقليل من الإرادة يمكن للمرء أن يسترجع لحظات الحب السعيدة التي عاشها إلى الذاكرة عندما يكون بحاجة إلى ذلك.

كيف يمكن إيجاد الشريك المناسب

إن الحب يبدأ بالرغبة التي تستمر بضع ساعات أو بضعة أيام أو أسابيع ثم تبدأ المرحلة التالية وهي مرحلة الهوى التي تمتد وسطياً من ثلاثة أشهر إلى سنة واحدة قبل أن تبدأ مرحلة الانتماء؛ في هذه المرحلة يرى الشريكان أحدهما الآخر للمرة الأولى في ضوء النهار بعد انقضاء حوالي العام، كان فيه فعل الخليط الهورموني قوياً ومسكراً، ويقدران الآن على التفكير بعقلانية حيث تبدأ الخلافات الصغيرة بالظهور، وتفعل فعلها ببطء؛ في السابق كانت تضحك حينما يسألها عن أغراضه المفقودة، الآن أصبحت تصيح من الغضب ولا تتحمّل ذلك؛ وكان يسمع لها بكل اهتمام عندما تقصّ عليه أحداث يومها بالتفصيل المملّ، وأصبح الآن يغلي غلياناً بمجرّد أن تفتح فمها. كلّ منهما يفكر في نفسه دائماً: «هل سأتمكن من متابعة حياتي على هذا الشكل؟ ما الأشياء المشتركة بيننا؟».

زهرة الحب هي الوردة. بعد ثلاثة أيام تفقد الوردة أوراقها ولا يبقى منها إلا شيء قبيح له أشواك.

وبالرغم من فظاعة هذا الأمر، فقد لا يبقى فعلاً شيء مشترك بينهما يستطيعان أن يتحدثا فيه مع بعض برغبة. من الناحية البيولوجية، هدفت الطبيعة إلى إعطاء كلا الشريكين جرعة هائلة من الهورمونات الجنسية تلغي عندهما التفكير، وتجعلهما يعيشان تحت تأثير سُكرها فترة كافية للحمل والإنجاب. ولكن إن كنتم تبحثون عن شريك مناسب، تجمعكم معه علاقة طويلة الأمد، عليكم أن تحكّموا عقلكم في تحديد العوامل المشتركة التي ستجمعكم قبل أن تسلبكم الطبيعة القدرة على التفكير وترسلكم في رحلة الخيال عن طريق هورموناتكم. والسؤال الذي يجب أن يُسأل هنا: «هل ستتمكنون

من إنشاء علاقة طويلة الأمد مع هذا الشخص ترتكز على الصداقة والاهتمامات المشتركة، وتدوم إلى ما بعد مرحلة الهوى العظيم التي ستنتهي عاجلاً أم آجلاً لا محالة؟». اكتبوا الصفات الشخصية التي تتمنّون أن تجدوها لدى شريككم، واهتماماته أيضاً لتعرفوا تماماً عمّا تبحثون. وكخلاصة لما أوردنا نقول إنه عندما يدخل رجل إلى حفلة يحمل معه غمامة من التستوسترون في رأسه تجعل دماغه يبحث عن المرأة المثالية التي رسمها في خياله؛ سيقان جميلة، بطن مسطّح، مؤخّرة مدوّرة، صدر مكتنز جذّاب، الخ... وتحقّق متطلباته الهورمونية حيث تكون لهدف الإخصاب السريع الأولوية.

أما المرأة، فتراقب الرجال من حولها وتتمنى أن تحظى بشخص عاطفي وحسّاس، يملك جسماً بشكل حرف (V) اللاتيني وله شخصية جذابة، أي كلّ الصفات اللازمة لإنجاب وتنشئة الأطفال، ولتأمين الأمن والحماية والغذاء للعائلة.

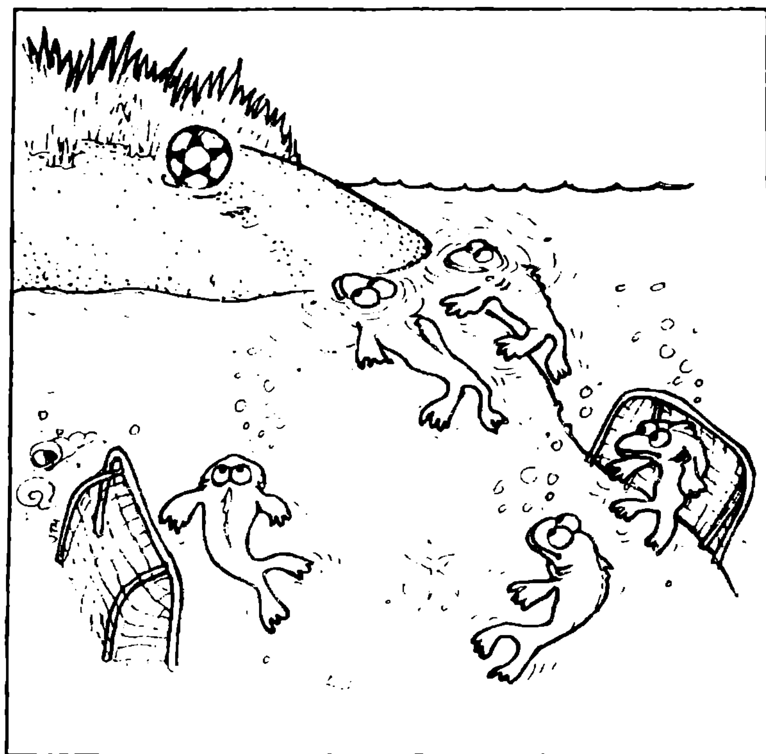
هذه الأمور تتعلّق كلّها بعلاقة قصيرة الأمد محكومة بيولوجياً، لا تمتّ بصلة إلى العلاقات المعاصرة التي تصبو إلى الدوام والنجاح.

ونعود إلى اللائحة التي ستكتبون عليها كل الصفات والاهتمامات التي تتمنّون لشريك [أو شريكة] عمركم أن يتحلّى بها لكي تدوم العلاقة مديداً بينكم. ننصحكم بأن تتركوا هذه اللائحة تحت متناول يدكم كي تساعدكم على البقاء موضوعيّين عندما تتعرّفون على شخص جديد، في حال لعبت البيولوجيا لعبتها ووجّهت بنفسها أفكاركم ورغباتكم.

إن هدف الطبيعة هو التناسل بالحد الأقصى، لذلك فهي تهيء له الشروط الناجعة. وسيساعدكم وعيكم لتفاصيل الأمور، واللائحة التي تسلّحتم بها، على عدم الوقوع بسهولة في أفخاخ الطبيعة. وهكذا تصبح فرصتكم في إيجاد شريك حياتكم المثالي، الذي ستقضون معه بقية عمركم في سعادة وهناءة، أكبر وستتجاوزون بذلك صعوبات الحياة.

الفصل الحادي عشر

نحو مستقبل مختلف



«قد لا نعلم أبداً ما الذي دعا بأسلافنا المائية أن تصعد إلى اليابسة»

عالم الطبيعة «دافيد ايتنبورو David Attenborough»

يدّعي البعض بأن الرجل هو الشخص المحظوظ لأنه يستطيع أن يتمشّى على شاطئ البحر عاري الصدر دون أن يلومه أحد، ويسمح لنفسه أن ينسى أين وضع أغراضه، ويستطيع أن يأكل الموز أمام عمّال البناء دون أن يحمرّ خجلاً. ويدّعي البعض الآخر أن المرأة هي المحظوظة لأنها تشتري ثيابها بنفسها، وتستطيع أن تضع رجلاً على رجل دون أن يشدّ لباسها على بطنها، وأن تصفع رجلاً أمام الملأ لأنها، على كل الأحوال، هي التي دوماً على حقّ.

> رائعٌ أن يكون المرء رجلاً لأنه سيستطيع أن يشتري الكوسا والخيار دون أن يحمرّ خجلاً.

إن الرجل والمرأة كائنان مختلفان؛ وليس الأمر مَنْ أفضل ومن أسوأ ولكنهما بكل بساطة مختلفان. هذا بات معروفاً على الصعيد العلمي، ولكن السياسة تحاول ألاّ تعترف به؛ فموقف المجتمع والسياسة يقول إن الرجال والنساء متساوون ويجب أن نتعامل معهما من منطلق هذه المساواة، ولكن الواقع إنهم أبعد ما يكونون عن التساوي.

ماذا يريد الرجال والنساء فعلاً؟

بالنسبة للرجل اليوم، لم تحصل تغييرات كبيرة عمّا كان يفعله الرجال في القرون الماضية: فلم يزل العمل هو الشيء الأهم بالنسبة لـ 88 % من الرجال، ولم تزل الحياة الجنسية المُرضية هي حلم 99 % منهم. أما بالنسبة للمرأة اليوم، فقد حصلت تغييرات واضحة مقارنة مع أمها وجدّتها. فالكثيرات من النساء اليوم يُردنَ أن ينجحن وظيفياً لأنهن متلهّفات للحصول على بعض الامتيازات التي يتمتع بها الرجال كالمال والمركز والسلطة. وقد أفادت الدراسات التي أجريت في هذا الصدد بأن النساء العاملات أصبحن يُصبْنَ اليوم بالأمراض المهنية، التي كانت حتى اليوم حصراً على الرجال كالقرحات المعدية والأزمات القلبية وارتفاع الضغط الوظيفي والموت المبكّر. كما أن

المرأة المعاصرة تدخّن وتتناول الكحول كما لم تفعل ذلك في تاريخها البشري قط. وقد بيّنت الإحصاءات أن ثلث النساء العاملات، في المملكة المتحدة، يدخنّ.

بسبب الضغط النفسي تمكث أكثر من ثلث النساء في منازلهن تسعة أيام سنوياً.

44 % من النساء يعتبرن أن العمل خارج المنزل يشكل مصدراً أساسياً للضغط النفسي. وقد أفاد استفتاء، أجرته شركات التأمين البريطانية وتناول خمسة آلاف امرأة، بأن 66 % منهن يعتقدن بأن العمل خارج المنزل يشكل ثقلاً إضافياً ضاراً بصحتهنّ، وأنهن يفضّلن البقاء في المنزل كربّات بيوت يعشنَ فيها بنعيم إذا لم تكن لديهن حاجة مادية للعمل. فقط 19 % من النساء أحسسن بحاجة حقيقية للعمل خارج المنزل. وفي إحصائية مماثلة أجريت في اوسترالية، أفادت 5 % فقط من النساء بين عمر الـ 18 والـ 65 عاماً بأن العمل خارج المنزل بالنسبة لهنّ هو الأهم، بينما أفادت غالبية النساء بأن الإنجاب هو الأهم. وعند سؤال النساء بين عمر الـ 31 والـ 39 عاماً السؤال نفسه أفادت 66 % منهنّ أن مهمّة الأمومة هي الأولى بينما فضّلت 2 % منهنّ فقط العمل. أما النساء بين عمر الـ 18 والـ 30 سنة فكانت نسبة اللواتي وضعن الأولوية للأمومة 31 % مقابل 18 % للواتي وضعن للعمل الأولوية.

بشكل عام أصرّت 80 % من النساء اللواتي شملتهن الدراسة، على تربية أطفالهنّ في عائلات تقليدية، أي أن الحركات النسائية لم تستطع أن تغيّر موقف النساء بالشكل الذي كان متوقّعاً. إن القيم والأفضليات الأنثوية ما زالت هي نفسها منذ قرون. إن التغيير الكبير يكمن في أن 93 % من النساء يردن أن يبقين مستقلات مادياً وأن 62 % منهن يرغبن بلعب دور سياسي أكبر. وبكلمات أخرى لا تريد النساء اليوم أن يصبحنَ تابعات للرجال.

أما بالنسبة للحياة الخاصة، فقد أعطت 1 % من النساء فقط الأولوية للحياة الجنسية، و45 % منهن وضعنَ الثقة في المقام الأول و22 % وضعنَ الاحترام في المقام الأول.

فقط 20 % من النساء اعتبرن حياتهن الجنسية رائعة و 63 % اعتبرنَ أن شريكهن أبعد ما يكون عن العشيق المثالي. أما الواقع فيقول بالنسبة لغالبية النساء، أن الإنجاب والأمومة يُعتبران أهم الرغبات الشخصية للأنثى وتقعان في أعلى قائمة الأولويات. وقد قالت الكثيرات من النساء اللواتي يعملن خارج المنزل إن الحاجة المادية هي التي تدفعهنّ للعمل كونهنّ يَعشن داخل المدينة ومن المستحيل أن يكفي الشريكين أو العائلة مرتّبٌ واحدٌ. وكثير من الرجال يؤمنون بأن تأمين المال اللازم لإطعام الأطفال وكسوتهم وتعليمهم أهم من المشاركة الفعّالة في تربيتهم، لكن النساء يجدنَ سعادة أكبر في التربية من الرجال، ويتعلّم الرجال هذا الشعور عندما يتقدمون في السن، مع الأسف، أي عندما يصبحون جدوداً.

اختيار مجالات العمل عند النساء وعند الرجال

فيما يخصّ اختيار المهنة، لم يتغيّر الكثير بالنسبة للرجال: فمنذ القدم وحتى اليوم يفضّلون المجالات التي يستخدمون من خلالها مهاراتهم الفكرية. ولا شك في أنهم اليوم أصبحوا يمارسون بعض المهن التي كانت تعتبر في الماضي مهناً نموذجية للإناث كالحلاقة والمهن الفنية والإبداعية، ولكن إذا ما اقتربنا من هؤلاء الأشخاص نجد لديهم ميولاً أنثوية بشكل أو بآخر؛ هذه الميول تبدو أقل وضوحاً في بعض المهن الأخرى كالتعليم والإرشاد الاجتماعي.

أما بالنسبة للمرأة فقد تغيّر الكثير: في الولايات المتحدة تعمل 84 % من الموظفات في مجال المعلوماتية والخدمات. وفي العالم الغربي تمتلك النساء ما بين نصف إلى ثلثي شركات المقاولات المؤسسة حديثاً. كما أن 40 % من المراكز القيادية في الإدارة ومواقع المسؤولية تمتلكها النساء.

> عندما تعمل المرأة ضمن مجال الهرمية الذكورية فلديها احتمالان فقط: إما أن تترك العمل، أو أن تكيّف طبيعتها بحيث تتناسب مع الطبيعة الذكرية.

في مناطق النفوذ الذكورية التقليدية، لا تزال المرأة تكافح كثيراً للوصول إلى مناصب عالية، ولكن كما رأينا، قليلات هنّ اللواتي يرغبن الوصول إليها. وفي عالم السياسة تشكل النساء 5 % فقط من مجموع السياسيين، ولكنّهن يستقطبنَ اهتمام وسائل الإعلام. وعندما تريد المرأة أن تعمل في مهنة نموذجية للذكور فإما أن تختار الوظيفة التي ستُعامل فيها بشكل عادل، أو أن تؤقلِم نفسها على نموذج السلوك الذكوري الذي سيفتح أمامها أبواباً [كانت ماتزال مغلقة]. وقد أثبتت الدراسات أن فرصة وصول النساء اللواتي يلبسن بطريقة ذكورية إلى مراكز الإدارة أكبر من فرصة النساء اللواتي يظهرن بمظهر أنثوي واضح - وهذا يصحّ أيضاً عندما يكون الشخص صاحب القرار في ذلك امرأة. وإذا كان صاحب القرار رجلاً، فإنه يفضل النساء اللواتي لا يستخدمنَ العطور عندما يريد أن يختار المتقدمات إلى وظيفة ما.

عالم الأعمال المطبوع بالعنصر النسائي بشكل متزايد

إن الصفات والتصوّرات الذكورية هي التي تدفع الناس للوصول إلى ذروة الهرم السلطوي، ومع ذلك تزداد أهمية التصورات الأنثوية لبقاء الرجال واستمرارهم في القمة.

وبشكل عام تتّبع غالبية المؤسسات النظام الهرمي التقليدي الذي يكون على رأسه رجل ذو شخصية مهيمنة شعاره يقول: «الكلّ يتبعني وإلا سأريكم ما لا يعجبكم!».

هذه المؤسسات آخذة في الزوال مثلها مثَل فتوّة الصف التي كانت في وقت من الأوقات تتنفّذ عن طريق العضلات لا العقل. ولا تزال الأفضلية الذكورية هامة للوصول الى المناصب العليا، ولكن تدخّلت اليوم بعض النظم الأنثوية[1] لتعيد ترتيب العمل وتجعله أكثر انسجاماً ونجاحاً. ففي طوابق المديرين في المؤسسات ينشأ صراع نفوذ بسبب

---

1 . يقصد المؤلفان هنا التفريق بين نوعين من النظم: الذكورية التي تعتمد السلطة الهرمية ووجود زعيم، والأنثوية التي تعتمد على التعاون ولا يوجد لها زعيم. "المترجم"

سيطرة طريقة التفكير الذكورية؛ وعندما لا يحدث اتفاق يحاول البعض إنهاء العمل باتخاذ قرارات منفردة، فالمبادرة والحدس ليس لهما أي دور هنا. ويحاول بعض المديرين أن يكون هو الأفضل أو أن يظهر بمظهر الأفضل بغض النظر عن كونه سبب النمو والتطور في مؤسسته أو هو نتيجة للاستراتيجيات الجديدة التي وضعها هو نفسه أو بسبب ترك الأمور تسير على ما هي عليه. أما القيم الأنثوية فهي، على العكس من هذا تماماً، تدفع للعمل الجماعي وتشجع الأقسام المختلفة على العمل معاً ضمن المؤسسة الواحدة، الشيء الذي يجلب حسنات متعددة للمؤسسة من وجهة النظر الإنسانية والاستراتيجية.

وهذا لا يعني أنه يجب على المرأة أن تسلك سلوك الرجل أو على الرجل أن يسلك سلوك المرأة ولكن على الطرفين أن يعلما أنه في المراحل المختلفة للصراع على المناصب العليا مرة يكون المبدأ الذكري هو الذي يجلب نتائج أفضل، ومرة المبدأ الأنثوي.

هل هذا "صحيح" طبقاً لمعايير السياسة؟

لقد قمنا بإجراء ندوات متعددة في ست دول من دول العالم الغربي، سألنا خلالها أكثر من 10,000 شخصاً حول رأيهم بهذه الخطة[1]، ووجدنا ان 94 % من النساء و98 % من الرجال لا تناسبهم تلك السياسة لأنها تسلبهم حريتهم في التعبير عما يفكرون أو يحسون بهذا الخصوص؛ وكان هدف تلك الخطة [المعلن] هو منع التمييز بين الجنسين، ومعاملتهم بشكل متعادل، والتأكيد على منح النساء حقهن في تكافؤ الفرص.

وبالرغم من أن الرأي السائد يقول إن النساء مضطهدات من قبل السيطرة الذكورية، فإن سياسة المعادلة بين الرجل والمرأة لا تلقى تأييداً جماهيرياً؛ ولا نعرف إن كانت ستتمكن يوماً ما من بلوغ هدفها المنشود. إن العلماء يشكّون بذلك إذ يظنّون بأن

---

1. اتباع سياسة التساوي بين الرجل والمرأة في مجال العمل. "المترجم"

الرجال والنساء قد احتاجوا إلى ملايين السنين لكي يصلوا إلى ما هم عليه الآن، وسيحتاجون حسب رأيهم إلى ملايين أخرى من السنوات لكي يتغيّروا ويصلوا الى الجوهر الحقيقي التي تتمناه لهم "سياسة التعادل". إن أكبر مشكلة يواجهها الإنسان اليوم هي أن مثله العليا وأفكاره العظيمة والسلوكيات التي ينادي بها، كلها سابقة لواقعه البيولوجي بمليون سنة.

طبيعتنا البيولوجية لم تتغير بشكل جذري

يريد الصبية أن يلعبوا بالأشياء، وتريد البنات أن يلعبنَ بالدمى. ويرغب الذكور بالقيادة والسيطرة والصعود في سلم الهرمية، وترغب الإناث بالاهتمام بالأشخاص والعلاقات والقيم الإنسانية. وتشكل النساء أقلية في مجالات العمل والسياسة لأنهن، بكل بساطة، لا يولين تلك المجالات الأهمية نفسها وليس بسبب اضطهادهن من قبل الذكور.

> بالرغم من النوايا الحسنة لأرباب العمل بتحقيق تساوي الفرص، فما زال الفتيان يسعون وراء الحرف التي تعتمد على المهارة الميكانيكية وقدرة التصوّر المكاني البصري، وما زالت الفتيات يسعين وراء المهن التي تعتمد على العلاقات الإنسانية.

في بعض المزارع الجماعية (الكيبوتزات)[1] حاول المرء على مدى عشرات السنين ان يلغي الفروق الظاهرية بين الأنثى والذكر في اللباس والمظهر وطريقة الحياة عن طريق حث الصبيان على اللعب بالدمى والاهتمام بالخياطة والحياكة والطبخ والتنظيف، وحث البنات على اللعب بالكرة وتسلّق الأشجار والرمي بالقوس والنشاب. وكانت الفكرة إنشاء مجتمع محايد تكون فيه للجميع الفرص والمسؤوليات نفسها بغض النظر عن

1. الكيبوتز Kibbuz مزرعة جماعية يهودية. "المراجعة"

الجنس؛ فحذفوا من قواميسهم تعابير مثل "الصبية لا يبكون" و "البنات لا يلعبنَ بالوحل" وظنّوا بأنهم نجحوا في تربية مجتمع لا وجود لتقسيم العمل الجنسي فيه. فماذا حصل فعلاً يا ترى؟

بعد عشرات السنين من التجربة، أظهرت الأبحاث بأن النماذج السلوكية الذكرية والأنثوية السابقة الذكر بقيت على حالها لم تتغير؛ العدوانية والهرمية عند الصبيان، والتهادنية والتعاونية عند البنات. فعندما يترك المرء الخيار للأطفال نجد أن كلاً من الجنسين يختار مواد دراسية على أساس ذكري وأنثوي: فالصبيان مثلاً يتوجهون لدراسة الفيزياء والهندسة وفروع الرياضيات، والبنات يخترن أن يصبحنَ معلمات، ممرّضات، مرشدات اجتماعيات ومنظمات، فالبيولوجيا ترشدهم وترشدهن الى المجالات التي تتوافق مع تراكيبهم الدماغية. وقد أظهرت الأبحاث أن "الحياد" الجنسي، الذي حاول البعض أن يصلوا إليه عن طريق إعادة النظر بتقسيم العمل وإلغاء دور الأمومة، لم يؤدِّ الى إزالة الاختلافات بين الجنسين أو إلى تصفية الميول النموذجية للأنثى والذكر عند الأطفال الذين كانوا حقلاً لتلك التجارب، بل أدى الى خلق جيل من الأطفال شعروا بأنفسهم بأنهم مهملون ومشوّشون وهؤلاء على الأرجح سيصبحون، في سن البلوغ، منغلقين على أنفسهم.

ملاحظة ختامية

ترتبط النساء مع الرجال بعلاقات ناجحة، رغم الاختلافات الكثيرة الموجودة بينهم، والفضل في ذلك يعود الى النساء بالدرجة الأولى، لأنهن يمتلكن المقدرات اللازمة لصنع وتوطيد العلاقات ضمن العائلة والمجتمع. إن النساء يستطعن أن يقرأن ما بين السطور ويفسّرن سلوك الآخرين بشكل صحيح، مما يجعلهن قادرات على استقراء نتائج هذا السلوك وتلافي احتمال الوقوع بأي إشكال. ويمكن أن تكون هذه الصفة كافية لإحلال الأمن والسلام في كل العالم إذا ما كان رؤساء الدول من النساء تحديداً.

ويحقق الرجال الشروط اللازمة للصيد وجلب الطريدة إلى المنزل، الذي يعرفون بسهولة كيف يعودون إليه مجدداً، وللجلوس حول النار محدّقين فيها وللتناسل، وإلى هذا الحد تُستنفد استطاعتهم ويكتمل عالمهم.

ويجب على الرجال والنساء أن يبحثوا عن الإمكانات الجديدة التي يتمكنون من خلالها التكيّف مع متطلبات المجتمع المعاصر. وستبقى المعوّقات في العلاقات ما بين الأنثى والذكر قائمة ما دام الطرفان لا يعيان الاختلافات البيولوجية الموجودة بينهما، ولا يتوقفان عن مطالبة أحدهما الاخر بأن يكون مطابقاً له. ويبدو أن القسم الأكبر من التوتر الحاصل بين الطرفين يرجع الى منطق خاطئ لكليهما يساوي ما بين أولوياتهما وآمالهما وحاجاتهما.

ولأول مرة في التاريخ البشري يُربى الذكور والإناث بالطريقة نفسها حيث نعلمهم بأنهم متساوون في جوهرهم ومقدراتهم؛ وعندما يتزوجون يعرفون فجأة بأن اختلافاتهم تساوي اختلاف الليل عن النهار، ولهذا لا نستغرب أن نرى جيل اليوم يواجه مصاعب جمّة في بناء العلاقات والزواج. ونقول هنا إن كل نظام يستند على مبدأ التساوي إنما يقف على تربة هشة، لأنه لا يمكننا أن نطلب سلوكيات متماثلة من بنيات دماغية متغايرة. ومن الصعب أحياناً فهم لماذا خلقت الطبيعة من الأنثى والذكر نمطين متنافرين، ولكن من المؤكد أن البيولوجيا لا يمكنها أن تتغيّر وتتكيف مع حياتنا اليوم بالسرعة نفسها. وهذه مشكلة فعلية!

والناحية الإيجابية هنا، هي أن فهمنا لتاريخ التطور البشري وإدراكنا للاختلافات الجذرية بين الذكر والأنثى سيمكّناننا من التعايش مع تلك الاختلافات بسهولة أكبر، لا بل سيعلّماننا كيف نقدرها ونعيش من خلالها حياة أفضل.

إن الذكور ينزعون الى السلطة والنجاح والجنس، والإناث ينزعنَ الى العلاقات والاستقرار والحب، وإن من يضع تلك الأمور موضع استغراب كمن يتعجّب من أن السماء تهطل مطراً؛ فالمطر آت شئنا أم أبينا، وإدراك المرء أن المطر سيهطل قريباً يمكّنه

من أن يحتاط لذلك بأخذ مظلّة معه أو ارتداء معطف واقٍ فيتفادى بذلك مشكلاً قابلاً للوقوع. وكذلك العلاقات، فإنها تفرز إشكالات يمكن توقّعها اذا كانت ناجمة عن الاختلاف بين الجنسين ويمكن تجنب نتائجها.

ومع إطلالة كل يوم جديد يمكّننا التصوير الدماغي المحسّب من النفوذ الى الدماغ البشري أكثر وأكثر والتعرّف الى الحياة الغنية الدافقة فيه، والتي تعطينا تفسيراً لكثيرٍ من الأمور كانت تعتبر في السابق من المسلّمات. ونورد هنا مثالاً عن مرض «فقدان الشاهية العصبي Anorexia nervosa»، حيث تتوهّم الفتيات المصابات به أنفسهن بدينات وسمينات عندما ينظرن في المرآة، علماً بأن هذا في الواقع تشويه للحقيقة. وقد قام الدكتور "براين لاسك Bryan Lask" من مشفى "Great Ormond Street" في لندن عام 1998 بدراسة دماغ مراهقات مصابات بهذا المرض عن طريق التصوير الطبقي للدماغ فوجد أن لديهن جميعهن نقصاً في تروية المركز الدماغي البصري. هذا مثال واحد عن الأشياء التي يمكن أن تحدث، عندما يصاب الدماغ بخللٍ ما.

لقد أجمع علماء العالم كله، بوساطة براهين مقنعة ومتوافقة معاً، على وجود مواد كيماوية في رحم المرأة هي التي تحدد بنية المضغة الدماغية النهائية وبالتالي تتحدد، منذ الحياة الرحمية، ميول وتوجهات الجنين.

ولا يحتاج الناس في العادة الى كل تلك الأجهزة المعقّدة حتى يعرفوا بأن الرجال لا يحسنون الإنصات وأن النساء لا يستطعن قراءة الخرائط، وغالباً لا تفسّر الأشياء التي هي ظاهرة للعيان.

لقد فسّرنا في هذا الكتاب الأشياء المترابطة معاً والتي كانت واضحة بالنسبة لكم دون أن تعوها تماماً. ومن العجيب أننا في بداية القرن الواحد والعشرين نفتقد الى مادة مدرسية تهتم بالاختلافات ما بين الذكر والأنثى وطبيعة العلاقات بينهما، بينما تفضل المدارس ان تختبر الجرذان في المتاهات وتدرس ردة فعل القرد على حركة استفزازية نجريها أمامه. وربما يكون سبب هذا التقصير هو أن العلم مادة ثقيلة وبطيئة السّير،

تحتاج الى سنين طويلة حتى تنعكس نتائجها على نظام التربية والتعليم .

وهكذا نضع الأمر بين ايديكم ايها القرآء من النساء والرجال ، ونترك لديكم الخيار في محاولة تغيير أنفسكم . وفقط عندما تقررون ذلك ، سيكون هناك أمل في أن تصبح علاقاتكم سعيدة ومُرضية ، الشيء الذي تستحقه كل امرأة ويستحقّه كل رجل على وجه الخليقة .

صدر عن دار كنعان 2000 – 2001 – 2002 – 2003 – 2004 – 2005

م	عنوان الكتاب	المؤلف / المترجم
1	شعرية التمرد	جان جنيه
2	قضايا وشهادات / سعد الله ونوس «نافذ»	مجموعة باحثين
3	السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة ج1 + ج2 + ج3	خالد آغة القلعة
4	ياءٌ.. وعد على شفة مغلقة «نافذ»	إسماعيل الرفاعي
5	من قريب من بعيد	كلود ليفي شتراوس
6	اعترافات عربي طيب	يورام كانيوك
7	شرك الدم	إعداد مصطفى الولي
8	قصيدة هيروشيما	وفيق خنسة
9	مواعيد «نافذ»	محمد صارم
10	موكب البط البري «نافذ»	علي الكردي
11	إسرائيل وحرب المياه القادمة «نافذ»	ظافر بن خضراء
12	على غفلة من يديك «نافذ»	منادي زرقة
13	سيكلوجية الحب والعلاقات الأسرية	سيرغي كوفالوف
14	دلمونيات	علي الجلاوي
15	قبلة في مهب النسيان	سوسن دهنيم
16	طقوس حافية	نجيب عوض
17	اللاجئون الفلسطينيون في سورية ولبنان «نافذ»	نبيل السهلي
18	الخديعة المرعبة «نافذ»	تيري ميسان
19	الجنرال	آلان سيلتو
20	العقلانية العملية	بيير بورديو
21	بابل والكتاب المقدس	جان بوتيرو
22	الرقص مع الذئاب	نك يانغ
23	البحث عن السيد جلجامش	محمد سيف
24	وعليك تتكئ الحياة «نافذ»	ممدوح عدوان
25	بيان ضد الأبارتايد	د محمد حافظ يعقوب
26	القيمة والمعيار	يوسف سامي اليوسف
27	من دولة الإكراه إلى الديمقراطية	عماد شعيبي
28	القلم والسيف	إدوارد سعيد
29	بين الإسلام والغرب	مكسيم رودنسون

30	صعود وأفول فلسطين	نورمان ج. فتكلستين
31	ومض الأعماق	ت. د. علي نجيب إبراهيم
32	رائحة الأنثى	أمين الزاوي
33	بؤس العالم (ثلاثة أجزاء)	بيير بورديو
34	المرأة في الإسلام	د. برهان زريق
35	الخيال والحرية	يوسف سامي اليوسف
36	ساعي البريد	ممدوح عدوان
37	الضغينة والهوى	فواز حداد
38	جنجر وفريد	فيدريكو فيلليني
39	التباس «نافذ»	ماهر منزلجي
40	الدُعابة المرة	محمد القيسي
41	محطات الانتظار «نافذ»	محمد توفيق
42	حوارات المنفيين	برتولد بريشت
43	بوح في المتاح	إلياس شوفاني
44	استمرارية التاريخ	عمانوئيل فاليرشتاين
45	باب الحَيْرة	أنيسة عبود
46	مقال في الرواية	يوسف سامي اليوسف
47	جماليات اللفظة	د. علي نجيب إبراهيم
48	عباس كياروستامي / فاكهة السينما المنوعة	فجر يعقوب
49	متى يصبح الإنسان شجرة	د. ماهر منزلجي
50	شتاء البحر «نافذ»	غزالة درويش
51	زمن يحترق «نافذ»	غزالة درويش
52	عام مضى والانتفاضة تتجذر «نافذ»	تيسير قبعة
53	سورية واللاجئون الفلسطينيون	ظافر بن خضراء
54	كارل ماركس «نافذ»	سريست نبي
55	جزيرة الهدهد	صبري هاشم
56	همس / الجثة لا تسبح ضد التيار	يحيى علوان
57	أطياف الندى	صبري هاشم
58	التدريب على الرعب «نافذ»	خيري الذهبي
59	الحصار	مازن النقيب
60	نساء في الحرب	جواد الأسدي

61	فلامنكو البحث عن كارمن	جواد الأسدي
62	آلام ناهدة الرمّاح	جواد الأسدي
63	مداريات حزينة	كلود ليفي شتراوس
64	الكلمة الخرساء	جاك رنسيير
65	صفر واحد	رفيق عنيني
66	الريح والملح	الفارس الذهبي
67	الوجه السابع للنرد	فجر يعقوب
68	عالم مختلف	د. ماهر منزلجي
69	اليوم الأخير لبيت دمشقي	طه حسين حسن
70	الحضارة الأوروبية في عصر الأنوار	بيير شونو
71	حنين العناصر «نافذ»	عائشة أرناؤوط
72	الاتجاهات النقدية الحديثة	عمر كوش
73	السياسة الأمريكية وصياغة العالم الجديد	د. عماد فوزي شعيبي
74	امرأة.. مرآتها صياد أعزل «نافذ»	فراس سليمان
75	مرايا الرماد «نافذ»	سهيل بدور
76	الغاوي	بهيجة مصري ادلبي
77	عشاق الدير	د. محمد الدروبي
78	حمار المسيح	ت. إسماعيل دبج
79	تراتيل القيثارة «نافذ»	محمد خميس
80	هيبياس الأكبر	افلاطون
81	سمعت صوتاً هاتفاً	وليد إخلاصي
82	فيروز والفن الرحباني	محمد منصور
83	السينما الصهيونية شاشة للتضليل	محمد عبيدو
84	درامية التغيير	بروتولت بريشت
85	الليل	محمد ملص
86	الحقيقة والشريعة في الفكر الصوفي	د. عبد السلام نور الدين
87	تصفيق بيد واحدة	د. ماهر منزلجي
88	وعي السلوك	د. محمد الدروبي
89	تحولات السينما البديلة	عدنان مدانات
90	أرواح تائهة / القناع في الطباع	سمير طحان
91	رعشة المأساة «مقالات في أدب غسان كنفاني»	يوسف سامي اليوسف

92	التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول	بيير بورديو
93	النقد والمجتمع	فخري صالح
94	ذكريات ممنوعة	إيله شوحاط
95	عجوز البحيرة	تيسير خلف
96	الزهرة والحجر	ماهر اليوسفي
97	أشياء لا تُشترى	فتحية القلا
98	المرأة.. الحب والجنس	جبارة البرغوثي
99	هيك وهيك	عصام حسن
100	اقتسام العالم	كبير مصطفى عمي
101	للحب رائحة الخبز	بهية مارديني
102	عطش الرغبة	ميادة لبابيدي
103	أتباع الشيطان	جبارة البرغوثي
104	بينوني	كونت هامسن
105	السيرة المفتوحة للنصوص المغلقة ج4	خالد آغة القلعة
106	النار / التحليل النفسي لأحلام اليقظة	جاستون باشلار
107	خان الحرير	نهاد سيريس
108	جدار شارون «قيد الطباعة»	آلان مينازغ
109	ماذا عن غد؟.. «قيد الطباعة»	جاك دريدا+اليزابيث رودبنيسكو
110	تلك الأيام «قيد الطباعة»	يوسف سامي اليوسف
111	نفي العقل ج1 - عصر الفاشيات وهزيمة العقل«قيد الطباعة»	أديب ديمتري
112	نفي العقل ج2-جذور العرقية وأسطورة الجنس المتفوق «قيد الطباعة»	أديب ديمتري
113	محنة البيت القديم «قيد الطباعة»	د. محمد الدروبي
114	حكواتي، ليس إلا «قيد الطباعة»	د. محمد الدروبي
115	النازيون الجدد «قيد الطباعة»	مازن النقيب
116	حديث الكمأة «قيد الطباعة»	صبري هاشم
117	الجولان في مصادر التأريخ العربي «قيد الطباعة»	تيسير خلف

معارك قيس وليلى

يمكن لهذا الكتاب أن يشكل استفزازاً أحياناً، وصدمة أحياناً أخرى ولكن في كل الأحوال يدهش القارئ بما فيه من الحقائق العلمية من جهة، وبما فيه من سرد حوادث يومية وآراء ومشاهد مغرقة في الفكاهة، من جهة أخرى.

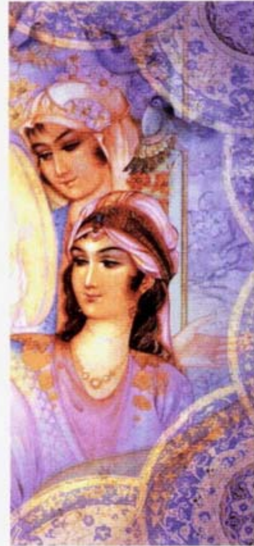
وسيثبت هذا الكتاب لنا أيضاً بشكلٍ علمي أن النساء والرجال ليسوا غير متماثلين فحسب، وإنما هم مختلفون جذرياً على الصعيدين الجسماني والفكري.

وقد اعتُمِد في نتائجه تلك على ما توصل إليه كبار علماء المستحاثات **paleontology** وعلماء الأعراق البشرية **ethnology** وعلماء النفس والبيولوجيا والبناء العصبي، وتم التوصل إلى أن الاختلافات في البناء الدماغي عند الذكر والأنثى لا يمكن دحضها.

هذا الكتاب مهدى إلى كل الرجال والنساء الذين مرت بهم لحظات اضطروا فيها للجلوس وجهاً لوجه مع شركائهم في الساعة الثانية صباحاً، مشعثي الشعر ومستعطفين: «لماذا لا تستطيع (تستطيعين) أن تفهمني (تفهميني) ببساطة؟».

إن العلاقة بين الرجال والنساء تفشل لأن الرجال لا يفهمون لماذا لا تستطيع المرأة أن تكون مثل الرجال، والنساء يتوقعن من رجالهن أن تكون ردود أفعالهم مثلهن.

إن هذا الكتاب لا يقدم مساعدة فقط في الحوار مع الجنس الآخر وإنما يساعد أيضاً في فهم الذات بشكل أفضل الذي هو شرط أساسي لإرساء حياة ثنائية صحية، سعيدة ومنسجمة.



دار كنعان
للدراسات والنشر
والخدمات الإعلامية